حياة القلوب

تفسير كلام علام الغيوب

الجزء الثالث

تأليف

أبي عمرو سعيد بن مصطفى دياب

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net
شبكة الألوكة

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُقَدِّمَة

إنَّ الحَمْدَ لله، نَحْمَدُه، ونستعينُه، ونستغفرُهُ، ونعوذُ به مِن شُرُورِ أنفُسِنَا، وَمِنْ سيئاتِ أعْمَالِنا، مَنْ يَهْدِه الله فَلا مُضِلَّ لَهُ، ومن يُضْلِلْ، فَلا هَادِي لَهُ.

وأَشْهَدُ أنْ لا إلَهَ إلا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وأشهدُ أنَّ مُحَمَّدًا عبْدُه ورَسُولُه.

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.[1]

﴿يَأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾.[2]

﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا * يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.[3]

وبعد فهذا هو الجزءُ الثالثُ مِنْ كتابِ: (حَيَاةُ الْقُلُوبِ تَفْسِيرُ كَلَامِ عَلَّامِ الْغُيُوبِ)، أسألُ اللهَ أن ينفع به، وأَنْ يجعلَهُ خَالصًا لوجهه، وأَنْ يتقبله بفضله ومَنِّهِ وكَرَمِهِ.

---

١ - سورة آل عمران: الآية/ ١٠٢

٢ - سورة النساء: الآية/ ١

٣ - سورة الأحزاب: الآية/ ٧٠، ٧١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.[1]

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

قال أبو حيان: مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ اصْطِفَاءَ طَالُوتَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَتَفَضُّلَ دَاوُدَ عَلَيْهِمْ بِإِيتَائِهِ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَتَعْلِيمِهِ، ثُمَّ خَاطَبَ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِأَنَّهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ، وَكَانَ ظَاهِرُ اللَّفْظِ يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَ الْمُرْسَلِينَ، بَيَّنَ بِأَنَّ الْمُرْسَلِينَ مُتَفَاضِلُونَ أَيْضًا.[2]

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ فَضَّلَ بَعْضَ الرُّسُلِ عَلَى بَعْضٍ كَمَا قَالَ: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾.[3]

وقد ورد في السنة النهي عن المفاضلةِ بين الأنبياءِ؛ فعَنْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: بَيْنَمَا يَهُودِيٌّ يَعْرِضُ سِلْعَةً لَهُ أُعْطِيَ بِهَا شَيْئًا، كَرِهَهُ، قَالَ: لَا، وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ قَالَ: فَسَمِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَلَطَمَ وَجْهَهُ، قَالَ: تَقُولُ: وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ إِنَّ لِي ذِمَّةً وَعَهْدًا، وَقَالَ: فُلَانٌ لَطَمَ وَجْهِي، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لِمَ لَطَمْتَ وَجْهَهُ؟» قَالَ: قَالَ – يَا رَسُولَ اللهِ – وَالَّذِي اصْطَفَى مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْبَشَرِ وَأَنْتَ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، قَالَ: فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى عُرِفَ الْغَضَبُ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: «لَا تُفَضِّلُوا بَيْنَ أَنْبِيَاءِ اللهِ، فَإِنَّهُ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَيَصْعَقُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللهُ، قَالَ: ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ

---

١ – سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَة/ ٢٥٣

٢ – البحر المحيط في التفسير (٢/ ٥٩٩)

٣ – سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الْآيَة/ ٥٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أُخْرَى، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ بُعِثَ، أَوْ فِي أَوَّلِ مَنْ بُعِثَ، فَإِذَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلَا أَدْرِي أَحُوسِبَ بِصَعْقَتِهِ يَوْمَ الطُّورِ، أَوْ بُعِثَ قَبْلِي، وَلَا أَقُولُ: إِنَّ أَحَدًا أَفْضَلُ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ».[1]

والجمع بين الآيات التي تفيد التفضيل والأحاديث التي ورد فيها النهي عن التفضيل، أنه يقال التفضيل بين الرسل ثابت بكتاب الله تعالى وسنة رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعَنْ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ».[2]

والنهي الوارد في السنة إذا كان التفضيلُ على سبيلِ التَّنَقُّصِ من المفضولِ، لذلك ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، في هذا المقام يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لاَ يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ: أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى».[3]

لأنه قد ورد في القرآن عتاب الله تعالى له؛ كما قال تعالى: ﴿فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾.[4]

أي: فَعَلَ مَا يُلَامُ عَلَيْهِ.

وقيل: يجوز تَفْضِيلُ بَعْضِ الْأَنْبِيَاءِ عَلَى بَعْضٍ دُونَ تَعْيِينِ مَفْضُولٍ.

والأول أولى لما ثبت عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».[5]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ وَفَاةِ مُوسَى وَذِكْرِهِ بَعْدُ، حديث رقم: ٣٤٠٨، ومسلم– كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ مُوسَى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٢٣٧٣

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ تَفْضِيلِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى جَمِيعِ الْخَلَائِقِ، حديث رقم: ٢٢٧٨

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ المُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩]، حديث رقم: ٣٤١٦، ومسلم– كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابٌ فِي ذِكْرِ يُونُسَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «لَا يَنْبَغِي لِعَبْدٍ أَنْ يَقُولَ أَنَا خَيْرٌ مِنْ يُونُسَ بْنِ مَتَّى»، حديث رقم: ٢٣٧٦

٤ – سُورَةُ الصافات: الْآيَةُ/ ١٤٢

٥ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٤٦٣١، وحسنه الألباني

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ﴾، وَلَمْ يَقُلْ أُولَئِكَ الرُّسُلُ، لتقدير لفظِ الْجَمَاعَةِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: (تِلْكَ الْجَمَاعَةُ الرُّسُلُ....)، وَالْإِشَارَةُ إِلَى الرُّسُلِ جميعًا الذين ذكرهم الله تعالى في الآية السابقة بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾.

إشارة إلى آدَمَ وَمُوسَى وَمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ﴾.[2]

والله تعالى يتكلم بما شاء، وقتما شاء كيفما شاء، ولا يحل لأحد أن ينكر تكلم الله تعالى ولا تكليمه لبعض خلقه، بدعوى أنه سيكون مشابهًا للحوادث، بعد أن أثبت الله تعالى تلك الصفة لنفسه.

وليس المراد بالكلام مجرد الوحي؛ لأن الله تبارك وتعالى فرّق بين الإيحاء والتكلم من وراء حجاب؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وما كانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْياً أَوْ مِنْ وَراءِ حِجابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ ما يَشاءُ﴾.[3]

قوله: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ﴾.

أي: أَنَّه تعالى جعلَ مَرَاتِبَ الرُّسُلِ مُتَفَاوِتَةً، فاتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، وَكَلَّمَ مُوسى تَكْلِيماً، وَجَمَعَ لِدَاوُدَ الْمُلْكَ وَالنُّبُوَّةَ، وَسَخَّرَ لِسُلَيْمَانَ الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالطَّيْرَ وَالرِّيحَ، وَأرسلَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الْإِنْسِ وَالْجِنِّ وَجعلَ شَرِيعَتَهُ نَاسِخَةً لِكُلِّ الشَّرَائِعِ.

---

١ - سورة النِّسَاء: الآية/ ١٦٤

٢ - سورة الأعراف: الآية/ ١٤٣

٣ - سورة الشورى: الآية/ ٥١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾.

أعطيناه الْحُجَجَ الواضحاتِ، وَالدَّلَائِلَ الْقَاطِعَاتِ عَلَى صِحَّةِ رسالتِهِ، وَأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، وَأَيَّدَهُ اللَّهَ تعالى بِرُوحِ الْقُدُسِ وهو جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ نزلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ﴾.[1]

قوله: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنِ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

بعد ذكر الله تعالى للرسل وبيان تفاوت مراتبهم، وتكليم الله تعالى لموسى، وَإيتاء عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ، بَيَّنَ حال أممهم وما اصابهم مِنْ بَعْدِهِمْ، وفِي الْكَلَامِ حَذَفٌ مقدرٌ، وتَقْدِيرُه: (فَاخْتَلَفَتْ أُمَمُهُمْ وَاقْتَتَلُوا مِنْ بعدِهِم)؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ وَأَنزلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾.[2]

لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا، ولكن ما شاء ذلك، وتلك المشيئة المنفية هي المشيئة الكونية، وأما المشيئة الشرعية فقد نهى الله تعالى عن الإختلاف والاقتتال في غير ما آية.

وفِي الآية دليلٌ على أن كل شيء بقَضَاءٍ وَقَدَرٍ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾.[3]

والمراد بالْبَيِّنَاتِ الدلائلُ الواضحاتُ على صدقِ الرسلِ عليهم السلام، فلمَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بها والتزم أحكام الشريعة التي جاء بها الرسول، وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ بها وأعرض عن الإلتزام بشرع الله تعالى، ثم آل اختلافهم إلى الاقتتال.

---

١ - سورة النَّحْلِ: الآية/ ١٠٢

٢ - سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢١٣

٣ - سُورَةُ الْقَمَرِ: الآية/ ٤٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا﴾.

لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا ولكنها سنة الله تعالى في خلقه التي لا تتبدل ولا تتخلف، فإنه تعالى لَوْ شَاءَ لَمْ يَخْتَلِفُوا، وَإِذَا لَمْ يَخْتَلِفُوا لَمْ يَقْتَتِلُوا.

قَالَ الفخر الرازي: قَالَ الْوَاحِدِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى: إِنَّمَا كَرَّرَهُ تَأْكِيدًا لِلْكَلَامِ وَتَكْذِيبًا لِمَنْ زَعَمَ أَنَّهُمْ فَعَلُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ وَلَمْ يَجْرِ بِهِ قَضَاءٌ وَلَا قَدَرٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.[1]

﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾.

فَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا. وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا، لا راد لأمره ولا معقب لحكمه.

الأساليب البلاغية:

قال أبو حيان: وَتَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ مِنْ أَنْوَاعِ الْبَلَاغَةِ: التَّقْسِيمَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾، بِلَا وَاسِطَةٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَهُ بِوَاسِطَةٍ، وَهَذَا التَّقْسِيمُ اقْتَضَاهُ الْمَعْنَى، وَفِي قَوْلِهِ ﴿فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ﴾، وَهَذَا التَّقْسِيمُ ملفوظ به. والاختصاص، مشارا إليه ومنصوصًا عليه، والتكرار فِي لَفْظِ الْبَيِّنَاتِ، وَفِي: وَلَوْ شاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلُوا عَلَى أَحَدِ التَّأْوِيلَيْنِ. والحذف، فِي قَوْلِهِ: ﴿مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ﴾، أَيْ كِفَاحًا وَفِي قَوْلِهِ: ﴿يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾، يَعْنِي مِنْ هِدَايَةِ مَنْ شَاءَ وَضَلَالَةِ مَنْ شَاءَ.[2]

---

١ - مفاتيح الغيب (٦/ ٥٣٠)

٢ - البحر المحيط في التفسير (٢/ ٦٠٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.[1]

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى الِاخْتِلَافَ النَّاسِ إِلَى مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وترتب على هذا الاختلاف اقْتِتَالٌ، ومن أعظم أسباب الاقتتال بعد الرسل التفريط في أحكام الله المنزلة على الرسل ومنها أداء الزكاة، لا جرم أمر الله تعالى بأدائها وحذر من التفريط فيها، لما جبل عليه الإنسان من حب المال.

وقد وقع الاقتتال في هذه الأمة بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين ارتد مانعوا الزكاة، فقاتلهم المؤمنون حتى ردوهم إلى حظيرة الإسلام.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾.

أمر الله تعالى المؤمنين بالإنفاق مِمَّا رَزَقَهُمْ في أوجه الخيرِ؛ لما في الإنفاق من أجر عظيم يتحسر المسلم على فواته إذا حضره الموت؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.[2]

وقوله تعالى: ﴿مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ﴾، تذكير بأن المال مال الله تعالى، والعباد مستخلفون فيه، حتى تسمح بالبذل نفوسهم.

﴿مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفَاعَةٌ﴾.

إذا عض الإنسان يديه ندمًا يوم القيامة ألا يكون من المتصدقين، تواردت عليه الخواطر التي كانت تتوارد عليه في الدنيا عند العوز والحاجة، وأولها أن يبيع شيئًا يفك به ضائقته، ويفرج به كربته؛ لأنَّ البيعَ أسرعُ طريقٍ للربحِ.

---

١ - سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَة/ ٢٥٤

٢ - سُورَةُ الْمُنَافِقُونَ: الْآيَة/ ١٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَأَتَى نَفْيُ البيعِ؛ لأنه لا مِلْكَ لِأَحَدٍ مع الله تعالى يوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾.[1]

فإذا انتفى البيع تذكر من كان يلجأ إليه عند الشدائد، ويستعين به في الملمات، من خلانه الأوفياء، وأصفيائه المقربين – وَالْخُلَّةُ أرفع درجات الْمَوَدَّةِ – فإذا كل مودة قطيعة، وكل خلة عداوة؛ ﴿الأخِلاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلا الْمُتَّقِينَ﴾.[2]

ومن كانت مودته لله، وخلته على طاعته أتاه ما يشغله عن حبيبه، ويذهله عن خليله، ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلا يَتَسَاءَلُونَ﴾.[3]

فإذا انقطعت العلائق، وتصرمت حبال المودة، هام عقله في كل وادٍ بحثًا عمن يشفع له، فيجد باب الشفاعة موصودًا، ولا يجد حبلها الذي كان في الدنيا ممدودًا؛ لأنه لا يشفع أحدٌ عند الله إلا بإذنه ؛ كما قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.[4]

أو يشفع أحدٌ لمن لم يرض اللهُ تعالى أن يُشفع له؛ كما قال تعالى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾.[5]

﴿وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾

تذييلٌ لبيانِ أولئك الذين لا تنفعهم خلةٌ ولا شفاعةٌ، وأَنه لَا ظَالِمَ أَظْلَمَ مِمَّنْ وَافَى اللَّهَ يَوْمَئِذٍ كَافِرًا.

---

١ – سُورَةُ الْفَاتِحَةِ: الْآيَةُ/ ٤

٢ – سُورَةُ الزُّخْرُفِ: الْآيَةُ/ ٦٧

٣ – سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ: الْآيَةُ/ ١٠١

٤ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الآية/ ٢٥٥

٥ – سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٢٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.[1]

هَذِهِ الآيَةُ هِيَ أَفْضَلُ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى؛ فَعَنْ أُبَيّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ؟» قَالَ: قُلْتُ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: «وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ».[2]

ومن فضلها أنها من أعظمِ أسبابِ حفظِ المؤمنِ من الشياطين؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: وَكَّلَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتُهُ، وَقُلْتُ: وَاللَّهِ لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: إِنِّي مُحْتَاجٌ، وَعَلَيَّ عِيَالٌ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ: فَخَلَّيْتُ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ، وَسَيَعُودُ»، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ، لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ سَيَعُودُ، فَرَصَدْتُهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: دَعْنِي فَإِنِّي مُحْتَاجٌ وَعَلَيَّ عِيَالٌ، لاَ أَعُودُ، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ شَكَا حَاجَةً شَدِيدَةً، وَعِيَالًا، فَرَحِمْتُهُ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ»، فَرَصَدْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ، فَأَخَذْتُهُ، فَقُلْتُ: لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ، وَهَذَا آخِرُ ثَلاَثِ مَرَّاتٍ، أَنَّكَ تَزْعُمُ لاَ تَعُودُ، ثُمَّ

---

١ – سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٥٤

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ الْكَهْفِ، وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ، حديث رقم: ٨١٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَعُودُ قَالَ: دَعْنِي أُعَلِّمْكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا، قُلْتُ: مَا هُوَ؟ قَالَ: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ، فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ البَارِحَةَ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، زَعَمَ أَنَّهُ يُعَلِّمُنِي كَلِمَاتٍ يَنْفَعُنِي اللَّهُ بِهَا، فَخَلَّيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ: «مَا هِيَ»، قُلْتُ: قَالَ لِي: إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الكُرْسِيِّ مِنْ أَوَّلِهَا حَتَّى تَخْتِمَ الآيَةَ: ﴿اللهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وَقَالَ لِي: لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلاَ يَقْرَبَكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تُصْبِحَ - وَكَانُوا أَحْرَصَ شَيْءٍ عَلَى الخَيْرِ - فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ، تَعْلَمُ مَنْ تُخَاطِبُ مُنْذُ ثَلاَثِ لَيَالٍ يَا أَبَا هُرَيْرَةَ»، قَالَ: لاَ، قَالَ: «ذَاكَ شَيْطَانٌ».[1]

ومن فضل هذه الآية العظيمة أنها تشتمل على اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أَعْطَى.

رَوَى ابن ماجه، والحاكم، والطبراني في الكبير، والأوسط عن الْقَاسِمِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ لَفِي ثَلَاثِ سُوَرٍ مِنَ الْقُرْآنِ: فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَآلِ عِمْرَانَ، وَطَهَ " فَالْتَمَسْتُهَا فَوَجَدْتُ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ آيَةَ الْكُرْسِيِّ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥] ، وَفِي سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ: ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [آل عمران: ٢] ، وَفِي سُورَةِ طَهَ: ﴿وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ﴾ [طه: ١١١].[2]

---

١ - رواه البخاري- كِتَاب الوَكَالَةِ، بَابُ إِذَا وَكَّلَ رَجُلًا، فَتَرَكَ الوَكِيلُ شَيْئًا فَأَجَازَهُ المُوَكِّلُ فَهُوَ جَائِزٌ، وَإِنْ أَقْرَضَهُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى جَازَ، حديث رقم: ٢٣١١

٢ - رواه ابن ماجه- بَابُ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، حديث رقم: ٣٨٥٦، والحاكم- كِتَابُ الدُّعَاءِ، وَالتَّكْبِيرِ، وَالتَّهْلِيلِ، وَالتَّسْبِيحِ وَالذِّكْرِ، حديث رقم: ١٨٦١، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٧٧٥٨، والأوسط- حديث رقم: ٨٣٧١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَروى الإمام أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بسند حسن، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ يَزِيدَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾، وَ ﴿الم اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ إِنَّ فِيهِمَا اسْمَ اللهِ الْأَعْظَمَ».[1]

ومن فضلِ آيَةِ الْكُرْسِيِّ أنَّ مَنْ قَرَأَها دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ؛ فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ مَكْتُوبَةٍ لَمْ يَمْنَعْهُ مِنْ دُخُولِ الْجَنَّةِ إِلَّا أَنْ يَمُوتَ».[2]

اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ العظيمةُ المباركةُ عَلَى عَشْرِ جُمَلٍ مُسْتَقِلَّةٍ، تقوم كل جملة بذاتها ولا تحتاج إلى غيرها، بلغت الغاية في نعوت الجلال، وصفات الكمال.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

افتتحت الآية بلفظ الجلالة ﴿اللَّهُ﴾ الذي هو أَعْرَفُ الْمَعَارِفِ، والذي يلقي الروع في القلوب، ويأخذ بأَزِمَّةِ النفوسِ، فلا عَجَبَ أن تتحاشي الشياطين قارئها فلا تقربه حتى يصبح، والإخبار عنه بـ ﴿لَا إِلَهَ إِلا هُوَ﴾. للدَلَالَةِ عَلَى التَّوْحِيدِ، وَنَفْيِ الْألوهيةِ عَنْ غيرِهِ تَعَالَى، فاللَّهُ الذي لا سمي له لا شريك له في خلقه، ولا يستحق العبادة سواه.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٧٦١١، ورواه أبو داود- بَابُ تَفْرِيعِ أَبْوَابِ الْوِتْرِ، بَابُ الدُّعَاءِ، حديث رقم: ١٤٩٦، بلفظ: «اسْمُ اللَّهِ الْأَعْظَمُ فِي هَاتَيْنِ الْآيَتَيْنِ ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ١٦٣]»، والترمذي- أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٣٤٧٨، وابن ماجه-كِتَابُ الدُّعَاءِ، بَابُ اسْمِ اللَّهِ الْأَعْظَمِ، حديث رقم: ٣٨٥٥، بسند حسن

٢ - رواه النسائي في السنن الكبرى- كِتَابُ عَمَلِ الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ، ثَوَابُ مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ دُبُرَ كُلِّ صَلَاةٍ، حديث رقم: ٩٨٤٨، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٧٥٣٢، والأوسط- حديث رقم: ٨٠٦٨، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

فهو سبحانه وتعالى حَيٌّ بِحَيَاةٍ كَامِلَةٍ لَمْ تَزَلْ وَلَا تَزُولُ، وحياة غيره ناقصة، لها ابتداء بعد أن لم تكن؛ كما قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ قَبْلَهُ».[1]

ومآلها إلى الموت والفناء؛ كما قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ * وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ﴾.[2]

وهو سبحانه وتعالى قَيُّومٌ، مُبَالغَةٌ فِي الْقِيَامِ، والْقَيُّومُ هو: الدَّائِمُ الْقِيَامِ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ وَحِفْظِهِم، فَجَمِيعُهم مُفْتَقِرُون إِلَيْهِ، لَا قَوَامَ لَهَم بِدُونِه، وَهُوَ غَنِيٌّ عَنْهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ﴾.[3]

كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ بِأَمْرِهِ﴾.[4]

﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾.

لَا تَغْلِبُهُ سِنَةٌ وَهِيَ الْوَسَنُ وَالنُّعَاسُ، ﴿وَلا نَوْمٌ﴾، وهو من باب الترقي في الكلام؛ لِأَنَّ النَّوْمَ أَقْوَى مِنَ السِّنَةِ، فإذا كان لَا تَغْلِبُهُ سِنَةٌ، فبالأحرى لَا يَغْلِبُهُ نَوْمٌ.

وَنَفْيُ أَخْذِ السُّنَّةِ وَالنَّوْمِ لَهُ يَتَضَمَّنُ كَمَالَ حَيَاتِهِ وَقَيُّومِيَّتِهِ؛ لأنَّ نَفْيَ السُّوءِ وَالنَّقْصِ عَنْهُ يَتَضَمَّنُ إِثْبَاتَ مَحَاسِنِهِ وَكَمَالَهُ سبحانه وتعالى.

﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

جَمِيعُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِلْكٌ لَهُ، وَتَحْتَ قَهْرِهِ وَسُلْطَانِهِ، وَأَهْلُهُمَا عَبِيدٌ أَرِقَّاءُ أَذِلَّاءُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وعبر ب: ﴿مَا﴾، التي لغير العاقل لتفيد الْعُمُومَ وتَشْمَل كُلَّ مَوْجُودٍ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ ﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الماءِ﴾ [هود: ٧]، ﴿وَهُوَ رَبُّ العَرْشِ العَظِيمِ﴾ [التوبة: ١٢٩]، حديث رقم: ٧٤١٨

٢ - سورة الرَّحْمَنِ: الآية/ ٢٦، ٢٧

٣ - سورة الرَّعْد: الآية/ ٣٣

٤ - سورة الرُّوم: الآية/ ٢٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾.

هذا إِنْكَارٌ شديدٌ يتضمنُ الوعيد لمنْ يَزْعُمُ أَنَّ أَحَدًا مِنْ عِبَادِ اللهِ يَقْدِرُ عَلَى أَنْ يَنْفَعَ أَحَدًا مِنْهُمْ بِشَفَاعَةٍ لم يأذنْ بها الله تعالى، ومِنَ الخطأ أَنْ يقال: إِنَّ ﴿ذَا﴾ زَائِدَةٌ، فليس في القرآن شيءٌ زَائِدٌ، بل هذه الكلمة لها من القوة في هذا الموطن، ما يزلزل الأفئدة، ويقطع نياط القلوب من الفزع، وأين قول القائل: (من هذا الذي يتجرأ عليَّ)، من قوله: (من الذي يتجرأ عليَّ)؟

والشفاعة شفاعتان: منفية ومثبتة، فالمنفية التي يعتقدها الكفار؛ كما في قوله تَعَالَى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾.[1]

وكما في قوله تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾.[2] والشفاعة المثبتة هي التي توفر فيها شرطان: إذن الله تعالى للشافع أن يشفع ورضاه عن المشفوع فيه؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلا مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى﴾.[3]

وَكَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلا يَشْفَعُونَ إِلا لِمَنِ ارْتَضَى﴾.[4]

﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾.

الضمير في ﴿أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾، يعودُ على جَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، فهو تعالى قد أَحَاطَ عِلْمُهُ بِجَمِيعِ الْكَائِنَاتِ، يعلم مَا تَقَدَّمَ قبلَ وجودهم، وَيعلم مَا يَخْلُفُهُم بَعْدَ فنائهم، ولا يعزب عن علمه شيء في الأرض ولا في السماء.

---

١ – سُورَةُ يُونُسَ: الْآيَةُ/ ١٩

٢ – سُورَةُ الزُّمَرِ: الْآيَةُ/ ٣

٣ – سُورَةُ النَّجْمِ: الْآيَةُ/ ٢٦

٤ – سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الْآيَةُ/ ٢٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾.

وهم لَا يَطَّلِعُون عَلَى شَيْءٍ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ إلا بِمَا أَطْلَعَهُم اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ، فلَا عِلْمَ لِأَحَدٍ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَعْلَمَهُ، وكل عِلْمٍ فالله تعالى مصدره، وإذا عجزوا عن أن يحيطوا بشيء من علم الله تعالى، فهم عن الإحاطة بذاته وصفاته أعجز.

قوله تَعَالَى: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

الْكُرْسِيُّ هو مَوْضِعُ قَدَمَيْ الرب تبارك وتعالى؛ فقد ثبت عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «الْكُرْسِيُّ مَوْضِعُ قَدَمَيْهِ، وَالْعَرْشُ لَا يُقْدَرُ قَدْرُهُ».[1]

ومثل هذا الكلام مِنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، لا يقال من قبيل الرأي، فله حكم الرفع، ومما يدل على ذلك ما ثبت عَنْ أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَحْدَهُ فَجَلَسْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُّ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَيْكَ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «آيَةُ الْكُرْسِيُّ، مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ، وَفَضْلُ الْعَرْشِ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ تِلْكَ الْفَلَاةِ عَلَى تِلْكَ الْحَلْقَةِ».[2]

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَوْ أن السموات السَّبْعَ وَالْأَرْضِينَ السَّبْعَ بُسِطْنَ ثُمَّ وُصِلْنَ بَعْضُهُنَّ إِلَى بَعْضٍ مَا كُنَّ فِي سِعَةِ الْكُرْسِيِّ إِلَّا بِمَنْزِلَةِ الْحَلْقَةِ فِي الْمَفَازَةِ.

وقد روي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أنه قَالَ: ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ﴾: عِلْمُهُ، والراجح القول الأول.

وَرَوَى عَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ: الْكُرْسِيُّ هُوَ الْعَرْشُ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْكُرْسِيَّ غَيْرُ الْعَرْشِ، لما تقدم من حديث أَبِي ذَرٍّ الْغِفَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وللآثار الواردة عن ابن عباس وغيره.

---

١ - رواه الحاكم- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، مِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، حديث رقم: ٣١١٦، وابن خزيمة في كتاب التوحيد- بَابُ ذِكْرِ اسْتِوَاءِ خَالِقِنَا الْعَلِيِّ الْأَعْلَى الْفَعَّالِ لِمَا يَشَاءُ، عَلَى عَرْشِهِ فَكَانَ فَوْقَهُ، وَفَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ عَالِيًا، (١/ ٢٤٩)، بسند صحيح

٢ - رواه ابن حبان في صحيحه- كِتَابُ الْبِرِّ وَالْإِحْسَانِ، بَابُ الصِّدْقِ وَالْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، ذِكْرُ الِاسْتِحْبَابِ لِلْمَرْءِ أَنْ يَكُونَ لَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ حَظٌّ رَجَاءَ التَّخَلُّصِ فِي الْعُقْبَى بِشَيْءٍ مِنْهَا، حديث رقم: ٣٦١، وأبو نعيم في الحلية (١/ ١٦٧)، وابن بطة في الإبانة- حديث رقم: ١٣٦، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَا يَثْقُلُ عَلَيْهِ حِفْظُهُمَا.

فلَا يَثْقُلُ حِفْظُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا وَلَا يَشُقُّ عَلَيْهِ ذلك، وهو على كل شيء قدير.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾.

هُوَ الْعَلِيُّ، أي له علو الذات سبحانه، فهو فوق سمواته، فوق عرشه، بائن من خلقه، ليس فيه شيء من خلقه، ولا في خلقه شيء منه سبحانه وتعالى، وله علو الشأن، وله علو القهر.

وَهُوَ الْعَظِيمُ فلا أعظم منه، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الَّذِي كَمُلَ فِي عَظَمَتِهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ».[1]

وَطَرِيقَةُ السَّلَفِ فِي آيَاتِ الصفات، وفي الأحاديث الْأَحَادِيثِ الصِّحَاحِ، التي ورد فيها شيءٌ من الصفات، إِمْرَارُهَا كَمَا جَاءَتْ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ وَلَا تَشْبِيهٍ، ولا تحريف ولا تأويل، كما قال العلماء.

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٨٨٩٤، وأبو داود- كِتَاب اللِّبَاسِ، بَابُ مَا جَاءَ فِي الْكِبْرِ، حديث رقم: ٤٠٩٠، وابن ماجه- كِتَابُ الزُّهْدِ، بَابُ الْبَرَاءَةُ مِنَ الْكِبْرِ وَالتَّوَاضُعُ، حديث رقم: ٤١٧٤، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ/ ٢٥٦

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة مَا ثَبَتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "كَانَتِ الْمَرْأَةُ تَكُونُ مِقْلَاتًا فَتَجْعَلُ عَلَى نَفْسِهَا إِنْ عَاشَ لَهَا وَلَدٌ أَنْ تُهَوِّدَهُ، فَلَمَّا أُجْلِيَتْ بَنُو النَّضِيرِ كَانَ فِيهِمْ مِنْ أَبْنَاءِ الْأَنْصَارِ فَقَالُوا: لَا نَدَعُ أَبْنَاءَنَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾. قَالَ أَبُو دَاوُدَ: "الْمِقْلَاتُ: الَّتِي لَا يَعِيشُ لَهَا وَلَدٌ".[1]

لما أمرَ الله تعالى بِالْقِتَالِ فِي سَبِيلِه بقَوْلِهِ: ﴿وَقاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾. [الْبَقَرَة: ٢٤٤] ربما توهم متوهمٌ أَنَّ الْقِتَالَ من أَجْلِ إِكْرَاهِ الناس عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ، فأتت هذه الآية لإزالة هذا اللبس، ورفع هذا الوهم، فلم يشرع الْقِتَالُ لِأَجْلِ سَفْكِ الدِّمَاءِ وَإِزْهَاقِ الْأَرْوَاحِ، وَلَا لِأَجْلِ الغنائم، وإنما شرع الجهاد لِحِمَايَةِ الدُّعَاةِ وَنَشْرِ الدَّعْوَةِ، لا لإكراه الناس على الإسلام كما يروج أعداءُ الإسلامِ، وأذنابُهم ممن لف لفهم، وسار في ركابهم، والذي يعتقد أَنَّ الجِهَادَ كَارِثَةٌ عَلَى الإِنْسَانِيَةِ، وَأَنَّ الْعَقَائِدَ الْإِسْلَامِيَّةَ خَطَرٌ عَلَى الْمَدَنِيَّةِ، فهو كافرٌ باللهِ تَعَالَى.

وَالْإِكْرَاهُ هو حَمْلُ إنسانٍ بِالتَخْوِيفِ والإرهابِ عَلَى فِعْلِ المكْرُوهِ.

والألف واللام في ﴿الدِّينِ﴾، للعهد، والمعنى: لَا تُكْرِهُوا أَحَدًا عَلَى الدُّخُولِ فِي الْإِسْلَامِ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تعالى لَمْ يُرِدْ الْإِيمَانَ من الناسِ جَبْرًا وكرهًا، وَلَكِنْ طواعيةً وَاخْتِيَارًا.

وأما قَولُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَى قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾، [الفتح: ١٦]، فمحمول على الوثنيين أو المرتدين، وهؤلاء لا تُقبلُ منهم الْجِزْيَةُ.

---

١ - رواه أبو داود- كِتَاب الْجِهَادِ، بَابٌ فِي الْأَسِيرِ يُكْرَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ، حديث رقم: ٢٦٨٢، وابن حبان-كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ التَّكْلِيفِ، ذِكْرُ الْإِخْبَارِ عَنِ الْحَالَةِ الَّتِي مِنْ أَجْلِهَا أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦] حديث رقم: ١٤٠، والطبري (٤/ ٥٤٦)، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾.

الرُّشْدُ: مَصْدَرُ رَشَدَ، ومعناه: سَدَادُ الرَّأْيِ، وَإِصَابَةُ الْحَقِّ، الْغَيُّ مَصْدَرُ غَوَى، ومعناه: السَّفَهُ وَالضَّلَالُ.

فقد تَمَيَّز الحقُ من الباطلِ وظَهَرَ أَنَّ هَذَا الدِّينَ رُشْدٌ وهُدَى، وهو أمر ظاهرٌ بَيِّنٌ، وَوَاضِحٌ غاية الوضوح لمن أراد الهدايةَ؛ لأنه دين الفطرة، لَا يَحْتَاجُ إِلَى أَنْ يُكْرَهَ أَحَدٌ عَلَى الدُّخُولِ فِيهِ.

﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾.

الطَّاغُوتُ: صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ من الطُّغْيَانِ، كَالْمَلَكُوتِ مِنَ الْمُلْكِ، والْجَبَرُوتِ مِنَ التَّجَبُّرِ، والرَهَبُوتِ مِنَ التَّرهُبِ، ويطلق على الواحد؛ كما في قوله تَعَالَى: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَنْ يَكْفُرُوا بِهِ﴾.[1]

ويطلق على الجمع؛ كَمَا فِي قَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾.[2]

وَيُجْمَعُ الطَّاغُوتَ عَلَى طَوَاغِيتَ.

الطَّاغُوتُ: هو كُلُّ مَا عُبِدَ مِنْ دُونِهِ تعالى ورضي بذلك، سواءً كان إِنسَانًا، أَوْ شَيْطَانًا، أَوْ صَنَمًا.

وقال ابْنُ جُرَيْجٍ: الطَّوَاغِيتِ كُهَّانٌ تَنْزِلُ عَلَيْهَا شَيَاطِينُ يُلْقُونَ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ وَقُلُوبِهِمْ.

وَقَالَ: أَخْبَرَنِي أَبُو الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّهُ سُئِلَ عَنِ الطَّوَاغِيتِ الَّتِي كَانُوا يَتَحَاكَمُونَ إِلَيْهَا، فَقَالَ: «كَانَ فِي جُهَيْنَةَ وَاحِدٌ، وَفِي أَسْلَمَ وَاحِدٌ، وَفِي كُلِّ حَيٍّ وَاحِدٌ، وَهِيَ كُهَّانٌ يَنْزِلُ عَلَيْهَا الشَّيْطَانُ».[3]

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٦٠

٢ – سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٥٧

٣ – تفسير الطبري– ط: هجر (٤/ ٥٥٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيل: الطَّاغُوتُ: شَيْطَانٌ. والراجح القول الأول؛ لقَولِهِ تَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾.[1]

وقد جعل الله تعالى الكفر بكُلِّ ما عُبِدَ مِنْ دُونِهِ تعالى شرطًا في الإيمان، لذلك يلزمُ من كان يعبد غير الله تعالى للدخول في الإسلام أن يكفر بما كان يَعْبدُ قبلَ إسلامِهِ؛ فَعَنْ عُبَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ العَمَلِ».[2]

قوله تَعَالَى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ﴾.

الْعُرْوَةُ: الشيء المستدير الذي يعلق فيه غيره، وتستعار لما يوثق به ويعول عليه، وقيل للإسلام عروة؛ لأنَّ من اعتصم به نجا.

الِانْفِصَامُ: الِانْقِطَاعُ، وَالِانْكِسَارُ مِنْ غَيْرِ بَيْنُونَةٍ، وَالْقَصْمُ بِالْقَافِ الْكَسْرُ بِبَيْنُونَةٍ.

وَالْمُرَادُ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَقِيلَ: الْإِيمَانُ، وَقِيلَ: الْإِسْلَامُ، ولا منافاة بينها.

فَمَنْ خَلَعَ مَا يُعْبَدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنَ الْأَنْدَادَ، وَوَحَّدَ اللَّهَ وَعَبَدَهُ دون سواه؛ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بحبل الله المتين، وَاسْتَقَامَ عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ الذي لا منتهى له دُونَ الْجَنَّةِ.

عَنْ مُعَاذٍ أَنَّهُ سُئِلَ عَنْ قَوْلِهِ: لَا انْفِصامَ لَها. فقَالَ: لَا انْقِطَاعَ لَهَا دُونَ دُخُولِ الْجَنَّةِ. رواه ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

سَمِيعٌ لمنْ تَكَلَّمَ بِالإيمَانِ، وَمَنْ تَكَلَّمَ بِالْكُفْرِ، عَلِيمٌ بالنِّيَاتِ فَلَا يُخَادَعُ.

---

١ – سُورَةُ الزُّمَرِ: الْآيَةُ/ ١٧

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿يَا أَهْلَ الكِتَابِ لاَ تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾، حديث رقم: ٣٤٣٥، ومسلم–كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ مَنْ لَقِي اللهَ بِالْإِيمَانِ وَهُو غَيْرُ شَاكٍّ فِيهِ دَخَلَ الْجَنَّةَ وَحُرِّمَ عَلَى النَّارِ، حديث رقم: ٢٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأساليب البلاغية:

الطباق بين لفظ: ﴿الرُّشْدُ﴾. ولفظ: ﴿الْغَيِّ﴾، وبين لفظ: ﴿يَكْفُرْ﴾. ولفظ: ﴿يُؤْمِنْ﴾.

في قوله تعالى: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾. استعارة تمثيلية، قال الزمخشري: وهذا تمثيل للمعلوم بالنظر، والاستدلال بالمشاهد المحسوس، حتى يتصوّره السامع كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده والتيقن به.

ومنها اضمار لفظ: (الَّتِي) في قوله: ﴿فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا﴾.

ومعنى الْآيَةِ: (فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى الَّتِي لَا انْفِصَامَ لَهَا)، وَالْعَرَبُ تُضْمِرُ (الَّتِي) وَ (الَّذِي) وَ (مَنْ) وَتَكْتَفِي بِصَلَاتِهَا؛ ومن ذلك قَولُه تعالى: ﴿وَما مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ﴾.[1]

ومعنى الآية: (وَما مِنَّا إِلَّا مَنْ لَهُ مَقامٌ مَعْلُومٌ).

١ - سورة الصَّافَّاتِ: الاية/ ١٦٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٥٧

الولاية تتضمن عدة معان منها: النصرة والمحبة والتوفيق، فاللهُ تَعَالَى نَاصِرٌ لعباده المؤمنين وَمُعِينٌ وَمُحِبٌّ لهم، وَمُتَوَلِّي أُمُورَهُمْ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾.[1]

والمؤمنون أولياء لله تعالى يحبونه وينصرون دينه، ويحبون مَنْ آمن به وينصرونهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.[2]

﴿يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾.

يُخْرِجُهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الكفرِ إِلَى نُورِ الإسلامِ بما هداهم إليه من الإيمانِ، وبما أنزله من القرآن، وبما شرعه لهم من أحكام.

وعبر بصيغة المضارع، ﴿يُخْرِجُهُمْ﴾، ليدل على استدامة الهدى وزيادتهِ.

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾.

وَالَّذِينَ كَفَرُوا لا حظ لهم من ولاية الله، فلا نصيب لهم من حبه، ولا توفيقه، ولا نصره، إنما يتولاهم من اتخذوهم أندادًا يعبدونهم من دون الله، فيشرعون لهم ما لم يأذن به الله، فيكون سبب غوايتهم، وضلالهم وكفرهم؛ فيسلكون بهم سبل الضلالة؛ كما ثبت عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: «أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي

١ - سُورَةُ محمدٍ: الْآيَةُ/ ١١

٢ - سُورَةُ المائدةِ: الْآيَةُ/ ٥٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا».[1]

وذُكِرَ لفْظُ: ﴿الطَّاغُوتُ﴾، هنا مجموعًا لتعدُّدِ ما يُعْبَدُ من دونِ اللهِ تعالى، وجُمِعَ لفظُ: ﴿الظُّلُمَاتِ﴾، لكثرة سبلِ الضلالِ، وتنوع الكفرِ، وأُفْرِدَ ﴿النُّورِ﴾، لأن السبيل إلى الله تعالى واحدٌ لا يتعدد.

وعبر بصيغة المضارع، ﴿يُخْرِجُونَهُمْ﴾، ليدل على استدامةِ الضلال وزيادتهِ كذلك.

وسمى الله تعالى الكفر ظلمة لالتباس طريقه؛ فيضيع فيه الخابط ويضل القاصد؛ ولأن عاقبة الكفر مظلمة بالجحيم والعذاب، وسمى الإسلام نورًا لوضوح طريقه؛ فيؤمه الجائرُ ويهتدي به الحائرُ؛ ولأن عاقبة الإيمان مضيئة بالنعيم والثواب.

قَالَ الْوَاقِدِيُّ: كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ مِنَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورِ فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهِ الْكُفْرَ وَالْإِيمَانَ غَيْرَ الَّتِي فِي الْأَنْعَامِ، وَهُوَ: وَجَعَلَ الظُّلُماتِ وَالنُّورَ فَإِنَّهُ أَرَادَ بِهِ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ.

﴿أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

حكم عليهم بالخلود في النار؛ لأن الكفر سيئة لا تنفع معها حسنة.

---

١ - رواه مسلم- كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ، حديث رقم: ٢٨٦٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ/ ٢٥٨

﴿أَلَمْ تَرَ﴾، كَلِمَةٌ لَفْظُهَا لَفْظُ السؤالِ، والمرادُ مِنْهَا التَعَجُّبُ، وَمَعْنَاهَا: هَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ؟

وَالْعَرَبُ إِذَا أَرَادَتِ أن تتعجب مِنْ فِعْلِ رَجُلٍ قالت: أَلَمْ تَرَ إِلَى فُلَانٍ كَيْفَ يَصْنَعُ؟

قَالَ مُجَاهِدٌ وقَتَادَةُ والسُّدِّيُّ: هُوَ نُمْرُوذُ بْنُ كَنْعَانَ وَهُوَ مَلِكُ بَابِلَ، وَصَاحِبُ الصَّرْحِ.

وهو أحدُ أربعةٍ مَلَكُوا الدُّنْيَا؛ قَالَ مُجَاهِدٌ: وَمَلَكَ الدُّنْيَا مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا أَرْبَعَةٌ: مُؤْمِنَانِ وَكَافِرَانِ فَالْمُؤْمِنَانِ: سُلَيْمَانُ بْنُ دَاوُدَ وَذُو الْقَرْنَيْنِ. وَالْكَافِرَانِ: نُمْرُودُ بْنُ كَنْعَانَ وَبُخْتَنَصَّرُ.

وَكان قد ادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ، لِأَنَّ اللَّهَ آتَاهُ الْمُلْكَ، فحمله الْمُلْكُ على الكبرِ والبطرِ والتجبرِ، فحَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ، والمحَاجَّةُ: الْمُخَاصَمَةُ بِالبَاطِلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَتَحاجُّونَ فِي النَّارِ﴾ [غَافِر: ٤٧] مَعَ قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ذلِكَ لَحَقٌّ تَخاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.[1]

وَكمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ﴾.[2]

وَغرَّهُ ملكُهُ فأَنْكَرَ هذا الجبارُ العنيدُ أَنْ يَكُونَ للكون إِلَهٌ، فادَّعَى الرُّبُوبِيَّةَ استعبد خلق الله تعالى، فلما دعاه إِبْرَاهِيمُ عليه السلام إلى الله أنكر ذلك أشد الإنكار، وطَالَبَ إِبْرَاهِيمَ بالدَلِيلِ عَلَى وُجُودِ الرَّبِّ الَّذِي يَدْعُو إِلَيْهِ.

فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، الدَّلِيلُ عَلَى وُجُودِهِ سبحانه أنه المتصرف في الخلق جمعًا بالإحياء والإماتةِ، فالكل خلقه وطوع أمره، وتحت سلطانه وقهره، وإنما ذكر هذين الفعلين الْإِحْيَاءَ وَالْإِمَاتَةَ؛ لأنهما يتكرران كل لحظة، وهما من أظهر دلائل وحدانية الله وقدرته.

---

١ - سُورَةُ ص: الآية/ ٦٤

٢ - سُورَةُ آل عمرَان: الآية/ ٢٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فقال الجبار العنيد: ﴿أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ﴾، عِنَادًا مِنْهُ وَمُكَابَرَةً، ونسب لنفسه من الصفات مالا ينبغي إلا لله تعالى، وكأنه توهم أن إبراهيم عليه السلام لن يجادله، كما اعتاد على هذا من رعيته؛ كما قال فِرْعَوْنُ لقومه: ﴿مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي﴾.[1]

لما ادعى النُمْرُوذُ بْنُ كَنْعَانَ أَنَّه يُحْيِي وَيُمِيتُ، انتقل به إبراهيم عليه السلام إلى أمرٍ يُظْهِرُ عَجْزَهُ، ويكشفُ عَوَارَهُ، ويقطعُ حُجْتَهُ.

﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾.

يعني إِذَا كُنْتَ كَمَا تَدَّعِي أَنَّكَ تَتَصَرَّفُ فِي الكونِ بالْإِحْيَاءِ وَالْإِمَاتَةِ، والخلقِ والتدبيرِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ، فهل تستطيعُ أَنْ تُغَيِّرَ حَرَكَاتَهَا فَتَأْتِي بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ؟

﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾.

فأُخْرِسَ ولم يَتَكَلَّمُ، وظهرَ عَجْزُهُ وَانْقَطَعَت حجته، وكأنه كان يتوقع أن يجادله إِبْرَاهِيمُ عليه السلام فِي الْإِحْيَاءِ والْإِمَاتَةِ، ليمد حبل الجدال، فلما عَدَلَ إِبْرَاهِيمُ عَنِ الِاعْتِرَاضِ على جوابه لِمَا عَلِمَ مِنْ مُكَابَرَتِهِ، وَانْتَقَلَ إِلَى مَا لَا يَسْتَطِيعُ ادعاءَهُ، بُهِتَ، وأُخْرِسَ لَمَّا فَاجَأَهُ بِمَا لا يستطيعُ دَفْعَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ﴾.[2]

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

لا يوفقهم الله تعالى للإيمان مهما رأوا من الدلائل والبراهين، لما أضمروا من الكفر، ولما اتصفوا به من الكبرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾.[3]

---

١ – سُورَةُ الْقَصَصِ: الآية/ ٣٨

٢ – سُورَةُ الْأَنْبِيَاء: الآية/ ٤٠

٣ – سُورَةُ الأعْرَافِ: الآية/ ١٤٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الأَلِيمَ﴾.[1]

١ - سُورَةُ يُونُسَ: الآية/ ٩٦، ٩٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٥٩

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾. مَعْطُوفٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾. في الآية السابقةِ، وَإِنَّمَا عُطِفَ عليه مع اخْتِلَافِ اللَّفْظِ، لِتَشَابُهِ الْمَعْنَى؛ لِأَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾. بِمَعْنَى: هَلْ رَأَيْتَ كَالَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ؟

ومثال العَطْفِ عَلَى الْمَعْنَى: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيها إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ﴾. [الْمُؤْمِنُونَ: ٨٤، ٨٥] ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ * سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ﴾. [الْمُؤْمِنُونَ: ٨٦، ٨٧]، فَهَذَا عَطْفٌ عَلَى الْمَعْنَى لِأَنَّ معناه: لِمَنِ السَّمَاوَاتُ؟ فَقِيلَ لِلَّهِ.

واخْتَلَفَ العلماءُ فِي هَذَا الْمَارِّ مَنْ هُوَ؟

فَقَالَ: جمهور المفسرين: هُوَ عُزَيْرٌ، وقيل: غيره، وقلنا قبل ذلك إن ما أبهمه القرآن فلا فائدة في البحث عنه؛ لأنَّ العبرةَ ليست في شخص هَذَا الْمَارِّ، إنما العبرة فيما حدث له.

تنبيه: زعم الأخفش أَنَّ «الْكَافَ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ﴾. زَائِدَةٌ، وَأَنَّ الْمَعْنَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾، (أَوِ الَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ).[1]

وقد تقدم التنبيه على أن القرآن ليس فيه شيء زائد، عند الكلام عن قول الله تعالى: ﴿قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.[2]

١ - انظر معاني القرآن للأخفش (١/ ١٩٧)

٢ - سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٤٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

فكل كلمة في القرآن لا يسد مسدها غيرها، وكل حرف فيه له معنى لا يتحقق المراد من الكلام بدونه، علم هذا من علمه وجهله من جهله.

وقد قلنا إِنَّ مَعْنَى الآية: هَلْ رَأَيْتَ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ؟

وَسُمِّيَتِ الْقَرْيَةُ قَرْيَةً لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا، مِنْ قَوْلِهِمْ: قَرَيْتُ الْمَاءَ أَيْ جَمَعْتُهُ، وَقِيلَ لَهَا قَرْيَةٌ إِذَا قَلَّ ساكنوها، وَإِذَا كَثُرُوا قِيلَ لَهَا مَدِينَةٌ، وَقِيلَ: تُسَمَّى قَرْيَةٌ لِاجْتِمَاعِ النَّاسِ فِيهَا على أمرٍ معين كدينٍ واحدٍ، أو حرفةٍ واحدةٍ، فإذا كان فيها أخلاطٌ تُسَمَّى مَدِينَةٌ.

وَقيل: الْقَرْيَةُ الْمَذْكُورَةُ هِيَ بَيْتُ الْمَقْدِسِ، مَرَّ عَلَيْهَا بَعْدَ تَخْرِيبِ بُخْتَنَصَّرَ لَهَا وَقَتْلِ أَهْلِهَا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا﴾.

أي: فَارِغَةٌ مِنْ أَهْلِهَا، مُتَهَدِّمَةٌ جُدْرَانُهَا عَلَى سُقُوفِهَا بَعْدَ سُقُوطِ السُّقُوفِ، وَالْعُرُوشُ جَمْعُ عَرْشٍ وَهُوَ السَّقْفُ، أي: مَرَّ عليها بَعْدَ خَرَابِهَا ولَيْسَ فِيهَا أَحَدٌ، بَعْدَ أن كانت عَامِرَةً، وقد تهدمت المباني، وبلغ من خرابها أن سقطت سُقُوفِهَا.

﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾.

يعني كيف يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها؟ اسْتِفْهَامُ إِنْكَارٍ وَاسْتِبْعَادٍ، ولَمَّا كَانَ هَذَا الْقَوْلُ شَكًّا فِي قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْإِحْيَاءِ، ضَرَبَ لَهُ الْمَثَلَ فِي نَفْسِهِ، وبونٌ شاسع بين قوله: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾، وقول إِبْرَاهِيمَ عليه السلام: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى﴾.[1]

وَقِيلَ: قَالَ: ﴿أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ عَلَى سَبِيلِ التَّعَجُّبِ، لَا شَكًّا فِي الْبَعْثِ.

﴿فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ﴾.

لما قالَ: أَنَّى يُحْيِي هذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِها. أَمَاتَهُ اللَّهُ تعالى، ثم بَعَثَهُ أي: أَحْيَاهُ.

وقيل: كان موته أَوَّلَ النَّهَارِ، فَلَبِثَ مِائَةَ عَامٍ، ثُمَّ بَعَثَهُ اللَّهُ تعالى فِي آخِرِ النَّهَارِ، وأحيا اللهُ الْقَرْيَةَ وَرَجَعَ إِلَيْهَا أهلها، وَعَمُرَتْ بعد خَرَابِها.

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾.

قَالَ كَمْ مَكَثْتَ وأقمت في مكانك، واللُّبْثُ: الْمُكْثُ وَالْإِقَامَةُ، قال المفسرون: مَاتَ أَوَّلَ النَّهَارِ ثُمَّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي آخِرِ نَهَارٍ، فلما قيل له: كَمْ لَبِثْتَ؟ قَالَ: لَبِثْتُ يَوْمًا ظنًا منه أَنَّ الشَّمْسَ قَدْ غَرَبَتْ، فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَاقِيَةً ظَنَّ أَنَّهَا شَمْسُ ذَلِكَ الْيَوْمِ، فَقَالَ: أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ، بِمَعْنَى: بَلْ بَعْضُ يَوْمٍ.

---

١ - سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ﴾.

قَالَ: مَا لَبِثْتَ يَوْمًا ولَا بَعْضَ يَوْمٍ، بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ.

الْعَامُ: يطلق على القَدْرِ المعلومِ مِنَ الزَّمَانِ، والفرق بينه وبين السَّنَةِ، أن العام يطلق على زمن الخصب والراحة، والسنة تطلق على زمن الجدب والمشقة.

ثم أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى أَنْ يَنْظُرَ إِلَى آثَارِ قُدْرَتِهِ، مِنْ حولِهِ ومنها عَدَمُ تَغَيُّرِ طَعَامِهِ وَشَرَابِهِ مَعَ طُولِ تِلْكَ الْمُدَّةِ.

قَالَ: ﴿فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ﴾، قيل: كَانَ مَعَهُ عِنَبٌ وَتِينٌ وَعَصِيرٌ فَوَجَدَهُ كَمَا تركهُ لَمْ يَتَغَيَّرْ مِنْهُ شَيْءٌ، فَلَمْ يَتَعَفَّنْ الْعِنَبُ وَلَا أَنْتَنَ التِّينُ، وَلَا اسْتَحَالَ الْعَصِيرُ، وَلَمْ يَتَغَيَّرْ شيءٌ منه.

﴿وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ﴾.

فَرَأَى الْحِمَارَ رِمَّةً باليةً، وَعِظَامًا نَخِرَةً، ثم رأى كَيْفَ يُحْيِيهِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ وَهُوَ يَنْظُرُ، فَرَأَى مَا لَا يَبْقَى بَاقِيًا، وَهُوَ الطَّعَامُ وَالشَّرَابُ، وَمَا يَبْقَى غَيْرَ بَاقٍ وَهُوَ الْعِظَامُ، فَعَظُمَ تَعَجُّبُهُ مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَتَمَكُّنُ وُقُوعِ هَذِهِ الْحُجَّةِ فِي عَقْلِهِ وَفِي قَلْبِهِ.

﴿وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ﴾. لِإِنَّهُ كَانَ عِنْدَ مَوْتِهِ لَا يَزَالُ شَابًّا، وَكَانَ لَهُ أَوْلَادٌ قَدْ شَابُوا وَهَرِمُوا، وَقَدْ عَرَفُوهُ وَعَرَفَهُمْ، فلما أَعْلَمَهُمْ بِمَوْتِهِ مِائَةَ سَنَةٍ ثُمَّ بِحَيَاتِهِ كانَ ذَلِكَ مِنْ أَكْبَرِ الْآيَاتِ الدالة على قدرة الله تعالى.

﴿وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا﴾.

ثم قيل له: وَانْظُرْ إِلَى عِظَامُ الْحِمَارِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا، أي: نُحَرِّكُهَا، وَنَرْفَعُ بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ لِلتَّرْكِيبِ لِلْإِحْيَاءِ، وَالنُّشُوزُ الِارْتِفَاعُ، وعلى قراءة الأخرى ﴿نُنْشِرُهَا﴾ بِالرَّاءِ أي نُحْيِيهَا، فَرَآهَا تَجْتَمِعُ وَيَنْضَمُّ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، ثُمَّ رأى اللَّحْمَ يُغَطِيهَا كأنه كِسَاءٌ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فَلَمَّا عاين مَا كَانَ يشكُ فيه مِنْ قُدْرَةِ اللَّهِ تعالى قَالَ: أَعْلَمُ الْآنَ بَعْدَ الْمُعَايَنَةِ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وقيل لم يكن شاكًا، فقد كان يعلمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، فَلَمَّا عاين الإحياءَ ارتقى علمُهُ للمُعَايَنَةِ.

وعلى قَرَاءةِ حَمْزَةَ وَالْكِسَائِيِّ بِوَصْلِ الْأَلِفِ ﴿قَالَ اعْلَمْ﴾. يكون أَمْرًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بِالْعِلْمِ عَلَى مَعْنَى الْزَمْ هَذَا الْعِلْمَ لِمَا عَايَنْتَ وَتَيَقَّنْتَ، وقيل: أنزلَ نَفْسَهُ مَنْزِلَةَ الْمُخَاطَبِ فقَالَ لِنَفْسِهِ: اعْلَمِي يَا نَفْسُ هَذَا الْعِلْمَ الْيَقِينِي الَّذِي لَمْ تَكُونِي تَعْلَمِينَه فتحققَ بالْمُعَايَنَةِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٦٠

في الكلام حذف تقديره: واذكر يا محمد إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ، والكلام في معرض الاستدلال على قدرة الله تعالى في إحياء الموتى، وإنما أراد إبراهيم عليه السلام بسؤاله أن يرى بعينه كيف يحيي الله تعالى الموتى، وهي مرتبة أعلى من من الإيمان الناشيء عن مجرد الخبر؛ وهو أمر ظاهر لا يخفى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ».[1]

وهذه الرتبة التي أرادها إبراهيم عليه السلام هو طمأنينة القلب كما علل سؤاله عليه السلام.

ولا ينبغي لأحد أن يتوهم أن إبراهيم عليه السلام عرض له شيء من الشك، وكيف يعرض له الشك وهو خليل الله تعالى، وقد ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «نَحْنُ أَحَقُّ بِالشَّكِّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ: أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾».[2]

ومعناه نفي الشك عن إبراهيم عليه السلام، ولو شك، لكنا نحن أحق بالشك منه، ونحن لا نشك، فهو لا يشك في قدرة الله تعالى من باب أولى.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٨٤٢، وابن حبان- كِتَابُ التَّارِيخِ، بَابُ بَدْءِ الْخَلْقِ، ذِكْرُ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَلْقَى مُوسَى الْأَلْوَاحَ، حديث رقم: ٦٢٣١، والحاكم- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، تَفْسِيرُ سُورَةِ الْأَعْرَافِ، حديث رقم: ٣٢٥٠، بسند صحيح

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي المَوْتَى﴾ [البقرة: ٢٦٠]، حديث رقم: ٤٥٣٧، ومسلم- كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ إِبْرَاهِيمِ الْخَلِيلِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ١٥١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وكيف يظن بخليل الرحمن ذلك وهو الذي جادل الجبابرة، وناظر الطغاة، وقام لله تعالى المقامات المشهودة، وقال للنمرود بن كنعان: ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾، وقال لقومه: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ﴾.[1]

ومما يدل على ما ذكرناه أن إبراهيم عليه السلام سأل عن كيفية إحياء الله تعالى الموتى، وتقدم في الآية السابقة الفرق بين قول إبراهيم عليه السلام، وقول المارّ على القرية: ﴿قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾. وأن بينهما بونًا شاسعًا، وفرقًا هائلًا.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

إنما سأله الله تعالى ليقرره بما عنده من الإيمان؛ وَلَيْسَ بِاسْتِفْهَامٍ لأن السؤال إذا دخل على النفي أفاد التقرير؛ كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾.[2]

وكَقَوْلِ جَرِيرٍ:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا ***** وَأَنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

﴿قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.

الجواب عن السؤال المنفي ببلى يفيد الإثبات، وبنعم يفيد النفي، والمعنى بلى أنا مؤمن لا شك عندي ثم استدرك معللًا سؤاله فقال: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾، وأصل الطمأنينة: السكون؛ ومنه قولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للمسيء صلاته: «ثُمَّ ارْكَعْ حَتَّى تَطْمَئِنَّ رَاكِعًا».[3] فأراد إبراهيم عليه السلام أن يسكن قلبه عن التفكير في كيفية الإحياء، أما اعتقاد أن الله تعالى يحي الموتى فليس عنده فيه شك.

---

١ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٨١

٢ – سُورَةُ الشَّرْحِ: الآية/ ١

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ الأَذَانِ، بَابُ وُجُوبِ القِرَاءَةِ لِلْإِمَامِ وَالمأْمُومِ فِي الصَّلَوَاتِ كُلِّهَا، فِي الحَضَرِ وَالسَّفَرِ، وَمَا يُجْهَرُ فِيهَا وَمَا يُخَافَتُ، حديث رقم: ٧٥٧، ومسلم– كِتَابُ الصَّلَاةِ، بَابُ: بَابُ وُجُوبِ قِرَاءَةِ الْفَاتِحَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ، وَإِنَّهُ إِذَا لَمْ يُحْسِنِ الْفَاتِحَةَ، وَلَا أَمْكَنَهُ تَعَلُّمُهَا قَرَأَ مَا تَيَسَّرَ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا، اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ، حديث رقم: ٣٩٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَوْلُهُ تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾.

تقدم أنه لَا طَائِلَ تَحْتَ تَعْيِينِ ما أبهمه القرآن، والغرض من الخبر الاستدلال على قدرة الله تعالى على إحياء الموتى، فلا فائدة من تحديد أنواع تلك الطيور المذكورة.

وَأَمَرَهُ تعالى بِإِمْسَاكُهَا بِيَدِهِ لِيَكُونَ أَثْبَتَ فِي الْمَعْرِفَةِ بِكَيْفِيَّةِ الْإِحْيَاءِ، لِأَنَّهُ يَجْتَمِعُ عَلَيْهِ حَاسَّةُ الرُّؤْيَةِ، وَحَاسَّةِ اللَّمْسِ.

﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

قوله: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: قَالَ أَهل اللُّغَةِ مَعْنَى صُرْهُنَّ إليك أَمِلْهن وَاجْمَعْهُنَّ إليك.

والمعنى: خُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَأَمِلْهُنَّ، واضْمُمْهُنَّ إِلَيْكَ، وَاجْمَعْهُنَّ، وَالتَّصْرِيَةِ هِيَ الْجَمْعُ؛ وفي الحديث: «لاَ تُصَرُّوا الإِبِلَ وَالغَنَمَ».[1]

وإنما أمره الله تعالى بضمها لنفسه، ليستوثق منها فلا تلتبس عليه بعد الإحياء ولا يتوهم أنها غير تلك ذبحها بيده.

وقيل: ﴿فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾، أَيْ: قَطِّعْهُنَّ؛ وفي الحديث: «يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ».[2]

أَيْ: مَا يَقْطَعُ مَسْأَلَتَكَ.

وَمِنْهُ أيضًا قَوْلُ تَوْبَةَ بْنِ الْحُمَيِّرِ:

فَأَدْنَتْ لِي الْأَسْبَابَ حَتَّى بَلَغْتُهَا ***** بِنَهْضِي وقد كان ارتقائي يَصُورُهَا

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ النَّهْيِ لِلْبَائِعِ أَنْ لاَ يُحَفِّلَ الإِبِلَ، وَالبَقَرَ وَالغَنَمَ وَكُلَّ مُحَفَّلَةٍ، حديث رقم: ٢١٤٨

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ آخَرِ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا، حديث رقم: ١٨٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَيْ: يَقْطَعُهَا، وَعَلَى هَذَا يَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿إِلَيْكَ﴾، متعلقًا بقوله: ﴿فَخُذْ﴾، أي: فَخُذْ إِلَيْكَ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فقَطِّعْهُنَّ.

والخلاف في مَعْنَى فَصُرْهُنَّ لاختلاف القراءات الواردة فيها، فقد قَرَأَ الْجُمْهُورُ ﴿فَصُرْهُنَّ﴾، بِضَمِّ الصَّادِ وَسُكُونِ الرَّاءِ، مَنْ صَارَهُ يَصُورُهُ، وَقَرَأَ حَمْزَةُ وَأَبُو جَعْفَرٍ وَخَلَفٌ وَرُوَيْسٌ عَنْ يَعْقُوبَ ﴿فَصِرْهُنَّ﴾. بِكَسْرِ الصَّادِ مَنْ صَارَ يَصِيرُ لُغَةٌ فِي هَذَا الْفِعْلِ.

﴿ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا﴾.

أمره الله تعالى أن يجزئهن وأن يفرق أجزاءهن على الجبال، وَالْجُزْءُ النَّصِيبُ، قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْ كُلِّ وَاحِدٍ جُزْءًا.[1]

﴿ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾.

أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِدُعَائِهِنَّ وَهُنَّ أَمْوَاتٌ مقسماتٌ، لِتَكُونَ الْآيَةُ أبلغَ في الظهورِ، وأَعْظَمَ وقعًا في النفسِ، فَدَعَاهُنَّ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَى الرِّيشِ يَطِيرُ إِلَى الرِّيشِ، وَالدَّمِ إِلَى الدَّمِ، وَاللَّحْمِ إِلَى اللَّحْمِ، وَالْأَجْزَاءِ مِنْ كُلِّ طَائِرٍ يَتَّصِلُ بَعْضُهَا إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى قَامَ كُلُّ طَائِرٍ كما كان قبل الذبح، فأقبلن إليه مُسْرِعَاتٍ فِي الْمَشْيِ عَلَى أَرْجُلِهِنَّ، لِأَنَّ ذَلِكَ أَبْلَغُ فِي الْحُجَّةِ مِنَ الطَّيَرَانِ، ولتتحقق له الرُّؤْيَةُ الَّتِي سَأَلَهَا.

﴿وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

اعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ لَا يُغْلَبُ، قادرٌ لا يعجزه شَيْءٌ يُرِيدُهُ، وَالْعِزَّةُ تَتَضَمَّنُ الْقُدْرَةَ، حَكِيمٌ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدْرِهِ.

---

١ - معاني القرآن وإعرابه للزجاج (١/ ٣٤٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٦١

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا أمر اللهُ تَعَالَى بالإنفاق أمرًا مجملًا فِي قَوْلِهِ: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً فَيُضاعِفَهُ لَهُ أَضْعافاً كَثِيرَةً﴾. أعقب ذلك على سبيل الاعتراض ببيان دلائل قُدْرَتِهِ على نصر أوليائه، ومحق أعدائه، فذكر خَبَرَ طَالُوتَ وَجَالُوتَ، وذكر ما له سبحانه وتعالى من جميل الأسماء، وجليل الصفات، فذكر آية الكرسي احْتِجَاجًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لا يؤمنون بالله تعالى، وذكر إِحْيَاءَ الموتى، فِي نَبَإِ الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي ربه، وَأَمْرِ الَّذِي مَرَّ عَلَى الْقَرْيَةِ وهي خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا، وَقِصَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَمَسْأَلَتِهِ رَبَّهُ كيف يحيي الموتى احْتِجَاجًا عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ والنشورِ، ثم فَصَّلَ تعالى هنا فِي هَذِهِ الْآيَةِ تِلْكَ الْأَضْعَافَ المذكورة قبل الاعتراض.

وَلَمَّا كان ضَرْبُ الْمَثَلِ يُؤَثِّرُ فِي الْقُلُوبِ مَا لَا يُؤَثِّرُهُ وَصْفُ الشَّيْءِ فِي نَفْسِهِ؛ لِأَنَّ الْغَرَضَ مِنْهُ تَشْبِيهُ الْخَفِيِّ بِالْجَلِيِّ، وَالْغَائِبِ بِالشَّاهِدِ، ضرب اللهُ تَعَالَى الْمَثَلَ لمضاعفةِ ثَوَابِ الإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ وَابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ، بِحَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ، وقرب هذا الأجر العظيم في صورة هذا المثل المحسوس، الذي تبتهج به النفوس، وتنشرح لتصوره الصدور، فإن للنبات الذي يزرعه صاحبه بيده أثرًا عجيبًا في نفسه، يزداد هذا الأثر كلما كثر النبات وازداد بركة، ولا شك أنه أوقعُ في النفوس، وأبلغُ في الكلام من أن يقال: (من تصدق بصدقة فله سبعمائة ضعف)، فإن المثل ينبض بالحياة، وتسري فيه البركة والنماء.

واختلف في المراد بقوله تعالى: ﴿فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾. فقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ: فِي طَاعَةِ اللَّهِ.

وَقَالَ مَكْحُولٌ: الْإِنْفَاقُ فِي الْجِهَادِ، مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ وَإِعْدَادِ السِّلَاحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْجِهَادُ وَالْحَجُّ، يُضْعِفُ الدِّرْهَمَ فِيهِمَا إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ.[1]

والراجح أنه يشمل كل نفقة يحبها الله تعالى ويرضاها؛ ودليل ذلك ما ثبت عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: مَرَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَرَأَى أَصْحَابُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ جَلَدِهِ ونَشَاطِهِ مَا أَعْجَبَهُمْ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ كَانَ هَذَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ كَانَ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى وَلَدِهِ صِغَارًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ خَرَجَ يَسْعَى عَلَى أَبَوَيْنِ شَيْخَيْنِ كَبِيرَيْنِ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ يَسْعَى عَلَى نَفْسِهِ يَعِفُّها فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَإِنْ كَانَ خَرَجَ رِيَاءً وتَفَاخُرًا فَهُوَ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ».[2]

---

١ - تفسير ابن كثير (١/ ٦٩١)

٢ - رواه الطبراني في الكبير- حديث رقم: ٢٨٢، والأوسط- حديث رقم: ٦٨٣٥، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٦١

فِي الْآيَةِ حذفُ إيجاز تَقْدِيرُهُ: (مَثَلُ صَدَقَةِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ....)؛ كقوله تعالى: ﴿وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِما آتاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْراً لَهُمْ.... ﴾. تَقْدِيرُ الكلام: (وَلا يَحْسَبَنَّ بخلُ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ.....).

شَبَّهَ اللهُ تَعَالَى النَّفَقَةَ وَمُصَادَفَتُهَا مَوْقِعَهَا وَمَا أُعْطِيَ مِنَ الثَّوَابِ عليهَا بِحَالِ حَبَّةٍ، زُرِعَتْ فِي أَرْضٍ نَقِيَّةٍ وَتُرَابَةٍ طَيِّبَةٍ وَأَصَابَهَا الْغَيْثُ فَأَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ، وَحُذِفَ ذَلِكَ كُلُّهُ إِيجَازًا لأَنَّ الْحَبَّةَ لَا تُنْبِتُ إِلَّا بسبب ذَلِكَ.

الْحَبَّةُ: اسْمُ جِنْسٍ لِكُلِّ مَا يَزْرَعُهُ ابْنُ آدَمَ وَيَقْتَاتُهُ، وَشُبِّهَ الْإِنْفَاقُ بِالزَّرْعِ، لِأَنَّ الزَّرْعَ لا ينقطعُ.

قيل: اخْتَصَّ هَذَا الْعَدَدَ لِأَنَّ السَّبْعَ أَكْثَرُ أَعْدَادِ الْعَشَرَةِ، وَالسَبْعِينَ أَكْثَرُ أَعْدَادِ الْمِائَةِ، وَالسَبْعُمِائَةِ أَكْثَرُ أَعْدَادِ الْأَلْفِ.

ولما كان الْإِنْفَاقُ فِي سَبِيلِ اللهِ منْ أَشَقِّ التكاليفِ عَلَى النُّفُوسِ، لَا سِيَّمَا إِذَا بَعُدَتْ نِسْبَةُ مَنْ يُنْفَقُ عَلَيْهِ عَنِ الْمُنْفِقِ؛ جعل الله تعالى ها الأجر الجزيل على النفقة لتطيب النفوس بالْإِنْفَاقِ؛ فعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: "مَنْ أَنْفَقَ نَفَقَةً فَاضِلَةً فِي سَبِيلِ اللهِ فَبِسَبْعِ مِائَةٍ. وَمَنْ أَنْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ، أَوْ عَلَى أَهْلِهِ، أَوْ عَادَ مَرِيضًا، أَوْ مَازَ أَذًى عَنْ طَرِيقٍ فَهِيَ حَسَنَةٌ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا. وَالصَّوْمُ جُنَّةٌ مَا لَمْ يَخْرِقْهَا، وَمَنِ ابْتَلاهُ اللهُ بِبَلاءٍ فِي جَسَدِهِ فَهُوَ لَهُ حِطَّةٌ".[1]

﴿وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾.

وَاللَّهُ يُضَاعِفُ عَلَى السَّبْعِمِائَةِ إِلَى مَا يَشَاءُ مِنَ التَّضْعِيفِ، لِمَنْ يَشَاءُ مِنَ الْمُنْفِقِينَ، بِحَسْبِ الإِخْلَاصِ والنيةِ.

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٦٩٠، والحاكم في المستدرك– كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ مَنَاقِبِ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٥١٥٣، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وَاسِعُ الْفَضْلِ عظيمُ الغنى، يَخْتَصُّ بِفَضْلِهِ مَنْ يَشَاءُ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ وَمَنْ لَا يَسْتَحِقُّ، لِعِلْمِهِ بنيةِ كلِ مُنْفِقٍ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٦٢

لَمَّا أَمْرُ اللهُ تَعَالَى الْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ، وبَيَّنَ ما فيه من عظيمِ الأجرِ، أخبر هنا لمن هذا الأجر العظيم فقال: ﴿ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى﴾.

الْمَنُّ: يطلقُ ويرادُ به عدةٌ معانٍ، منها: ما يُوْزَنُ به، الْمَنُّ: شَيْءٌ شِبْهُ الْعَسَلِ ينزلُ كَالنَّدَى عَلَى بَعْضِ شَجَرِ بَادِيَةِ سَيناء كان ينزل على بني إسرائيل؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾، [طه: ٨٠]، والْمَنُّ: القَطْعُ؛ ومنه قوله تَعَالَى: ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾، [التين: ٦]، أَيْ غَيْرَ مَقْطُوعٍ، وَالْمَنُّ وَالْمِنَّةُ: النِّعْمَةُ، والْمَنُّ: الفَتْرَةُ والإعياءُ، ومنه قول الراجز:

قد يَنْشَطُ الفِتْيانُ بَعْدَ الْمَنِّ ***** وبَعْدَ طُولِ السَّفَرِ الْمُعَنِّي

وَالْمَنُّ: تعداد النِّعْمِ عَلَى سَبِيلِ الْفَخْرِ والتقريع، وهو المعنى المراد هنا.

وقيل: آفةُ الجودِ الْمَنُّ. وقال الأخفش: الْمَنُّ: جمع لا واحدَ لَهُ، مثلُ: الخيرِ والشرِ.

وَالْأَذَى الْإِسَاءَةُ لِلْمُنْعَمِ عَلَيْهِ كَالتَّطَاوُلِ بالسَّبِ، والسخرية، والتحقير؛ كقول بعضهم: خذ ألا تشبع؟

وقد أخبر الله تعالى أن الْمَنَّ بالعطية يبطل ثوابها، كما سيأتي، والْمَنُّ وَالْأَذَى مِنَ الْكَبَائِرِ، وحذر النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منه أشد التحذير، حتى أخبر أن المنان لا يدخل الجنة؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنَّانٌ، وَلَا عَاقٌّ، وَلَا مُدْمِنُ خَمْرٍ».[1]

والمعنى أنهم لا يقصدون بنفقاتهم إلا وجه الله، فلم ينفقوا رياءً ولا سمعة، ولا يعقبون صدقاتهم بالتعيير، ولا السخرية، ولا السباب لمن أحسنوا إليهم.

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٦٨٨٢، والنسائي- كِتَابُ الْأَشْرِبَةِ، الرِّوَايَةُ فِي الْمُدْمِنِينَ فِي الْخَمْرِ، حديث رقم: ٥٦٧٢، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

قَالَ فِي الْكَشَّافِ: وَمَعْنَى ﴿ ثُمَّ ﴾. إِظْهَارُ التَّفَاوُتِ بَيْنَ الْإِنْفَاقِ وَتَرْكِ الْمَنِّ وَالْأَذَى، وَأَنَّ تَرْكَهُمَا خَيْرٌ مِنْ نَفْسِ الْإِنْفَاقِ. لِأَنَّ الْعَطَاءَ قَدْ يكون بسَبَبِ حُبِّ الثناء، والرغبةِ فِي الْظهور، فَلِلنَّفْسِ فِيهِ حَظٌّ، أما تَرْكِ الْمَنِّ وَالْأَذَى فَلَيس فِيهِ للنَفسِ حَظٌّ.

وَقُدِّمَ الْمَنُّ عَلَى الْأَذَى لِكَثْرَةِ وُقُوعِهِ.

قَالَ زَيْدُ بْنُ أَسْلَمَ: إِنْ ظَنَنْتَ أَنَّ سَلَامَكَ يَثْقُلُ عَلَى مَنْ أَنْفَقْتَ عَلَيْهِ، تُرِيدُ وَجْهَ اللَّهِ، فَلَا تُسَلِّمْ عَلَيْهِ.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ضمن اللهُ تَعَالَى ثَوَابَ نفقاتهم، ونسبهم إليه تشريفا لهم، ونفى عنهم الخَوْفَ فِيمَا يَسْتَقْبِلُونَهُ مِنْ أَهْوَالِ القبرِ والحشرِ، ونفى عنهم الحزن على ما يتركونه وراءهم من الأموال والأولاد.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ (٢٦٣) يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٦٣، ٢٦٤

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّ كُلَّ كَلَامٍ جَمِيلٍ تَقْبَلُهُ الْقُلُوبُ وَلَا تُنْكِرُهُ، ومنه الدُّعَاءُ، يُرَدُّ بِهِ السَّائِلُ مِنْ غَيْرِ عَطَاءٍ، وَالمرادُ بالمغْفِرَةِ هنا مَغْفِرَةُ الْمُتَصَدِّقِ عَنْ إِلحَافِ السَّائِلِ فِي المسَّأَلَةِ، وَجَفائِهِ فِي سُؤَالِهِ، أو إِسَاءَتِهِ لِلْمُتَصَدِّقِ، فينبغي أن يقابل ذلك كله بردٍّ جَمِيلٍ، وَتَجَاوُزٍ عن الزلل الذي يمكنُ أَنْ يَقَعَ فيهِ السَّائِلُ.

﴿وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.

تَذْيِيلٌ يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ غِنَاهُ تَعَالَى عَنْ صَدَقَةِ الْعِبَادِ؛ فَإِنَّه إِنَّمَا أَمَرَهُمْ بِهَا لِيُثِيبَهُمْ عليها، وَيَدُلُّ كذلك عَلَى عظيمِ حِلْمِهِ إِذْ لَمْ يُعَجِّلْ الْعُقُوبَةَ لِمَنْ يَمُنُّ وَيُؤْذِي بِصَدَقَتِهِ.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا﴾.

يحذر الله تبارك وتعالى المؤمنين مِنَ الْمَنِّ وَالْأَذَى بعد الصدقة، ويخبر أنها تفسدها وتبطل ثوابها، كما يفسد الرياء الصدقة، ويبطل ثوابها، ثم ضرب لذلك مثلا بصَفْوَانٍ وهو الحجر الأملس عَلَيْهِ تُرَابٌ، فَيَظُنُّهُ الظَّانُّ أَرْضًا طَيِّبَةً، إذا نَزَلَ عليها المطرُ أنبتتْ، فَأَصَابَهُ وَابِلٌ وَهُوَ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ، فأذهب الْمَطَرُ الشَّدِيدُ ما على ذَلِكَ الحجرِ مِنَ التُّرَابِ، وبقي الحجر صَلْدًا أَيْ: أَمْلَسَ يَابِسًا، لَا شَيْءَ عَلَيْهِ مِنَ التُّرَابِ، كَذَلِكَ يذهب ثواب المنان، وكَذَلِكَ تُمْحَقُ أَعْمَالُ الْمُرَائِينَ؛ كما قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.[1]

١ - سورة الْفُرْقَانِ: الآية/ ٢٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا﴾.

يَعْنِي بذلك الْمَنَّانَ والْمُرَائِي لَا يَقْدِرُونَ عَلَى الانتفاع بثوابِ شَيْءٍ مِنْ نفقاتهم عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْهِ.

وَعَبَّرَ عَنِ النَّفَقَةِ بِالْكَسْبِ، لِأَنَّهُمْ قَصَدُوا بِهَا الْكَسْبَ.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾.

تَذْيِيلُ لِتَحْذِيرِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ التَّشَبُّهِ بالْكَافِرِينَ؛ فَإِنَّ الْمَنَّ وَالْأَذَى من صفاتِ الْكَافِرِينَ، لا يبذلون لله بل يمنون عَلَى مَنْ أَنْفقُوا عليه ويبالغون في أذاه.

ومن كان هذا حاله فهو أبعدُ الناسِ عن الهدى، وأقربُ الناسِ إلى الضلال.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٦٥

لَمَّا ذَكَرَ الله تعالى في الآية السابقة مَثَلَ الذي ينفقُ مَالَهُ رِئاءَ النَّاسِ، وبيَّنَ جزاءَهُ، أعقبَ ذلك بِمَثَلِ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ، ليتضحَ للسَّامِعُ مَا بَيْنَ المثَلَيْنِ من التَفَاوُتِ، ومَا بَيْنَ الْمَرْتَبَتَيْنِ مِنَ الْبَوْنِ الشَّاسِعِ، وبضدها تتميز الأشياء، وَهَذَا أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ الْقُرْآنِ البلاغيةِ، كما يذكر الله تعالى أهل النار وما هم فيه من العذاب، ثم يعقب ذلك بذكر أهل الجنة وما هم فيه من النعيم.

وإنما ذكر الله تعالى جزاء الصنفين بضرب الأمثال؛ لأَنَّ الْمَثَلَ أبلغُ أثرًا، وأوقعُ في النفسِ، وأَعْجَبُ فِي حُسْنِ التَّخَيُّلِ.

قال أبو حيان: وَلَمَّا وَصَفَ صَاحِبَ النَّفَقَةِ بِوَصْفَيْنِ، قَابَلَ ذَلِكَ هُنَا بوصفين، فقوله: ﴿ابْتِغاءَ مَرْضاتِ اللَّهِ﴾، مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿رِئاءَ النَّاسِ﴾ وَقَوْلُهُ: ﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ مُقَابِلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿وَلا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ بِالتَّثْبِيتِ تَوْطِينُ النَّفْسِ عَلَى الْمُحَافَظَةِ عَلَيْهِ وَتَرْكِ مَا يُفْسِدُهُ، وَلَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ يَقِينٍ بِالْآخِرَةِ.

﴿ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾.

يعني: وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ حال كونهم يريدون رِضَى اللَّهِ تَعَالَى، وَالِابْتِغَاءُ افْتِعَالٌ مِنْ بَغَيْتُ أَيْ أردت وطَلَبْتُ.

﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾.

التَثْبِيتُ، الطمأنينة والسكون، ومنه قَوْله تَعَالَى: ﴿وَكُلاًّ نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾. [هود: ١٢٠]، أي: نُسَكِّنُ بِهِ فُؤَادَكَ، ونربطُ عليه.

أي: تطمئن قلوبهم إلى ثواب الله تعالى على إنفاقهم، وَتَصْدِيقًا بوعدِ اللهِ تعالى لهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ الشَّعْبِيُّ: ﴿وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾. أَيْ: تَصْدِيقًا وَيَقِينًا.

وَقَالَ الزجاجُ: أَي يُنفقونها مُقِرّين بِأَنَّهَا مِمَّا يُثيبُ اللَّهُ عَلَيْهَا.

﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

الجَنَّةُ البُسْتَانُ الكثيرُ الأشجارِ، وقيل له جَنَّةً لأنه يَجِنُّ أَيْ يَسْتُرُ ما فِيهِ، والرَبْوَةُ الْمَكَانُ الْمُسْتَوِي الْمُرْتَفِعُ مِنَ الْأَرْضِ، وخُصَّت بالرَبْوَةِ لحسنِ شجرها وزكاء ثمرها.

والمعنى: مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ يريدون رضى الله تعالى ويرجون ثوابه، كَمَثَلِ بُسْتَانٍ بِمَكَانٍ مُسْتَوٍ مُرْتَفِعٍ مِنَ الْأَرْضِ تَجْرِي فِيهِ الْأَنْهَارُ.

﴿أَصَابَهَا وَابِلٌ فَآتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ﴾.

تقدم معنا أنَّ الوَابِلَ هُوَ الْمَطَرُ الشَّدِيدُ.

وَالمعنى: مَثَلُ هؤلاء الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ويريدون بها مرضاة الله، ويخلصون له في عبادتهم، كَمَثَلِ بُسْتَانٍ على رَبْوَةٍ من الأرض لا تصل إليه الآفات، فهو أَحْسَنَ حالًا، وَأَكْثَرَ رَيْعًا، فنزل عليه مَطَرٌ غزيرٌ، فاخْضَرَّتْ أَوْرَاقُ الْبُسْتَانِ فجاءت ثَمَارُهُ ضِعْفَيْنِ، وكذلك حال هؤلاء المحسنين يُرْبِي اللَّهُ صَدَقَاتِهِمْ، ويضاعفها لهم؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾.[1]

١ – سُورَةُ االرُّومِ: الْآيَةُ/ ٣٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ».[1]

﴿فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾.

والطَّلُّ: الْمَطَرُ الضَّعيفُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الطَّلُّ: النَّدَى، وقيل: الطَّلُّ أَكثر من الندى وَأَقل من الْمَطَر، قَالَ الأصمعِيّ: أَخَفُّ المطرِ وَأَضْعَفَهُ: الطَّلُّ ثمَّ الرَّذَاذُ ثمَّ الْبَغْشُ.

فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا مَطَرٌ غزيرٌ، فمَطَرٌ ضَعيفٌ يحسنُ نباتها، وثَمَرَتَهَا بَاقِيَةٌ لم تنقص، وَكَذَلِكَ مَنْ أنفق يريد وَجْهَ اللَّهِ تَعَالَى لَا ينقص أجرهُ.

ولما كَانَ المطر فِي الْمَثَلِ الْأَوَّلِ يذهب نفعه لأنه نزل على حجر أملس، وكذلك الصدقة يذهب نفعها؛ لأنه خرجت رياء وسمعة، وفي المثل الثاني، خرجت ثَمَارُ المطرِ ضِعْفَيْنِ، وكذلك الصدقة إذا إريد بها وجه الله، يضاعفها الله تعالى لصاحبها.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ يَعْلَمُ مَنَ أنفقَ رياءً ويعلم مَنَ أتبع نفقته بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، وَمَنَ أنفقَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِهِ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ، وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾، [البقرة: ٢٧٧]، حديث رقم: ١٤١٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٦٦

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما نَهَى اللهُ تَعَالَى عَنْ إِبْطَالِ الصَّدَقَةِ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، وَشَبَّهَ مَنْ يفعلُ بالمرائي، وَمَثَّلَ حَالَهُ بِالصَّفْوَانِ الذي لا يثبتُ عليه شيء، ولا يَنْبُتُ فيه نباتٌ، ضَرَبَ اللَّهُ تَعَالَى في هذه الآية مَثَلًا لِلْمُرَائِينَ بِالْأَعْمَالِ التي لا يراد بها وجه الله وهي أَعْمَالِ الْمُرَائِينَ، فيُبْطِلُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحْوَجَ مَا يكونون إِلَيْهَا.

قَالَ الْحَسَنُ: هَذَا مَثَلٌ قَلَّ وَاللَّهِ مَنْ يَعْقِلُهُ: شَيْخٌ كَبِيرٌ ضَعُفَ جِسْمُهُ وَكَثُرَ صِبْيَانُهُ، أَفْقَرُ مَا كَانَ إِلَى جَنَّتِهِ، وَإِنَّ أَحَدَكُمْ وَاللَّهِ أَفْقَرُ مَا يَكُونُ إِلَى عَمَلِهِ إِذَا انْقَطَعَتْ عَنْهُ الدُّنْيَا.

عَنْ عُبَيْدِ بْنِ عُمَيْرٍ، قَالَ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، يَوْمًا لِأَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فِيمَ تَرَوْنَ هَذِهِ الآيَةَ نَزَلَتْ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ﴾؟ قَالُوا: اللَّهُ أَعْلَمُ، فَغَضِبَ عُمَرُ فَقَالَ: «قُولُوا نَعْلَمُ أَوْ لاَ نَعْلَمُ»، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فِي نَفْسِي مِنْهَا شَيْءٌ يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، قَالَ عُمَرُ: «يَا ابْنَ أَخِي قُلْ وَلاَ تَحْقِرْ نَفْسَكَ»، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ضُرِبَتْ مَثَلًا لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: «أَيُّ عَمَلٍ؟» قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لِعَمَلٍ، قَالَ عُمَرُ: «لِرَجُلٍ غَنِيٍّ يَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الشَّيْطَانَ، فَعَمِلَ بِالْمَعَاصِي حَتَّى أَغْرَقَ أَعْمَالَهُ».[1]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ قَوْلِهِ: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾. [البقرة: ٢٦٦]، حديث رقم: ٤٥٣٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾.

أيحب أحدكم أن تكون له حديقة غناء فيها مِنْ النَخِيلِ وَالأَعْنَابِ، وأصناف الزروع والنباتات، وخُصَّ النَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ، بالذكر لشرفهما، وكثر منافعهما، ولَهُ فِيها مِنْ كُلِّ الثَّمَراتِ، وزاد هذه الجنة جمالًا أنها تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهارُ.

قال أبو حيان: لَمَّا كَانَ النَّخِيلُ وَالْأَعْنَابُ أَكْرَمَ الشَّجَرِ وَأَكْثَرَهَا مَنَافِعَ، خُصَّا بِالذِّكْرِ، وَجُعِلَتِ الْجَنَّةُ مِنْهُمَا، وَإِنْ كَانَ فِي الْجَنَّةِ غَيْرُهُمَا، وَحَيْثُ جَاءَ فِي الْقُرْآنِ ذِكْرُ هَذَا، نَصَّ عَلَى النَّخِيلِ دُونَ الثَّمَرَةِ. وَعَلَى ثَمَرَةِ الْكَرْمِ دُونَ الْكَرْمِ، وَذَلِكَ لِأَنَّ أَعْظَمَ مَنَافِعِ الْكَرْمِ هُوَ ثَمَرَتُهُ دُونَ أَصْلِهِ، وَالنَّخِيلُ كُلُّهُ مَنَافِعُهُ عَظِيمَةٌ، تُوَازِي مَنْفَعَةَ ثَمَرَتِهِ مِنْ خَشَبِهِ وَجَرِيدِهِ وَلِيفِهِ وَخُوصِهِ، وَسَائِرِ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ.[1]

﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾.

الْوَاوُ فِي قوله: ﴿وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ﴾. وقوله: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾، وَاوُ الْحَالِ وليست عاطفة، وَالمعْنَى: أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ حَالَ كِبَرِهِ وشيخوخته وضعفِ قوته، وَحَالَ كونهِ يعولُ أولادً صِغَارًا ضُعَفَاءَ، ثُمَّ تَحْترِقُ جَنَّتُهُ أحوج ما يكون إليها؟

﴿فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾.

الإِعْصَارُ ريحٌ عاصفةٌ مدمرةٌ أحيانًا وتظهر مستديرة كعمود الصاعد إلى السماء، فإذا كان فيها نارٌ كانت أشد تدميرًا، وسُمِّيَ بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَعْصِرُ السَّحَابَ، وَقيل: لأنها تلتفُ كالثوبِ إذا عُصِرَ، وَجَمْعُ إِعْصَارٍ أَعَاصِيرُ.

أَصابَ جنته إِعْصَارٌ فِيهِ نارٌ فَأَحْرَقَها، فأصابته الفاقة والعيلة بعد الغنى، ولا يقوى على إصلاحها لكبره، وليس له من أولاده من يقوى على ذلك لصغرهم وضعفهم.

---

١ - البحر المحيط في التفسير (٢/ ٦٧٢)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ولا شكَ أنَّ ما يصيبُ هَذَا الْإِنْسَانَ مِنَ الْغَمِّ وَالْحَسْرَةِ وَالْحَيْرَةِ شيءٌ عظيمٌ لَا يَعْلَمُ بهِ إِلَّا اللَّهُ.

﴿كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ﴾.

كما بين الله تعالى لكم في هذا المثل، يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ آيَاتِهِ في كتابه الحكيم، وَيُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ حالَ مَنْ عملَ الْأَعْمَالَ الجَلِيلَةَ ولم يُرِدْ بها وجهَ اللهِ تعالى، وأَنَّهُ يجدُ مِنَ الْهَمِّ وَالْغَمِّ وَالْحَسْرَةِ وَالْحَيْرَةِ يومَ القيامةِ مَا لَا يَعْلَمُه إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا﴾.[1]

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾.

أي: لتَتَفَكَّرُوا في آياته فتعتبروا بها.

١ - سُورَةُ الْفُرْقَانِ: الْآيَةُ/ ٢٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٦٧

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ:

عَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: نَزَلَتْ فِي الْأَنْصَارِ، كَانَتِ الْأَنْصَارُ إِذَا كَانَ أَيَّامُ جُذَاذِ النَّخْلِ أَخْرَجَتْ مِنْ حِيطَانِهَا أَقْنَاءَ الْبُسْرِ، فَعَلَّقُوهُ عَلَى حَبْلٍ بَيْنَ الْأُسْطُوَانَتَيْنِ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَيَأْكُلُ فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ مِنْهُ، فَيَعْمِدُ الرَّجُلُ مِنْهُمْ إِلَى الْحَشَفِ فَيُدْخِلُهُ مَعَ أَقْنَاءِ الْبُسْرِ يَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ جَائِزٌ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِيمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ: ﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ﴾. قَالَ «لَا تَيَمَّمُوا الْحَشَفَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ».[1]

وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةَ فِي الزَّكَاةِ الْمَفْرُوضَةِ، كَانَ الرَّجُلُ يَعْمِدُ إِلَى التَّمْرِ فَيَصْرِمُهُ، فَيَعْزِلُ الْجَيِّدَ نَاحِيَةً، فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُ الصَّدَقَةِ أَعْطَاهُ مِنَ الرَّدِيءِ).[2]

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فَضْلَ النَّفَقَةِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ورغَّبَ فيها، بَيَّنَ هنا ما الذي يجب على المؤمنِ مراعاته، وما الذي يجب الاحتراز منه من النَّفَقَاتِ.

هذا خِطَابٌ عَامٌّ لِجَمِيعِ المؤمنينَ بِالْأَمْرِ بِالْإِنْفَاقِ مِنَ الْجَيِّدُ الْمُسْتَطَابُ، مِمَّا كَسَبُوا مِنَ التِّجَارَةِ، وَمِنَ الزُّرُوعِ وَالثِّمَارِ.

قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ﴾، مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: التِّجَارَةُ الْحَلَالُ، والراجح أن المراد بالطَّيِّبِ هنا الْجَيِّدُ الْمُسْتَطَابُ، وليس الحلال، لما أوردناه من سبب النزول، والطَّيِّبُ يطلق على الحلال ويطلق على الْجَيِّدِ الْمُسْتَطَابِ.

---

١ - تفسير الطبري- ط: هجر (٤/ ٧٠٠)، بسند صحيح

٢ - تفسير الطبري- ط: هجر (٤/ ٧٠٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ عُبَيْدَةَ، قَالَ: سَأَلْتُ عَلِيًّا صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾ قَالَ: يَعْنِي مِنَ الْحَبِّ وَالثَّمَرِ وَكُلِّ شَيْءٍ عَلَيْهِ زَكَاةٌ.

وَالطَّيِّبُ هُوَ الْجَيِّدُ الْمُسْتَطَابُ، وَضِدُّهُ الْخَبِيثُ الْمُسْتَكْرَهُ.

﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

التَّيَمُّمُ فِي اللُّغَةِ هُوَ الْقَصْدُ.

قَالَ الشَّاعِرُ:

تَيَمَّمْتُ قَيْسًا وَكَمْ دُونَهُ ***** مِنَ الْأَرْضِ مِنْ مهمهٍ ذِي شَزَنِ

والمعنى: لَا تَقْصِدُوا الرَّدِيءَ مِنْ أَمْوَالِكُمْ فَتَتَصَدَّقُوا مِنْهُ، وَلَكِنْ تَصَدَّقُوا مِنَ الطِّيِّبِ الْجَيِّدِ.

﴿وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

الْإِغْمَاضُ فِي اللُّغَةِ: غَضُّ الْبَصَرِ، وَإِطْبَاقُ جَفْنٍ عَلَى جَفْنٍ، وَأَصْلُهُ مِنَ الْغُمُوضِ.

والمعنى: إذا كان لكم حُقُوقًا فأعطاكم غُرَمَاؤُكُمْ مِنَ الرَّدِيءِ مثل الذي بذلتم في صدقاتكم فلن تأخذوها إِلَّا عَنْ إِغْمَاضٍ مِنْكُمْ، فعاب الله تعالى عليه بذل مالا يقبلونه عند استيفاء حقوقهم.

قال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَوْ كَانَ لَكُمْ عَلَى أَحَدٍ حَقٌّ فَجَاءَكُمْ بِحَقٍّ دُونَ حَقِّكُمْ، لَمْ تَأْخُذُوا بِحِسَابِ الْجَيِّدِ حَتَّى تُنْقِصُوهُ.

وَلَمَّا كانت الصَّدَقَةُ قُرْبَانَ الْمُؤْمِنِ، كان الواجبُ عليه أن يتقربَ بِأَكْرَمِ الْأَمْوَالِ وَأَطْيَبِهَا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.[1]

وقيل المراد بذلك قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سِيرِينَ: سَأَلْتُ عَبِيدَةَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَالَ: (إِنَّمَا ذَلِكَ فِي الزَّكَاةِ، وَالدِّرْهَمُ الزَّائِفُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ التَّمْرَةِ).

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٩٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾.

وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ غَنِيٌّ عَنْ صَدَقَاتِكُمْ، وَإِنَّمَا أَمَرَكُمْ بِهَا، تطهيرًا لأغنيائكم، وسدًا لحاجة فقرائكم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ﴾.[1]

وَهُوَ سبحانه وتعالى حَمِيدٌ، أَيِ: مَحْمُودٌ مِنْ خَلْقِهِ جميعًا، مِنْ أغنيائِهِم بِمَا أَوْلَاهُمْ مِنْ نِعَمِهِ، وَبَسَطَ لَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ، وَمِنْ فقرائِهِم بما لَطَفَ بهم، وشَرَعَ لهم من الصدقاتِ ما يُسُدُّ فاقتَهُم، فهُوَ مَحْمُودٌ فِي أَفْعَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَفِي تشْرِيعِهِ وَتَقْدِيرِهِ.

١ - سُورَةُ الْحَجِّ: الآية/ ٣٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٦٨

لما أمر الله تعالى بالصدقات ورغب فيها وبين ما فيها من عظيم الأجر، حذر من وسوسة الشيطان وأنه سيقعد للعباد بالمرصاد ويزين لهم البخل، ويحذرهم الْفَقْرَ إذا أَدّوا زَكَاةَ أموالهم، أو أنفقوا من صدقاتهم.

الْوَعْدُ يُطْلَقُ ويرادُ التَّعَهُّدُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، كَمَا فِي قَولِه تَعَالَى: ﴿النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.[1]

وَالْفَقْرُ شِدَّةُ الْحَاجَةِ، وَهُوَ مُشْتَقٌّ مِنْ فِقَارِ الظَّهْرِ، ويقال لِلْمُصِيبَةِ فَاقِرَةٌ؛ لأنها تقصِمُ الظَّهْرَ.

وَالْفَحْشَاءُ: كل ما تجاوز حده من السوء وقبحَهُ الشرعُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: "اثْنَانِ مِنَ اللَّهِ، وَاثْنَانِ مِنَ الشَّيْطَانِ، الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ يَقُولُ: لَا تُنْفِقْ مَالَكَ، وَأَمْسِكْهُ عَلَيْكَ، فَإِنَّكَ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ، وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ عَلَى هَذِهِ الْمَعَاصِي وَفَضْلًا فِي الرِّزْقِ".[2]

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِلشَّيْطَانِ لَمَّةً، وَلِلْمَلَكِ لَمَّةً، فَأَمَّا لَمَّةُ الشَّيْطَانِ فَإِيعَادٌ بِالشَّرِّ وَتَكْذِيبٌ بِالْحَقِّ، وَأَمَّا لَمَّةُ الْمَلَكِ فَإِيعَادٌ بِالْخَيْرِ وَتَصْدِيقٌ بِالْحَقِّ، فَمَنْ وَجَدَ ذَلِكَ فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ الْأُخْرَى، فَلْيَتَعَوَّذْ مِنَ الشَّيْطَانِ» ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ﴾ الْآيَةَ.[3]

---

١ – سُورَةُ الْحَجِّ: الْآيَةُ/ ٧٢

٢ – تفسير الطبري– ط: هجر (٥/ ٥)

٣ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، حديث رقم: ٢٩٨٨، وابن حبان– بَابُ الْأَدْعِيَةِ، ذِكْرُ الْخَبَرِ الْمُدْحِضِ قَوْلَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمَرْءَ إِذَا كَانَ فِي حَالَةٍ لَيْسَ لَهُ سُؤَالُ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا الْخُلُولَ مِنْ تِلْكَ الْحَالَةِ، لِأَنَّ هَذَا كَلَامٌ مُحَالٌ، حديث رقم: ٩٩٧، وصححه الألباني

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال أبو حيان: وَتَقَدَّمَ وَعْدُ الشَّيْطَانِ عَلَى أَمْرِهِ، لِأَنَّهُ بِالْوَعْدِ يَحْصُلُ الِاطْمِئْنَانُ إِلَيْهِ، فَإِذَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ وَخَافَ الْفَقْرَ تَسَلَّطَ عَلَيْهِ بِالْأَمْرِ، إِذِ الْأَمْرُ اسْتِعْلَاءٌ عَلَى الْمَأْمُورِ.[1]

﴿وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾.

الْمَغْفِرَةُ هِيَ السَّتْرُ، وَالْفَضْلُ هُوَ الرِّزْقُ ولإحسانُ.

وَاللَّهُ تَعَالَى يَعِدُ عِبَادَهُ السِّترَ عليهم فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ. وَيَعِدُهُمْ الإِحْسَانَ وَالتَّوْسِعَةَ عليهم في الرِّزْقِ فِي الدُّنْيَا، وَيَعِدُهُمْ النَّعِيمَ المقيمَ فِي الجنةِ.

قال قَتَادَةَ: مَغْفِرَةً لَفَحْشَائِكُمْ، وَفَضْلًا لِفَقْرِكُمْ.

وَذُكِرَ: (الْفَقْر)، و(الْفَحْشَاء) مُعَرَّفَينِ للعهدِ، فالشيطان يعدهم ما يعرفونه، ويأمرهم بما يعلمونه، وَذُكِرَ: (مَغْفِرَة)، و (فَضْل)، نكرتين للتعظيم؛ لأنه وعد الله تعالى.

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾. يُعْطِي مِنْ سَعَةٍ، وَيَعْلَمُ من يستحق المغفرةَ.

وفي الآية لف ونشر غير مرتب؛ فوعد الله بالمغفرة في مقابل أمر الشيطان بالفاحشة، ووعد الله تعالى بالفضل، في مقابل وعد الشطان بالفقر.

---

١ - البحر المحيط في التفسير (٢/ ٦٨٢)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٦٩

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا ذَكَرَ فِي الْآيَةِ السابقة قوله: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا﴾. بَيَّنَ هنا أنه لا يهتدي لذلك إلا من أنار الله تعالى بصيرته، وعرف ما ينفعه في دنياه، وآخرته.

الحِكْمَةُ في اللغةِ: العِلْمُ بحَقائق الأَشْياءِ على مَا هِيَ عَلَيْه، والعَمَلُ بمُقْتَضاها.

وَقيل: الحِكْمَةُ: إِصابَةُ الحَقّ بالعِلْمِ والعَمَلِ.

وَتطلق الْحِكْمَةُ فِي الْقُرْآنِ وَيُرَادُ بها الْمَعْرِفَةُ بِالْقُرْآنِ؛ كما في هذه الآية: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الْمَعْرِفَةُ بِالْقُرْآنِ نَاسِخِهِ وَمَنْسُوخِهِ، وَمُحْكَمِهِ وَمُتَشَابِهِهِ، وَمُقَدَّمِهِ وَمُؤَخَّرِهِ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ، وَأَمْثَالِهِ.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: قَوْلُهُ: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾. «لَيْسَتْ بِالنُّبُوَّةِ، وَلَكِنَّهُ الْقُرْآنُ وَالْعِلْمُ وَالْفِقْهُ».

وتُطْلَقُ الْحِكْمَةُ وَيُرَادُ بها كلام الله تعالى: القُرْآن والتوراة والإنْجِيل؛ لِتَضَمُّنِ كُلِّ واحدٍ مِنْهَا الحِكْمَة المَنْطُوق بِها؛ ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ﴾.[1]

وتُطْلَقُ الْحِكْمَةُ وَيُرَادُ بها السنة؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾.[2]

١ - سُورَةُ الزخرفِ: الْآيَةُ/ ٦٣

٢ - سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٣١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾.[1]

وتُطْلَقُ وَيُرَادُ بها الْفَهْمُ وَالْعِلْمُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَآتَيْناهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾.[2]

وتُطْلَقُ وَيُرَادُ بها النُّبُوَّةُ: قَالَ تَعَالَى: ﴿فَقَدْ آتَيْنا آلَ إِبْراهِيمَ الْكِتابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَآتاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ﴾. [الْبَقَرَةِ: ٢٥١]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَآتَيْناهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطابِ﴾. [ص: ٢٠] يَعْنِي النُّبُوَّةَ.

والمراد بالْحِكْمَةِ هنا الْمَعْرِفَةُ بِالْقُرْآنِ وتَفْسِيرِهِ، وَالْفِقْهُ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى.

رَوَى الضَّحَّاكُ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعًا: الْحِكْمَةُ: الْقُرْآنُ. يَعْنِي: تَفْسِيرَهُ، فَإِنَّهُ قَدْ قَرَأَهُ الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ.

ومما يدل على أن الْحِكْمَةَ هي العلم بدين الله تعالى، والفهم لكتابه ما ثبت عنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لاَ حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ مَالًا فَسُلِّطَ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللَّهُ الحِكْمَةَ فَهُوَ يَقْضِي بِهَا وَيُعَلِّمُهَا».[4]

وَلَا يَكُونُ الْفِقْهُ فِي الدِّينِ، وَمَعْرِفَةُ الْقُرْآنِ إِلَّا بِكَمَالِ الْعَقْلِ وَحُسْنِ الْفَهْمِ، وذلك كله من المنح الربانية؛ لذلك قال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾.

﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾.

مَنْ أُعْطِيَ الْعِلْمَ وَالْقُرْآنَ فقد أُعْطِيَ خَيْرًا كَثِيرًا، وعلمًا غزيرًا بِالنِّسْبَةِ إِلَى علمِ الْعِبَادِ، وحِيزَ له خَيْرُ الدنيا والآخرةِ؛ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: «مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ

---

١ - سُورَةُ الأحزابِ: الْآيَةُ/ ٣٤

٢ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الْآيَةُ/ ١٢

٣ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٥٤

٤ - رواه البخاري- كِتَابُ العِلْمِ، بَابُ الِاغْتِبَاطِ فِي العِلْمِ وَالحِكْمَةِ، حديث رقم: ٧٣، ومسلم- كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ مَنْ يَقُومُ بِالْقُرْآنِ، وَيُعَلِّمُهُ، وَفَضْلِ مَنْ تَعَلَّمَ حِكْمَةً مِنْ فِقْهٍ، أَوْ غَيْرِهِ فَعَمِلَ بِهَا وَعَلَّمَهَا، حديث رقم: ٨١٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَقَدْ أُدْرِجَتِ النُّبُوَّةُ بَيْنَ جَنْبَيْهِ، إِلَّا أَنَّهُ لَا يُوحَى إِلَيْهِ، وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَرَأَى أَنَّ أَحَدًا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أُعْطِيَ أَفْضَلَ مِمَّا أُعْطِيَ، فَقَدْ حَقَّرَ مَا عَظَّمَ اللَّهُ، وَعَظَّمَ مَا حَقَّرَ اللَّهُ، وَلَيْسَ يَنْبَغِي لِحَامِلِ الْقُرْآنِ أَنْ يَجْهَلَ فِيمَنْ يَجْهَلُ، وَلَا يَحِدُّ فِيمَنْ يَحِدُّ، وَلَكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ».[1]

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

لا يتعظُ ولا يتفكرُ في هذه النعمةِ العظيمةِ، إِلَّا أصحابُ العقولِ الصحيحةِ، والقلوبِ السليمةِ، والفِطَرِ السويةِ المستقيمةِ.

١ - رواه الحاكم في المستدرك- كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، أَخْبَارٌ فِي فَضَائِلِ الْقُرْآنِ جُمْلَةً، حديث رقم: ٢٠٢٨، عبد الله بن المبارك في الزهد- حديث رقم: ٧٩٩، والبيهقي في شعب الإيمان- حديث رقم: ٢٣٥٢، وابن أبي شيبة- كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، فِي فَضْلِ مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ، حديث رقم: ٢٩٩٥٣، مَوْقُوفًا

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾. سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٧٠

لَمَّا حثَّ اللهُ تَعَالَى على الْإِنْفَاقِ ورغَّبَ في بَذْلِ الطيبِ من الأموالِ، بين سبحانه أنه لا يخفى عليه شيء من تلك النفقات، وإخبار الله تعالى بعلمه يتَضَمنُ الْوَعْدَ الحسنَ لِلْمُخْلِصينَ الْمُطِيعِينَ، وَالْوَعِيدَ الشَّدِيدَ لمن أنفقَ رِيَاءً وَسُمْعَةً.

ولما كانت النفقات تتضمن ما أمر به الشارع، ومَا أَوْجَبَهُ الْمُكَلَّفُ عَلَى نَفْسِهِ، ذكر الله تعالى القسمين.

والنَّذْرُ هو: مَا يَلْتَزِمُهُ الْإِنْسَانُ بِإِيجَابِهِ عَلَى نَفْسِهِ.

ويجبُ الوفاءُ بالنذرِ إلا فِيمَا لاَ يَمْلِكُ الْعَبْدُ، وَفِيمَا فيه مَعْصِيَةٌ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةٍ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ».[1]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ﴾، وَقَدْ ذَكَرَ شَيْئَيْنِ؛ لأَنَّ الضَّمِيرَ يعودُ على أقرب مذكور وهو النذر؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا.....﴾.[2]

أو لعود الضمير على: ﴿مَا﴾ وَيَكُونَ التَّقْدِيرُ: (وَمَا أَنْفَقْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ). كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وما أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتابِ وَالْحِكْمَةِ يَعِظُكُمْ بِهِ﴾.[3]

أو على تقدير محذوف، وَيَكُونَ تَقْدِيرُ الكلامِ: (وَما أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ [فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهَا] أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ). ذكره النَّحَّاسُ.

---

١ – رواه مسلم– كتابُ النَّذْرِ، بَابُ لَا وَفَاءَ لِنَذْرٍ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا فِيمَا لَا يَمْلِكُ الْعَبْدُ، حديث رقم: ١٦٤١

٢ – سُورَةُ النِّسَاء: الْآيَةُ/ ١١٢

٣ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ/٢٣١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.

خبرٌ يتضمن الوَعِيدَ الشَدِيدَ لِلظَّالِمِينَ، والمراد بالظَّالِمِينَ هنا مِنْ أَنْفَقُوا أموَالَهُم رِيَاءً وَسُمْعَةً، وَمِنْ أتبعوا نَفَقَاتِهِم بِالْمَنِّ وَالْأَذَى، وَقَالَ مُقَاتِلٌ: هُمُ الْمُشْرِكُونَ.

وَالْأَنْصَارُ: جَمْعُ نَصِيرٍ، وَنَاصِرٍ، وهُمُ الْأَعْوَانُ الذين يمنعون مَنْ يستنصرُ بهم، وَيَدْفَعُونَ عنه الضَّرَرَ. والمعنى: ليس لِلظَّالِمِينَ مانعٌ يمنعهم من عذابِ اللهِ.

وَجَاءَ لفظ: ﴿أَنْصَارٍ﴾، جَمْعًا بِاعْتِبَارِ أَنَّ مَا قَبْلَهُ جَمْعٌ، وهو لفظ: (الظَّالِمِينَ).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٧١

لَمَّا حَذَّرَ اللهُ تَعَالَى من حال من ينفق ماله رِيَاءً وسمعةً بقوله: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ....﴾.[1]

ربما ظن بعض الناس أن إِبْدَاءَ الصَّدَقَاتِ مِنَ الرِيَاءِ، فبين الله تعالى حكم إِبْدَاءِ الصَّدَقَاتِ وإخفائها.

جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ فِي صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ، لِأَنَّ الأصل في الزكاةِ أن تكون علانيةً، وَفِي هذه الآية بين اللهُ تَعَالَى أَنَّ إِخْفَاءَ الصَدَقَةِ أَفْضَلُ منْ إِظْهَارِهَا؛ فلزم أن تكون صَدَقَة التَّطَوُّعِ، قَالَ الْحَسَنُ: إِظْهَارُ الزَّكَاةِ أَحْسَنُ، وَإِخْفَاءُ التَّطَوُّعِ أَفْضَلُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي هذه الآية: فَجَعَلَ الْفَرِيضَةَ عَلانِيتَهَا أَفْضَلُ مِنْ سِرَّهَا. يُقَالُ: خَمْسَةٌ وَعِشْرُونَ ضِعْفًا، وَكَذَلِكَ جَمِيعُ الْفَرَائِضِ وَالنَّوَافِلِ فِي الأَشْيَاءِ كُلِّهَا.[2]

وَقَوْلُهُ: ﴿فَنِعِمَّا هِيَ﴾. أَصْلُهَا نِعْمَ مَا هِيَ، فأُدْغِمَتْ الْمِيمُ الأولى فِي الثانية، وَكُسِرَتْ العَيْنُ لالْتِقَاءِ السَّاكِنَيْنِ، ومعناها: فَنِعْمَ شَيْئًا إِبْدَاؤُهَا.

﴿وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

وَإِنْ تُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فِي السِّرِّ فهوَ أَفْضَلُ لَكُمْ من إعلانها؛ لأنه أبعدُ عَنِ الرياءِ، ولما فيه من صيانة ماء وجه الفقير، وحفظ كرامته.

ودل على أن صَدَقَةَ السِّرِّ أَفْضَلُ، ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾، فِي الأجرِ وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، وَخَيْرٌ هنا معناها أفضلُ، فهي من باب أفعل، وعلى التقدير الآخر إذا لم تكن كذلك، فهي أبلغ في المدح من : (نِعْمَ)، وفي الآية إرشاد للمؤمن أن يكون له خبيئة عمل لا يطلع عليه إلا الله.

---

١ - سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٦٤

٢ - رواه ابن أبي حاتم (٢/ ٥٣٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأنَّ إتمام المعروف ستره؛ وقد قيل: إِذَا اصْطَنَعْتَ الْمَعْرُوفَ فَاسْتُرْهُ، وَإِذَا اصْطُنِعَ إِلَيْكَ فَانْشُرْهُ.

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَا يَتِمُّ الْمَعْرُوفُ إِلَّا بِثَلَاثِ خِصَالٍ: تَعْجِيلُهُ وَتَصْغِيرُهُ وَسَتْرُهُ، فَإِذَا أَعْجَلْتَهُ هَنَّيْتَهُ، وَإِذَا صَغَّرْتَهُ عَظَّمْتَهُ، وَإِذَا سَتَرْتَهُ أَتْمَمْتَهُ.[1]

مما يدل على فضل صَدَقَةِ السِّرِّ، ما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللَّهُ تَعَالَى فِي ظِلِّهِ يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: إِمَامٌ عَدْلٌ، وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ فِي المَسَاجِدِ، وَرَجُلاَنِ تَحَابَّا فِي اللَّهِ، اجْتَمَعَا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقَا عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ، وَرَجُلٌ تَصَدَّقَ بِصَدَقَةٍ فَأَخْفَاهَا حَتَّى لاَ تَعْلَمَ شِمَالُهُ مَا تُنْفِقُ يَمِينُهُ، وَرَجُلٌ ذَكَرَ اللَّهَ خَالِيًا، فَفَاضَتْ عَيْنَاهُ».[2]

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الجَاهِرُ بِالقُرْآنِ، كَالجَاهِرِ بِالصَّدَقَةِ، وَالمُسِرُّ بِالقُرْآنِ، كَالمُسِرِّ بِالصَّدَقَةِ».[3]

قال الترمذي: (وَمَعْنَى هَذَا الحَدِيثِ أَنَّ الَّذِي يُسِرُّ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ أَفْضَلُ مِنَ الَّذِي يَجْهَرُ بِقِرَاءَةِ القُرْآنِ، لِأَنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ أَفْضَلُ عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ مِنْ صَدَقَةِ العَلَانِيَةِ، وَإِنَّمَا مَعْنَى هَذَا عِنْدَ أَهْلِ العِلْمِ لِكَيْ يَأْمَنَ الرَّجُلُ مِنَ العُجْبِ، لِأَنَّ الَّذِي يُسِرُّ العَمَلَ لَا يُخَافُ عَلَيْهِ العُجْبُ مَا يُخَافُ عَلَيْهِ مِنْ عَلَانِيَتِهِ).

﴿وَيُكَفِّرُ عَنْكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾.

وَ (مِنْ) لِلتَّبْعِيضِ، والمعنى: وَيُكَفِّرُ اللَّهُ عَنْكُمْ بِصَدَقَاتِكُمْ مِنْ سَيِّئَاتِكُمْ مَا يَشَاءُ، وهذا أيضًا دليل على فضل إخفاء الصدقات؛ لأنه ذكر هنا ولم يذكر مع إبدائها.

---

١ - تفسير القرطبي (٣/ ٣٣٤)

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ بِاليَمِينِ، حديث رقم: ١٤٢٣، ومسلم- كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ إِخْفَاءِ الصَّدَقَةِ، حديث رقم: ١٠٣١

٣ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٧٣٨٦، والترمذي- أَبْوَابُ الْأَمْثَالِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٢٩١٩، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

التَّكْفِيرُ فِي اللُّغَةِ السَّتْرُ، أي: ويسترُ الله عليكم ما وقعتم فيه مِنَ الذُّنُوبِ؛ كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ﴾.[1]

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

فلا يخفى عليه شيء من الطاعات مهما بالغ العبد في إخفائها.

١ - سُورَةُ هُودٍ: الْآيَةُ/ ١١٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٧٢

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بيَّنَ اللهُ تَعَالَى حال المنفقين، فمنهم المرائي، ومنهم من يَتْبَعُ الصدقةَ بالْمَنِّ وَالْأَذَى، ومنهم من ينفق ماله ابتغاء مرضات الله، ومنهم من يتصدق بالخبيثِ الرَّدِيءِ من ماله، ومنهم مِنْ يتصدق بالطيبِ الجَيِّدِ، ثم بين الصدقات فمنها ما يبذله المسلم تطوعًا، ومنها ما يوجبه على نفسه بالنذرِ، ومنها صدقة السر ومنها صدقة العلانية، ثم بين الله تعالى هنا منِ الَّذِي يَجُوزُ الْإِنْفَاقُ عَلَيْهِ.

سَبَبُ النُّزُولِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ كَانَ يَأْمُرُ بِأَلا يُصَدَّقَ إِلا عَلَى أَهْلِ الإِسْلامِ، حَتَّى نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾. إِلَى قَوْلِهِ: ﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾. فَأَمَرَ بِالصَّدَقَةِ بَعْدَهَا، عَلَى كُلِّ مَنْ سَأَلَكَ مِنْ كُلِّ دِينٍ.[1]

وَروى الحاكم والنسائي في السنن الكبرى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: " كَانُوا يَكْرَهُونَ أَنْ يَرْضَخُوا لِأَنْسِبَائِهِمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَسَأَلُوا، فَرَضَخَ لَهُمْ، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هَدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.[2]

---

١ - تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٥٣٨)

٢ - رواه النسائي في السنن الكبرى-كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْبَقَرَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هَدَاهُمْ﴾، حديث رقم: ١٠٩٨٦، والحاكم- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، حديث رقم: ٣١٢٨، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ١٢٤٥٣، والبيهقي في السنن الكبرى- كِتَابُ التَّفْسِيرِ، سُورَةُ الْبَقَرَةِ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هَدَاهُمْ﴾، حديث رقم: ١٠٩٨٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لَمَّا نهى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أصحابه عن الصدقة على المشركين لكفرهم، لِيَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ بسببِ حَاجَتهم إِلَيْهَا، نهاه الله تبارك وتعالى، فبَيَّنَ فِيهِ جَوَازَ الصَّدَقَةِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ، الَّذِي يَخْتَلِطُونَ بِالْمُسْلِمِينَ غَيْرَ مُحَارِبِينَ لَهُمْ وَهُمْ أَهْلُ الْعَهْدِ وَأَهْلُ الذِّمَّةِ، وهذا في صَدَقَةِ التَّطَوُّعِ، أَمَّا الزَّكَاةُ الْمَفْرُوضَةُ فَلَا يُجْزِئُ دَفْعُهَا لِكَافِرٍ بالإجماع.

قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: أَجْمَعَ كُلُّ من أحفظ عنه مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّ الذِّمِّيَّ لَا يُعْطَى مِنْ زَكَاةِ الْأَمْوَالِ شَيْئًا.[1]

ومما يدل على جَوَازُ الصَّدَقَةِ عَلَى الْكُفَّارِ، ما ثبت عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَتْ: قَدِمَتْ عَلَيَّ أُمِّي وَهِيَ مُشْرِكَةٌ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَاسْتَفْتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: وَهِيَ رَاغِبَةٌ، أَفَأَصِلُ أُمِّي؟ قَالَ: «نَعَمْ صِلِي أُمَّكِ».[2]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَإِنَّ لَنَا فِي هَذِهِ الْبَهَائِمِ لَأَجْرًا؟ فَقَالَ: «فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ».[3]

ثم قَالَ اللهُ تَعَالَى له: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾. أي: لا تجب عليك هدايتهم بقذف الإيمان في قلوبهم، وليس ذلك في مقدور أحدٍ مِنَ الخلقِ فَلَا تَمْنَعْهُمُ الصَّدَقَةَ لِيَدْخُلُوا فِي الْإِسْلَامِ.

الهِدَايَةُ نوعَانِ: هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ، وَهِدَايَةُ الْإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ.

---

١ - الإجماع لابن المنذر (ص: ٤٨)

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ الهِبَةِ وَفَضْلِهَا وَالتَّحْرِيضِ عَلَيْهَا، بَابُ الهَدِيَّةِ لِلْمُشْرِكِينَ، حديث رقم: ٢٦٢٠، ومسلم- كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ فَضْلِ النَّفَقَةِ وَالصَّدَقَةِ عَلَى الْأَقْرَبِينَ وَالزَّوْجِ وَالْأَوْلَادِ، وَالْوَالِدَيْنِ وَلَوْ كَانُوا مُشْرِكِينَ، حديث رقم: ١٠٠٣

٣ - رواه البخاري- كِتَاب المسَاقَاةِ، بَابُ فَضْلِ سَقْيِ الماءِ، حديث رقم: ٢٣٦٣، ومسلم- كتاب السَّلَامِ، بَابُ فَضْلِ سَاقِي الْبَهَائِمِ الْمُحْتَرَمَةِ وَإِطْعَامِهَا، حديث رقم: ٢٢٤٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فأما هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ فهي لله تعالى، وليست لأحد من خلق الله تعالى، فاللَّهُ تَعَالَى يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي فَضْلًا. وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي عَدْلًا.

وهذا النوع من الهِدَايَةِ هو الذي نفاه الله تعالى عن نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هنا وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.[1]

وَقوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾.[2]

قلنا إن الهِدَايَةَ نوعَانِ: هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ، وَهِدَايَةُ الْإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ.

النوع الأول: هِدَايَةُ التَّوْفِيقِ وهو خاص بالله تعالى؛ ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَنْ ضَلالَتِهِمْ﴾.[3]

والنوع الثاني: هِدَايَةُ الْإِرْشَادِ وَالدَّلَالَةِ، وهذه الهداية أثبتها اللهُ تَعَالَى لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾.[4]

وقوله تَعَالَى: ﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ﴾، خاص يراد به العموم، فهو في ظاهره خِطَابٌ للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْمُرَادَ بِهِ الأمةُ بدليل عُمُومِ الخطاب قَبْلَهَا وَعُمُومُ الخطابِ بَعْدَهَا.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنْفُسِكُمْ﴾.

مَا تُنْفِقُوا مِنْ الخَيْرِ فثَوَابُهُ ونفعه لكم أنتم، ولا يضركم كفرهم.

---

١ - سُورَةُ القَصَصِ: الآية/ ٥٦

٢ - سُورَةُ النَّمْلِ: الآية/ ٨١

٣ - سُورَةُ النَّمْلِ: الآية/ ٨١

٤ - سُورَةُ الشُّورَى: الآية/ ٥٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللَّهِ﴾.

ثم أثنى الله تبارك وتعالى على الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، بأنهم مهما تصدقوا على أقربائهم المشركين، فالله تعلم أنهم لا يردون بفقاتهم إلا وجهه تعالى، فهي شَهَادَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لهم أَنَّهُمْ إِنَّمَا يُنْفِقُونَ ابْتِغَاءَ وَجْهِهِ.

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾.

وعدهم أن يخلف عليهم في الدنيا؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.[1]

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ العِبَادُ فِيهِ، إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلاَنِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الآخَرُ: اللَّهُمَّ أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا».[2]

وضمن لهم ثواب نفقاتهم مهما صغرت يوم القيامة.

---

١ – سُورَةُ سَبَإٍ: الآية/ ٣٩

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى، وَصَدَّقَ بِالحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى، وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى، وَكَذَّبَ بِالحُسْنَى، فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى﴾ [الليل: ٦] «اللَّهُمَّ أَعْطِ مُنْفِقَ مَالٍ خَلَفًا»، حديث رقم: ١٤٤٢، ومسلم– كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابٌ فِي الْمُنْفِقِ وَالْمُمْسِكِ، حديث رقم: ١٠١٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٧٣

الْإِحْصَارُ فِي اللُّغَةِ: الحَبسُ عَن السّفر وَغَيره بسبب الْمَرَضِ، فإذا كان بسبب الْعَدُوِّ فَيُقَالُ حُصِرَ، قَالَ ابْنُ السِّكِّيتِ: أَحْصَرَهُ الْمَرَضُ إِذَا مَنَعَهُ مِنَ السَّفَرِ أَوْ مِنْ حَاجَةٍ يُرِيدُهَا.

وَقَالَ الزَّجَّاجُ: الْإِحْصَارُ عِنْدَ جَمِيعِ أَهْلِ اللُّغَةِ إِنَّمَا هُوَ مِنَ الْمَرَضِ، فَأَمَّا مِنَ الْعَدُوِّ فَلَا يُقَالُ فِيهِ إِلَّا حُصِرَ.

لَمَّا أمرَ اللهُ تَعَالَى بالصَّدَقَةِ ورغَّبَ فيها، وأَنَّهُ يَجُوزُ صَرْفُها إِلَى أَيِّ فَقِيرٍ، بَيَّنَ هنا مَنْ أَوْلَى الناسِ بهذه الصدقات، فقال: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾، والمراد بهم فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ، وَإِنَّمَا خَصَّهم بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُم كانوا أشدَّ احتياجًا من غيرهم، لأَنَّهُمْ هاجروا إلى المدينة لا أَهْلَ لَهُمْ وَلَا مَالٌ، فَبُنِيَتْ لَهُمْ صُفَّةٌ فِي مَسْجِدِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقِيلَ لَهُمْ: أَهْلُ الصُّفَّةِ.

﴿أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، حَصَرَهُمُ الْمُشْرِكُونَ فِي الْمَدِينَةِ بِسَبَبِ خَوْفِهِمْ مِنْهُم، وفي الكلام حذف تقديره: الصَّدَقَةُ لِلْفُقَرَاءِ.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ﴾.

لَا يَسْتَطِيعُونَ السَّفَرَ فِي الْبِلَادِ، لطلبِ الْمَعَاشِ وَكسبِ الرزقِ بالتِّجَارَةِ؛ خَوْفًا عَلَى أَنْفُسِهِمْ مِنَ القتلِ.

﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾.

يظنهم مَنْ لَمْ يعرفْ حَالَهُم ويَخْتَبِرْ أَمْرَهُمْ أَغْنِيَاءَ، من تَرْكِهِمُ للسؤالِ، وإِظْهَارِهِمُ التَّجَمُّلَ معَ شِدَّةِ حَاجَتِهِم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَيْسَ الْمِسْكِينُ بِالَّذِي تَرُدُّهُ التَّمْرَةُ وَالتَّمْرَتَانِ، وَلَا اللُّقْمَةُ وَاللُّقْمَتَانِ، إِنَّمَا الْمِسْكِينُ الْمُتَعَفِّفُ»، اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾.[1]

قوله تعالى: ﴿تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ﴾.

السِّيمَا الْعَلَامَةُ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا الشَّيْءُ، وَأَصْلُهَا مِنَ السِّمَةِ الَّتِي هِيَ الْعَلَامَةُ؛ كما قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.[2]

يَظْهَرُ لِذَوِي الْأَلْبَابِ مِنْ صِفَاتِهِمْ الشريفةِ، وعزةِ نفوسِهِم، وترفُعِهِم عن ذُلِّ السُّؤالِ، ما يلقي المهابةَ في قُلُوبِ مَنْ يرَونهُمْ.

﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

لَا يُلحْون فِي الْمَسْأَلَةِ وَلا يُكَلِّفُونَ النَّاسَ مَا لَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، قَالَ سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيِّبِ: مَنْ لَزِمَ الْمَسْجِدَ، وَقَبِلَ كُلَّ مَا يُعْطَى فَقَدْ أَلْحَفَ فِي الْمَسْأَلَةِ.

وقد نهى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْمَسْأَلَةِ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «لَأَنْ يَأْخُذَ أَحَدُكُمْ حَبْلَهُ ثُمَّ يَغْدُوَ فَيَحْتَطِبَ، فَيَبِيعَ، فَيَأْكُلَ وَيَتَصَدَّقَ، خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ يَسْأَلَ النَّاسَ».[3]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا﴾. [البقرة: ٢٧٣] وَكَمْ الغِنَى، حديث رقم: ١٤٧٦، ومسلم– كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الْمِسْكِينِ الَّذِي لَا يَجِدُ غِنًى، وَلَا يُفْطَنُ لَهُ فَيُتَصَدَّقُ عَلَيْهِ، حديث رقم: ١٠٣٩

٢ – سورة الْفَتْحِ: الآية/ ٢٩

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الِاسْتِعْفَافِ عَنِ المِسْأَلَةِ، حديث رقم: ١٤٧٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾.

إخبارُ اللهِ تعالى عن علمه بنفقاتِ العبادِ كِنَايَةٌ عَنِ الْجَزَاءِ عَلَيْهَا؛ لِأَنَّ الْعِلْمَ يُكْنَى بِهِ عَنْ أَثَرِهِ، وَقوله: ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾. لبيان أن أدنى خَيْرٍ يُنْفِقُهُ المسلمُ سَيَجْزِيه اللهُ تَعَالَى عَلَيْهِ أَوْفَرَ الْجَزَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ويجدُ ثوابَه أَحْوَجَ مَا يَكُونُ إِلَيْهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٧٤

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي الْآيَاتِ الْمُتَقَدِّمَةِ فضلَ إخفاءِ الصدقاتِ، وأَوْلَى مَنْ تُصْرَفُ إِلَيْهِ، بَيَّنَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ أن الإنفاقَ ممدوحٌ على كل حالٍ، سواءً كان بِاللَّيْلِ أوْ بالنَّهَارِ، سِرًّا أوْ عَلَانِيَةً.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: يَعُمُّونَ الْأَوْقَاتِ وَالْأَحْوَالَ بِالصَّدَقَةِ لِحِرْصِهِمْ عَلَى الْخَيْرِ، فَكُلَّمَا نَزَلَتْ بِهِمْ حَاجَةُ مُحْتَاجٍ عَجَّلُوا قَضَاءَهَا، وَلَمْ يُؤَخِّرُوهُ، وَلَمْ يَتَعَلَّلُوا بِوَقْتٍ وَلَا حَالٍ.

﴿سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾. السِّرُّ: الْخَفَاءُ. وَالْعَلَانِيَةُ: الْجَهْرُ وَالظُّهُورُ، وعلى هذا فأقسام المتصدقين أربعة: فأفضَلُهُم حَالًا مَنْ أنفقَ ليلًا سِرًّا، وأنزلُهُم حَالًا مَنْ أنفقَ نهارًا عَلَانِيَةً.

ومما يدل على ذلك وعلى أن الصدقةَ مقبولةٌ على كل حال إذا أراد بها صاحبها وجه الله تعالى؛ كما ثبت ذلك عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «قَالَ رَجُلٌ لَأَتَصَدَّقَنَّ اللَّيْلَةَ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ زَانِيَةٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ تُصُدِّقَ اللَّيْلَةَ عَلَى زَانِيَةٍ، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ غَنِيٍّ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى غَنِيٍّ، قَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى غَنِيٍّ، لَأَتَصَدَّقَنَّ بِصَدَقَةٍ، فَخَرَجَ بِصَدَقَتِهِ فَوَضَعَهَا فِي يَدِ سَارِقٍ، فَأَصْبَحُوا يَتَحَدَّثُونَ: تُصُدِّقَ عَلَى سَارِقٍ، فَقَالَ: اللهُمَّ، لَكَ الْحَمْدُ عَلَى زَانِيَةٍ، وَعَلَى غَنِيٍّ، وَعَلَى سَارِقٍ، فَأُتِيَ فَقِيلَ لَهُ: أَمَّا صَدَقَتُكَ فَقَدْ قُبِلَتْ، أَمَّا الزَّانِيَةُ فَلَعَلَّهَا تَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ زِنَاهَا، وَلَعَلَّ الْغَنِيَّ يَعْتَبِرُ فَيُنْفِقُ مِمَّا أَعْطَاهُ اللهُ، وَلَعَلَّ السَّارِقَ يَسْتَعِفُّ بِهَا عَنْ سَرِقَتِهِ».[1]

وَفِي الْآيَةِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ صَدَقَةَ السِّرِّ أَفْضَلُ مِنْ صَدَقَةِ الْعَلَانِيَةِ؛ لِأَنَّهُ قَدَّمَ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ، وَالسِّرَّ عَلَى الْعَلَانِيَةِ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ إِذَا تَصَدَّقَ عَلَى غَنِيٍّ وَهُوَ لاَ يَعْلَمُ، حديث رقم: ١٤٢١، ومسلم- كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ ثُبُوتِ أَجْرِ الْمُتَصَدِّقِ، وَإِنْ وَقَعَتِ الصَّدَقَةُ فِي يَدِ غَيْرِ أَهْلِهَا، حديث رقم: ١٠٢٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

ضمن اللهُ تَعَالَى لهم ثواب ما أنفقوا، وأخبر أنه عنده لتطمئن قلوبهم، وَدَخَلَتِ الْفَاءُ فِي: ﴿فَلَهُمْ﴾، لِتَضَمُّنِ الْمَوْصُولِ مَعْنَى اسْمِ الشَّرْطِ لِعُمُومِهِ.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

ثم أخبر سبحانه وتعالى أنهم لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ فيما يستقبلهم من البرزخ والحشر والحساب، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ على ما تركوه في الدنيا، لأن الله تعالى هو مولاهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٧٥

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى أهل الفضل والإحسان المنفقين أموالهم بالليل والنهار، في أوجه الْبِرِّ وسُبُلِ الخيرِ والطاعاتِ، ذَكَرَ سبحانه وتَعَالَى هنا صنفًا من النَّاسِ أَعْمَى بَصَائِرَهُم الجشعُ، وأذهب عقولَهم الشَّرَهُ لجمعِ المالِ، وبلغ نهمهم فيه مبلغًا عظيمًا، إنهم أَكَلَةُ الرِّبَا وَأَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ.

الرِّبَا فِي اللُّغَةِ: الزِّيَادَةُ، يُقَالُ: رَبَا الشَّيْءُ يَرْبُو إِذَا زَادَ؛ ومنه قوله تَعَالَى: ﴿فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾.[1]

وَفِي الشَّرْعِ يُطْلَقُ عَلَى شَيْئَيْنِ، رِبَا الْفَضْلِ، وَرِبَا النَّسِيئَةِ، وتفصيل ذلك فِي كُتُبِ الْفقهِ.

وعبر عن أخذ الربا بالأكل كناية عن الجشع تنفيرًا للناس عنه؛ لأن العرب تأنف من كثرة الأكل وتنسب البطنة إلى البهائم.

﴿لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.

أَيْ: لَا يَقُومُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الْمَصْرُوعُ الَّذِي أصابَهُ مَسٌّ مِنَ الشَّيْطَانِ، وهي عَلَامَةٌ يعرفُ بها أَهْلُ الرِّبَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

عَنْ عَوْفِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي لا تُغْفَرُ: الْغُلُولُ، فَمَنْ غَلَّ شَيْئًا أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَكِلُ الرِّبَا فَمَنْ أَكَلَ الرِّبَا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يَتَخَبَّطُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.[2]

---

١ – سُورَةُ الرُّومِ: الْآيَة/ ٣٩

٢ – رواه الطبراني في الكبير– حديث رقم: ١١٠، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: آكِلُ الرِّبَا يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُخْنَقُ.[1]

وهذا الكلام وإن ورد موقوفًا على ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فله حكم الرفع لأنه لا يقال من قبيل الرأي، وقد ثبت الحديث عَنْ عَوْفِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وغيره.

وللرِّبَا أثر عظيم جدًا عَلَى آكِلِهِ فِي الدنيا والآخرة؛ قَالَ السَّرَخْسِيُّ: ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى لِآكِلِ الرِّبَا خَمْسًا مِنَ الْعُقُوبَاتِ:

إِحْدَاهَا: التَّخَبُّطُ.

قَال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لاَ يَقُومُونَ إِلاَّ كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.[2]

الثَّانِيَةُ: الْمَحْقُ.

قَال تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا﴾.[3]

وَالْمُرَادُ الْهَلاَكُ وَالاِسْتِئْصَال، وَقِيل: ذَهَابُ الْبَرَكَةِ وَالاِسْتِمْتَاعِ حَتَّى لاَ يَنْتَفِعَ بِهِ، وَلاَ وَلَدُهُ بَعْدَهُ.

الثَّالِثَةُ: الْحَرْبُ.

قَال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.[4]

الرَّابِعَةُ: الْكُفْرُ.

قَال اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[5]

وَقَال سُبْحَانَهُ بَعْدَ ذِكْرِ الرِّبَا: ﴿وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُل كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.[6]

أَيْ: كَفَّارٍ بِاسْتِحْلاَل الرِّبَا، أَثِيمٍ فَاجِرٍ بِأَكْل الرِّبَا.

---

١ - رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التفسير (٢/ ٥٤٤)

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٢٧٥

٣ - سورة البقرة: الآية/ ٢٧٦

٤ - سورة البقرة: الآية/ ٢٧٩

٥ - سورة البقرة: الآية/ ٢٧٨

٦ - سورة البقرة: الآية/ ٢٧٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْخَامِسَةُ: الْخُلُودُ فِي النَّارِ.

قَال الله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.[1]

ومن خطر الربا أن الله تعالى أوجب لآكلي الربا عقوبات دنيوية، وعقوبات في البرزخ، وعقوبات في المحشر، مع العذاب في النار، نعوذ بالله من سخط الله.

فمن العقوبات الدنيوية أنه سبب الفقر؛ قَال الله تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.[2]

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «الرِّبَا وَإِنْ كَثُرَ، فَإِنَّ عَاقِبَتَهُ تَصِيرُ إِلَى قُلٍّ».[3]

ومن عقوبات البرزخ ما رواه البخاري عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ، فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: الَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُوا الرِّبَا».[4]

ومن عقوبات المحشر أَنَّهُ يبعث يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يَتَخَبَّطُ؛ كما في هذه الآية، فعَنْ عَوْفِ بن مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِيَّاكَ وَالذُّنُوبَ الَّتِي لا تُغْفَرُ: الْغُلُولُ، فَمَنْ غَلَّ شَيْئًا أَتَى بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَكِلُ الرِّبَا فَمَنْ أَكَلَ الرِّبَا بُعِثَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا

---

١ – سورة البقرة: الآية/ ٢٧٥، انظر المبسوط (١٢ / ١٠٩، ١١٠)

٢ – سورة البقرة: الآية/ ٢٧٦

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ٣٧٥٤، بسند صحيح

٤ – رواه البخاري– كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ مَا قِيلَ فِي أَوْلاَدِ الْمُشْرِكِينَ، حديث رقم: ١٣٨٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

يَتَخَبَّطُ». ثُمَّ قَرَأَ: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لا يَقُومُونَ إِلا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾.[1]

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: آكِلُ الرِّبَا يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَجْنُونًا يُخْنَقُ.[2]

ومنها الخلود في النار؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وَلَمَّا أخبر اللهُ تَعَالَى عن آكلي الرِّبَا أنهم لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ، بَيَّنَ سبحانه العلة التي من أجلها عوقبوا بهذا العقاب الشنيع في أرض المحشر فقال تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾.

وإنما عاقبهم الله تعالى بهذا العقاب لِاعْتِرَاضِهِمْ عَلَى شَرْعِ اللَّهِ، وتقديمهم العقلَ على النقلِ، مع ضعف العقل، وقصوره عن إدراك الحكمة في كل حكم من أحكام الشرع، وهي آفة كثير من الناس.

وقولهم: ﴿إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا﴾. قياس للبيع على الرِّبَا، كأنهم قالوا: الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا، فإذا كان الربا محرمًا، وجب أن يكون الْبَيْعُ محرمًا؛ لأنه مثله.

وَمَا ذَكَرُوه مُعَارَضَةٌ لِلنَّصِّ بِالْقِيَاسِ، وقدوتهم في ذلك إِبْلِيسُ، فَإِنَّهُ عَارَضَ النَّصَّ بِالْقِيَاسِ لَمَّا أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِالسُّجُودِ لِآدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَقَالَ: ﴿أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾.[3]

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾.

اختلف الْمُفَسِّرونَ في هَذَا الْكَلَامِ هل هو مِنْ تَمَامِ كَلَامِ الْكُفَّارِ، أو هو مِنْ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى ردًّا على شبهة الْكُفَّارِ؟

---

١ - رواه الطبراني في الكبير- حديث رقم: ١٤٩٤٩، بسند حسن

٢ - رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التفسير (٢/ ٥٤٤)

٣ - سورة الأعراف: الآية/ ١٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعلى القول الأول: يكون الْمَعْنَى أَنَّهُمْ قَالُوا: الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا، فإذا كان الرِّبَا مُحَرَّمًا، كان الْبَيْعُ مُحَرَّمًا وأنتم تَقُولُونَ: أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبا، فَكَيْفَ يُعْقَلُ هَذَا؟

وقال أَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ: قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. كَلَامُ اللَّهِ تَعَالَى يَرُدُّ بِهِ على الْكُفَّارِ الذين يظنون أن الْبَيْعَ والرِّبَا متماثلان، ويجب أن يكون حكمها واحدًا، وهذا القول أرجح، لأن الكلام على التقدير الأول لَا يَتِمُّ إِلَّا بِإِضْمَارِ زِيَادَاتٍ، والْإِضْمَارُ خِلَافُ الْأَصْلِ.

وَلَوْ لَمْ يَكُنْ قَوْلُهُ تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾. كَلَامَ اللَّهِ لبقيت شبهةُ الكفارِ بغير جَوَابٍ.

قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾، دليل على أنه لا مدخل للقياس في العبادات، ودليل على تحريم الاعتراض على أحكام الشرع، وعلى حرمة تقديم العقل على النقل.

وفيها دليل قاطع على تحريم الربا بنوعيه: ربا الفضل، وربا النسيئة، وتحريم كل صورة من صوره، ولو سماه الناس بغير اسمه.

﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾.

أَيْ: مَنْ بَلَغَهُ تَحْرِيمُ اللهِ تَعَالَى لِلرِّبَا، وَنَهْيُهُ تَعَالَى عَنْهُ فَتَرَكَ الرِّبَا بلَا تَرَدُّدٍ، وامتثل حكمَ اللهِ تعالى، فانتهى عَمَّا نَهَى الله عَنْهُ، فَلَهُ مَا كَانَ أَخَذَهُ مِنَ الرِّبَا فِيمَا سَلَفَ، ولَا يُكَلَّفُ رَدَّهُ إِلَى مَنْ أَخَذَهُ مِنْهُ، وَأَمْرُهُ إِلَى اللهِ يَحْكُمُ فِيهِ بِعَدْلِهِ، وَمِنَ عَدْلِ اللهِ أَلَّا يُؤَاخَذَ أحدًا بفعل ذنبٍ قَبْلَ أن يبلغَهُ تَّحْرِيمُهُ.

﴿وَمَنْ عَادَ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

وَمَنْ عَادَ إلى أكل الربا بعد بُلُوغِهِ تَّحْرِيمُهُ، فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ الَّذِينَ يُلَازِمُونَهَا ملازمةَ الصَّاحِبِ لصَاحِبِهِ، وهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ، فإن استحلوا أكل الربا فيحمل الْخُلُودُ على التأبيد، وإن لم يستحلوا أكله فيحمل الْخُلُودُ على طُولِ الْمُكْثِ؛ فإنَّ الْمَعَاصِي لَا تُوجِبُ الْخُلُودَ فِي النَّارِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.[1]

الْمَحْقُ: نُقْصَانُ الشَّيْءِ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، حتى يؤول إلى الْمَحْوِ، وقيل لِلْقَمَرِ مُحَاقٌ إذا ذَهَبَ نُورُهُ.

لما رغبَ الله تعالى في الصَّدَقَاتِ، وحَذَّرَ من أكل الرِّبَا، وكانت الطباع قد جبلت على حب المال، والرغبة في الإكثار منه، وكان ذلك الحامل لكثير من الناس على البخل بالصدقات على ما لها من عظيم الأجر، وعلى أكل الربا على ما فيه من عظيم الإثم، بين الله تعالى أن الأمر بخلاف ما يعتقد كثير من الناس، فالصدقة لا تنقص المال بل تنميه وتكثره، والربا لا يزيد المال، بل ينقصه ويمحقه.

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾.[2]

وَعَنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا أَحَدٌ أَكْثَرَ مِنَ الرِّبَا إِلاَّ كَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهِ إِلَى قِلَّةٍ».[3]

﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾.

ينميها اللهُ تَعَالَى نماءًا حقيقيًا في الدنيا ويكثرها ويبارك فيها، وينمي ثوابها في الآخرة؛ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾.[4]

---

١ – سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٧٦

٢ – سورة الروم: الآية/ ٣٩

٣ – رواه أحمد وابن ماجه– كتاب التجارات، باب التغليظ في الربا، حديث رقم: ٢٢٧٦، والحاكم– كتاب الرقاق، حديث رقم: ٧٩٦٤ والبيهقي في شعب الإيمان– حديث رقم: ٥٢٥٣، والطبراني في الكبير– حديث رقم: ١٠٣٤٥، بسند صحيح

٤ – سُورَةُ الرُّومِ: الْآيَةُ/ ٣٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلاَ يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللَّهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ».[1]

وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الأَنْمَارِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «ثَلَاثَةٌ أُقْسِمُ عَلَيْهِنَّ وَأُحَدِّثُكُمْ حَدِيثًا فَاحْفَظُوهُ» قَالَ: «مَا نَقَصَ مَالُ عَبْدٍ مِنْ صَدَقَةٍ، وَلَا ظُلِمَ عَبْدٌ مَظْلِمَةً فَصَبَرَ عَلَيْهَا إِلَّا زَادَهُ اللَّهُ عِزًّا، وَلَا فَتَحَ عَبْدٌ بَابَ مَسْأَلَةٍ إِلَّا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ بَابَ فَقْرٍ».[2]

فهو أمر ينبغي ألا يتطرق إلى المسلم فيه شك، وإن كان خلاف المتبادر إلى الذهن، فقد أخبر الله تعالى به، وأقسم عليه رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.

الْكَفَّارُ صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ مِنَ الْكُفْرِ عَلَى وَزنِ فَعَّالٍ، وَأَثِيمُ صِيغَةُ مُبَالَغَةٍ مِنَ الْإِثْمِ عَلَى وَزنِ فَعِيلٍ بِمَعْنَى فَاعِلٍ، ذكرهما الله تعالى بِصِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ وَإِنْ كَانَ تَعَالَى لَا يُحِبُّ الْكَافِرَ؛ تَنْبِيهًا عَلَى عِظَمِ أَمْرِ الرِّبَا.

والْمُرَابِيَ كَفَّارٌ؛ لأَنَّ أَكْلَ الرِّبَا من شَأْنِ الكُفْارِ وليس مِنْ شَأْنِ أهلِ الإيمانِ، فإذا كان مستحلًّا له كان كافرًا، وإن لم يكن كذلك كان متشبهًا بهم؛ ولأنه بأَكْلِ الرِّبَا أعرضَ عن الكسبِ الطيبِ المباحِ إلى المحرم الخبيث، فعنده حجود لنعمة الله تعالى.

وَهو أَثِيمٌ لأَنَّهُ لم يَرْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَهُ مِنَ الْحَلَالِ، بل سَعَى لأكل أموال الناس بالباطل، بأنواع المكاسب الْخَبِيثَةِ، فهو ظَلُومٌ آثِمٌ بِأَكْلِ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ الصَّدَقَةِ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ لِقَوْلِهِ: ﴿وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ، وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ، إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلاَةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ، لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٧]، حديث رقم: ١٤١٠، ومسلم- كِتَابُ الزَّكَاةِ، بَابُ قَبُولِ الصَّدَقَةِ مِنَ الْكَسْبِ الطَّيِّبِ وَتَرْبِيَتِهَا، حديث رقم: ١٠١٤

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٨٠٣١، والترمذي- أَبْوَابُ الزُّهْدِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ أَرْبَعَةِ نَفَرٍ، حديث رقم: ٢٣٢٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية فِي الآية: الطِّبَاقُ بين لفظي: (يَمْحَقُ)، وَ (يُرْبِي)، وَلفظي: (الرِّبَا) وَ (الصَّدَقَاتِ).

وَالجناس فِي (الرِّبَا) وَ (يُرَبِّي).

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾. ذكر لفظ: ﴿كَفَّارٍ﴾، على وزن فعال، وهي صيغة مبالغة، ومعناها: عظيم الكفر، ولفظ: ﴿أَثِيمٍ﴾، على وزن فعيل، وهي صيغة مبالغة، ومعناها: شديد الإثم، للتنفير من الربا والتنبيه على خطره.

قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾، جُمْلَةٌ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَ أَحْكَامِ الرِّبَا؛ للإعلام بأَنَّ الرِّبَا مِنْ شِعَارِ أَهْلِ الْكُفْرِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ * يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الآيَةُ/ ٢٧٧، ٢٧٨

لما ذكر الله تعالى المرابي وتوعده على أكل الربا، وبالغ في الإنكار عليه ذكر الله تعالى حال المؤمنين الطائعين، وما ينتظرهم من الجزاء.

وذكر الصلاة والزكاة بعد العمل الصالح، من باب ذكر الخاص بعد العام؛ تنبيها على قدرهما، فالصلاة أفضل الأعمال البدنية، والزكاة أفضل الأعمال المالية.

﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾.

أي: لَهُمْ ثوابهم الكامل مدخرٌ لَهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ في الجنة.

﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أي: لا يخافون مما يستقبلهم من القبر وظلمته، والحشر وشدته، والحساب ورهبته، ولا يحزنون على ما خلفوه في الدنيا من الأهل والأموال.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾.

يأمر الله تعالى المؤمنين به المصدقين لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يحذروا أسباب سخطه تعالى، وأن يخافوا عذابه، بترك مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا عند الناسِ.

وتقدم الأمرُ بِتَقْوَى اللَّهِ على الْأَمْرِ بِتَرْكِ الرِّبَا؛ لِأَنَّ تَقْوَى اللَّهِ هِيَ أَصْلُ الِامْتِثَالِ وَالِاجْتِنَابِ، فمن اتقى الله هان عليه ترك الحرام.

﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا﴾. أي: اتْرُكُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا، ونهى الله تعالى عمَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا؛ لأنه ربما توهم متوهم أن الله تعالى لما قال: ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ﴾. أن ما سلف يدخل فيه ما قبضه، وما بقي له عند الناس، فبين سبحانه تحريم الربا كله وإِنْ كَانَ لَمْ يُقْبَضْ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

قَالَ عَطَاءٌ وَعِكْرِمَةُ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ وَكَانَا قَدْ أَسْلَفَا فِي التَّمْرِ، فَلَمَّا حَضَرَ الْجُذَاذُ قَالَ لَهُمَا صَاحِبُ التَّمْرِ: لَا يَبْقَى لِي مَا يَكْفِي عِيَالِي إِذَا أَنْتُمَا أَخَذْتُمَا حَظَّكُمَا كُلَّهُ، فَهَلْ لَكُمَا أَنْ تَأْخُذَا النِّصْفَ وَتُؤَخِّرَا النِّصْفَ وَأُضْعِفُ لَكُمَا فَفَعَلَا؛ فَلَمَّا حَلَّ الْأَجَلُ طَلَبَا الزِّيَادَةَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَنَهَاهُمَا وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، فَسَمِعَا وَأَطَاعَا وَأَخَذَا رُؤُوسَ أَمْوَالِهِمَا.[1]

﴿إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

فيه دليل على أن أكل الربا والإيمان لا يجتمعان.

قال الفخر الرازي: وَاعْلَمْ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ أَصْلٌ كَبِيرٌ فِي أَحْكَامِ الْكُفَّارِ إِذَا أَسْلَمُوا، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَا مَضَى فِي وَقْتِ الْكُفْرِ فَإِنَّهُ يَبْقَى ولا ينقص، وَلَا يُفْسَخُ، وَمَا لَا يُوجَدُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي حَالِ الْكُفْرِ فَحُكْمُهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْإِسْلَامِ، فَإِذَا تَنَاكَحُوا عَلَى مَا يَجُوزُ عِنْدَهُمْ وَلَا يَجُوزُ فِي الْإِسْلَامِ فَهُوَ عَفْوٌ لَا يُتَعَقَّبُ، وَإِنْ كَانَ النِّكَاحُ وَقَعَ عَلَى مُحَرَّمٍ فَقَبَضَتْهُ الْمَرْأَةُ فَقَدْ مَضَى، وَإِنْ كَانَتْ لَمْ تَقْبِضْهُ فَلَهَا مَهْرُ مِثْلِهَا دُونَ الْمَهْرِ الْمُسَمَّى.

---

١ - أسباب النزول للواحدي (ص: ٩٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾. سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٧٩

لما نهى الله تعالى عن الربا وحذر منه وأخبر أن يمحقه، ثم هَدَّدَ هُنا مَنِ اسْتَمَرَّ عَلَى تَعَاطِي الرِّبَا بعد علمه بتحريمه، وأقام على غيه، ولج في طغيانه، وتوعده أبلغ وعيد فقال: ﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: اسْتَيْقِنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وذلك لأن تعمد المخالفة ليس كالمخالفة عن جهل أو غير قصد.

روى ابْنُ جَرِيرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: يُقَالُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِآكِلِ الرِّبَا: خُذْ سِلَاحَكَ لِلْحَرْبِ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَنْ كَانَ مُقِيمًا عَلَى الرِّبَا لَا يَنْزَعُ عَنْهُ فَحَقٌّ عَلَى إِمَامِ الْمُسْلِمِينَ أَنْ يَسْتَتِيبَهُ، فَإِنْ نَزَعَ وَإِلَّا ضَرَبَ عُنُقَهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: أَوْعَدَهُمْ بِالْقَتْلِ كَمَا تَسْمَعُونَ، وَجَعَلَهُمْ بَهْرَجًا أَيْنَ مَا لُقُوا، فَإِيَّاكُمْ، وَمَا خَالَطَ هَذِهِ الْبُيُوعَ مِنَ الرِّبَا، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَوْسَعَ الْحَلَالَ وَأَطَابَهُ، وَلا تُلْجِئَنَّكُمْ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ فَاقَةٌ.[1]

قَرَأَ شعبةُ عن عَاصِم وَحَمْزَةُ ﴿فَآذِنُوا﴾، بِالْأَلِفِ مَمْدُودَةٍ وذَالٍ مَكْسُورَةٍ عَلَى وزنِ ﴿فَآمِنُوا﴾، بِمَعْنَى: (فَأَعْلِمُوا) كما في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلى سَواءٍ﴾.[2]

وَالمَفْعُولُ على هَذِهِ القراءةِ مَحْذُوفٌ، وَتَقْدِيرُه: (فَأَعْلِمُوا مَنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنِ الرِّبَا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ).

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿فَأْذَنُوا﴾، بِسُكُونِ الْهَمْزَةِ وذَالٍ مَفْتُوحَةَ وأَلِفٍ مَقْصُورَةٍ، بِمَعْنَى: فَاعْلَمُوا وَأَيْقِنُوا.

١ – رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تفسيره (٢/ ٥٥٠)

٢ – سورة الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ١٠٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَهُوَ خِطَابٌ فِي غاية الشدةِ لأنه لِلْمُسْتَحِلِّينَ لِلرِّبَا، الْمُصِرِّينَ عَلَى تَعَاطِي، ولا وجه لمن قال الخطاب هنا للكفار؛ لأن قَوْلَهُ تعالى: ﴿فَأْذَنُوا﴾، خِطَابٌ لقَوْمٍ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ، وهم المخاطبون بقوله تَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.[1]

قولُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾.

يَعْنِي: إِنْ تُبْتُمْ عَنْ أَكْلِ الرِّبَا، وَأَنَبْتُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ مِنَ الدُّيُونِ الَّتِي لَكُمْ عَلَى النَّاسِ دُونَ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَان.

﴿لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾، أَيْ لَا تَظْلِمُونَ بِطَلَبِ زِيَادَةٍ عَلَى رَأْسِ الْمَالِ، وَلَا تُظْلَمُونَ بِنُقْصَانِ رَأْسِ الْمَالِ، أو مماطلة؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ».[2]

قولُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾.

كَانَ هنا تَامَّةٌ، بمعنى وُجِدَ، والعُسْرَةُ: الفقر والضيق، يَعْنِي: وَإِنْ وُجِدَ الَّذِي عَلَيْهِ الدَّينُ فقيرًا مُعسرًا، ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ﴾، النَّظِرَةُ: الِانْتِظَارُ؛ ومنه قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ﴾.[3]

يَعْنِي: انْتَظِرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ.

وَإِنْ وُجِدَ الَّذِي عَلَيْهِ الدَّينُ فقيرًا مُعسرًا، فَانْتظِرُوا، وَأَمْهِلُوهُ إِلَى وَقْتِ يَسَارٍ، يَتَمَكَّنُ فِيهِ مِنَ الْأَدَاءِ، وأين هذا مما كان يفعله أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ، من قول أَحَدِهِمْ لِمَدِينِهِ إِذَا حَلَّ عَلَيْهِ الدَّيْنُ: إِمَّا أَنْ تَقْضِيَ وَإِمَّا أَنْ تُرْبِيَ؟

---

١ – سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٧٨

٢ – رواه البخاري– كِتَاب فِي الِاسْتِقْرَاضِ وَأَدَاءِ الدُّيُونِ وَالحَجْرِ وَالتَّفْلِيسِ، بَابٌ: مَطْلُ الغَنِيِّ ظُلْمٌ، حديث رقم: ٢٤٠٠، ومسلم– كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ تَحْرِيمِ مَطْلِ الْغَنِيِّ، وَصِحَّةِ الْحَوَالَةِ، وَاسْتِحْبَابِ قَبُولِهَا إِذَا أُحِيلَ عَلَى مَلِيٍّ، حديث رقم: ١٥٦٤

٣ – سورة الْحَدِيدِ: الآية/ ١٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

لما أمر الله تعالى بإمهال الْمُعْسِرِ إِلَى وَقْتٍ يَسَاره، رَغَّبَ هنا فيما هو أعظمُ عند الله أجرًا، وأبلغُ في النفوس أثرًا؛ فقال: ﴿وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾، قَالَ: الضَّحَّاكُ، (يَعْنِي عَلَى الْمُعْسِرِ، فَأَمَّا الْمُوسِرُ فَلَا، وَلَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْهُ رَأْسُ الْمَالِ، وَالْمُعْسِرُ الْأَخْذُ مِنْهُ حَلَالٌ وَالصَّدَقَةُ عَلَيْهِ أَفْضَلُ).

﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ما لكم من الأجرِ عند الله تعالى بتنفيس كُرَبِةِ الْمُعْسِرِ، أَوْ وَضْعِ الدين عَنْهُ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي قَتَادَةَ، أَنَّ أَبَا قَتَادَةَ، طَلَبَ غَرِيمًا لَهُ، فَتَوَارَى عَنْهُ ثُمَّ وَجَدَهُ، فَقَالَ: إِنِّي مُعْسِرٌ، فَقَالَ: آللَّهِ؟ قَالَ: آللَّهِ؟ قَالَ: فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يُنْجِيَهُ اللهُ مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلْيُنَفِّسْ عَنْ مُعْسِرٍ، أَوْ يَضَعْ عَنْهُ». رواه مسلم

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية الجناس في: ﴿تَظْلِمُونَ﴾ وَ ﴿تُظْلَمُونَ﴾.

والمقابلة بين: ﴿عُسْرَةٍ﴾ وَ ﴿مَيْسَرَةٍ﴾.

والترقي في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٨١

لما حذر الله تعالى عباده من تعاطي الربا، وهددهم عليه بصنوف التهديد، أعقب ذلك بتهديد آخر، وهو الرجوع إلى الله تعالى والوقوف بين يديه، بعد زَوَالِ الدُّنْيَا وَفَنَاءِ الْأَمْوَالِ، فيقبل العبد على الله تعالى فردًا كما خلقه، كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾.[1]

ولما كانت هَذِهِ الْآيَةَ موعظة للناس جميعًا الصالح منهم والطالح، والبر منهم والفاجر، جعلها اللهُ تَعَالَى آخرَ آيَةٍ نَزَلَتْ مِنَ الْقُرْآنِ؛ لتكون بمثابة وصية الأب الحنون المشفق على أولاده عند احتضاره، فقد تُوَفَّى النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ نُزُولِهَا بِتِسْعِ لَيَالٍ؛ فعَنِ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هَذِهِ آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ».[2]

وعَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ: آخِرُ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ كُلِّهِ: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾، وَعَاشَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ تِسْعَ لَيَالٍ، ثُمَّ مَاتَ يَوْمَ الِاثْنَيْنِ، لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ رَبِيعٍ الْأَوَّلِ.[3]

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ آيَةُ الرِّبَا».[4]

---

١ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ٩٤

٢ – رواه البخاري تعليقًا– بَابُ مُوَكِلِ الرِّبَا.

٣ – رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ– قَوْلُهُ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ﴾ [البقرة: ٢٨١]، رقم: ٢٩٤٤

٤ – رواه البخاري– كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، حديث رقم: ٤٥٤٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعَنِ البَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: آخِرُ آيَةٍ نَزَلَتْ خَاتِمَةُ سُورَةِ النِّسَاءِ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ﴾. [النساء: ١٧٦].[١]

ولا تعارض بين هذه الروايات، فإن قوله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ﴾. آخر ما نزل من الْفَرَائِضِ، وَآيَةُ الرِّبَا آخِرُ مَا نَزَلَ من الأحكام، وقوله: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾، آخر ما نزل مطلقًا.

قال السيوطي: وَلَا مُنَافَاةَ عِنْدِي بَيْنَ هَذِهِ الرِّوَايَاتِ فِي آيَةِ الرِّبَا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْماً﴾ وَآيَةُ الدَّيْنِ لِأَنَّ الظَّاهِرَ أَنَّهَا نَزَلَتْ دُفْعَةً وَاحِدَةً كَتَرْتِيبِهَا فِي الْمُصْحَفِ وَلِأَنَّهَا فِي قِصَّةٍ وَاحِدَةٍ فَأَخْبَرَ كُلٌّ عَنْ بَعْضِ مَا نَزَلَ بِأَنَّهُ آخِرٌ وَذَلِكَ صَحِيحٌ وَقَوْلُ الْبَرَاءِ: آخِرُ مَا نَزَلَ: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ ، أَيْ فِي شَأْنِ الْفَرَائِضِ.

وَقَالَ ابْنُ حَجَرٍ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ: طَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَ الْقَوْلَيْنِ فِي آيَةِ الرِّبَا: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا﴾، أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ هِيَ خِتَامُ الْآيَاتِ الْمُنَزَّلَةِ فِي الرِّبَا إِذْ هِيَ مَعْطُوفَةٌ عَلَيْهِنَّ وَيَجْمَعُ بَيْنَ ذَلِكَ وَبَيْنَ قَوْلِ الْبَرَاءِ بِأَنَّ الْآيَتَيْنِ نَزَلَتَا جَمِيعًا فَيَصْدُقُ أَنَّ كُلًّا مِنْهُمَا آخِرٌ بِالنِّسْبَةِ لِمَا عَدَاهُمَا وَيُحْتَمَلُ أَنْ تَكُونَ الْآخِرِيَّةُ فِي آيَةِ النِّسَاءِ مُقَيَّدَةً بِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْمَوَارِيثِ بِخِلَافِ آيَةِ الْبَقَرَةِ.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الفَرَائِضِ، بَابُ ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الكَلاَلَةِ، إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ، وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهَا وَلَدٌ فَإِنْ كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ، وَإِنْ كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنْثَيَيْنِ، يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٧٦]، حديث رقم: ٦٧٤٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلَا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٨٢

عَنِ ابْنِ شِهَابٍ قَالَ، حَدَّثَنِي سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ بَلَغَهُ: «أَنَّ أَحْدَثَ الْقُرْآنِ، بِالْعَرْشِ آيَةُ الدَّيْنِ». رواه الطبري

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لما نهى عن الربا وحذر منه أشد التحذر، ربما أحجم بعض الناس عن التداين خوفًا على المال من الضياع – لا سيما إذا كانت المعاملة لا تشتمل على ربح مادي – فبَالَغَ اللهُ تَعَالَى في الْتأكيدِ على حِفْظِ الْمَالِ فِي هذه الآية، ليبث الثقة في النفوس، فيعلم صاحب الحق أن حقه مكفول، ويحرص المدين على الوفاء بدينه؛ فتروج المعاملات بين الناس، وتنتعش معايشهم، وهذه هي العلة في أن هذه الآية الكريمة أطول آية في كتاب الله تعالى.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾، قَالَ: أُنْزِلَتْ فِي السَّلَمِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ.

وَعَنْهُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ السَّلَفَ الْمَضْمُونَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّهُ وَأَذِنَ فِيهِ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ

وَالسَّلَمُ: بَيْعٌ مَوْصُوفٌ فِي الذِّمَّةِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ويقالُ له: سَلَفٌ، وَسُمِّيَ سَلَمًا لِتَسْلِيمِ رَأْسِ الْمَالِ فِي الْمَجْلِسِ، وَسَلَفًا لِتَقْدِيمِهِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَدِمَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ، وَهُمْ يُسْلِفُونَ فِي الثِّمَارِ السَّنَةَ وَالسَّنَتَيْنِ، فَقَالَ: «مَنْ أَسْلَفَ فِي تَمْرٍ، فَلْيُسْلِفْ فِي كَيْلٍ مَعْلُومٍ، وَوَزْنٍ مَعْلُومٍ، إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ».[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾.

أرشد اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ بتوثيق مُعَامَلَاتهم بكتابتها، والإشهاد عليها لحفظ الحقوق وعدم ضياعها، بجحد أو نسيان، وعدم الارتياب في قدرها عند الاستيفاء؛ لأن قوام حياة الناس، وتحقيق مصالحهم، يكون بالمال، كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾.[2]

وحذَّرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من التهاون في الكتابة والإشهاد والتوثيق في التَّدَايَنِ؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «ثَلَاثَةٌ يَدْعُونَ اللَّهَ فَلَا يُسْتَجَابُ لَهُمْ: رَجُلٌ كَانَتْ تَحْتَهُ امْرَأَةٌ سَيِّئَةَ الْخُلُقِ فَلَمْ يُطَلِّقْهَا، وَرَجُلٌ كَانَ لَهُ عَلَى رَجُلٍ مَالٌ فَلَمْ يُشْهِدْ عَلَيْهِ، وَرَجُلٌ آتَى سَفِيهًا مَالَهُ وَقَدْ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾».[3]

منهجُ الْقُرْآنِ فِي الْأَعم الأغلب مبني عَلَى الإيجازِ والِاخْتِصَارِ، وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ بَسْطٌ واضح وإطناب ظاهر جدًا؛ والعلة في هذا البسط والإطناب؛ الاحتياط لحفظ الحقوق، حسن رعاية المال، وحتى لا يتوهم متوهم أن الله تعالى لما أمرنا بالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِهِ وشدَّدَ فِي تَحْرِيمِ الرِّبَا أَنَّ

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ السَّلَمِ، بَابُ السَّلَمِ فِي وَزْنٍ مَعْلُومٍ، حديث رقم: ٢٢٤٠، ومسلم– كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ السَّلَمِ، حديث رقم: ١٦٠٤

٢ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٨

٣ – رواه الحاكم في المستدرك– تَفْسِيرُ سُورَةِ النِّسَاءِ، حديث رقم: ٣١٨١، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

جَمْعَ الْمَالِ وَحِفْظَهُ مَذْمُومٌ عَلَى الْإِطْلَاقِ؛ وَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا عَمْرُو، نِعِمَّا بِالْمَالِ الصَّالِحِ لِلرَّجُلِ الصَّالِحِ».[1]

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ.....﴾.

التَّدَايُنُ: تَفَاعُلٌ مِنَ الدَّيْنِ، وَمَعْنَاهُ: إِذَا دَايَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، أَوْ تَبَايَعْتُمْ بَدَيْنٍ.

والعلة في ذكر لفظ: (بِدَيْنٍ)، بعد قوله: (تَدَايَنْتُمْ)، أنَّ التَّدَايُنَ يطلق ويراد به مَعْنَيَانِ الأولُ: التَّدَايُنُ بِالْمَالِ، وَالثاني: التَّدَايُنُ بِمَعْنَى الجَزَاءُ فِي الخَيْرِ وَالشَّرِّ؛ كَمَا فِي قَوْلِهِمْ: (كَمَا تَدِينُ تُدَانُ)، فلو اقتصر الكلام على قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ﴾. لاحتمل مَعْنَى الْمُجَازَاةِ.

وأيضا ذكر لفظ: (بِدَيْنٍ)، لبيان المراد من الْمُدَايَنَةِ؛ فإنَّ البيوعَ أَرْبَعَةُ أنواعٍ، الأول: بَيْعُ الْعَيْنِ بِالْعَيْنِ، وَذَلِكَ لَيْسَ مُدَايَنَةً.

وَالثَّانِي: بَيْعُ الدَّيْنِ بِالدَّيْنِ وَهُوَ بَاطِلٌ، فَلَا يَكُونُ دَاخِلًا تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ.

والثالث: بَيْعُ الْعَيْنِ بِالدَّيْنِ، وَهُوَ مَا إِذَا بَيْعُ شَيْئٍ بِثَمَنٍ مُؤَجَّلٍ.

والرابع: بَيْعُ الدَّيْنِ بِالْعَيْنِ وَهُوَ السَّلَمُ، والثالث والرابع دَاخِلَانِ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ؛ لأن ذلك من الْمُدَايَنَةِ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾.

اختلف العلماء في حكم كتابة الدين فمنهم من أوجبه بِهَذِهِ الْآيَةِ، سواءً كَانَ بَيْعًا أَوْ قَرْضًا، لِئَلَّا يَقَعَ فِيهِ نِسْيَانٌ أَوْ جُحُودٌ، قَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: (فَمَنِ ادَّانَ دَيْنًا فَلْيَكْتُبْ، وَمَنْ بَاعَ فَلْيُشْهِدْ).

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ١٧٧٦٣، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٣١٨٩، والحاكم- كِتَابُ الْبُيُوعِ، حديث رقم: ٢١٣٠، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقال بعضهم: كَانَ هَذَا وَاجِبًا ثم نسخ بقوله: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾.[1]

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهُ قَرَأَ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى.....﴾. قَالَ: فَقَرَأَ إِلَى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾، قَالَ: «هَذِهِ نَسَخَتْ مَا قَبْلَهَا».[2]

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ: كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾، نَسَخَتْ مَا قَبْلَهَا مِنَ الْكِتَابَةِ وَالشُّهُودِ رُخْصَةً وَرَحْمَةً مِنَ اللَّهِ.[3]

وقال جمهور العلماء: الأمر في الآية للاستحباب وليس للإيجاب، ولا بد من دليل على النسخ، ولا دليل عليه، وهو الراجح، أنه أَمْرُ إِرْشَادٍ لَا أَمْرَ حتمٍ وَإِيجَابٍ.

وقوله: ﴿فَاكْتُبُوهُ﴾.

يَعْنِي الدَّيْنَ وَالْأَجَلَ، وَأَمَرَ بِالْكِتَابَةِ وَالْمُرَادُ الْكِتَابَةُ وَالْإِشْهَادُ؛ لِأَنَّ الْكِتَابَةَ بِغَيْرِ شُهُودٍ لَا تَكُونُ حُجَّةً.

وقوله: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ﴾.

يعني: لْيَكْتُبْ بِالْقِسْطِ وَالْحَقِّ، وَلَا يَكْتُبْ إِلَّا مَا اتَّفَقُوا عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نُقْصَانٍ، وَلَا يظلم أحدَ الطرفين فِي كِتَابَتِهِ، وَيَكْتُبْ ما يَصْلُحُ أَنْ يَكُونَ حُجَّةً لصاحب الدين عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾.

قَالَ مُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ: وَاجِبٌ عَلَى الْكَاتِبِ أَنْ يَكْتُبَ.

---

١ – سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٨٢

٢ – رواه الطبري في تفسيره (٥/ ٧٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٥٧٠)

٣ – رواه الطبري في تفسيره (٥/ ٧٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والصَّحِيحُ أَنَّ الْكِتَابَةَ هنا فَرْضٌ عَلَى الْكِفَايَةِ، قَالَ الشَّعْبِيُّ: إِذَا لَمْ يُوجَدْ كَاتِبٌ سِوَاهُ فَوَاجِبٌ عَلَيْهِ أَنْ يَكْتُبَ.

فَلَا يحلُ لمنْ يَعْرِفُ الْكِتَابَةَ أن يَمْتَنِعَ إِذَا سُئِل أَنْ يكتبَ لِلنَّاسِ، لا سيما مَعَ فَرَاغِهِ، وكَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ الْكِتَابَةَ بعد أن لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، فينبغي عليه أن ينفع غَيْرَهُ مِمَّنْ لَا يُحْسِنُ الْكِتَابَةَ؛ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَأَحْسِنْ كَما أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾.[1]

قوله: ﴿كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾. يصح أَنْ يَكُونَ متعلقًا بما قبله، فيكون تَقْدِيرُه: وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ تِلْكَ الْكِتَابَةَ الَّتِي عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا.

ويصِحُّ أَنْ يَكُونَ مُتَعَلِّقًا بِمَا بَعْدَهُ، فيكون تَقْدِيرُه: كَما عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ، فَيَكُونُ الْأَوَّلُ أَمْرًا بِالْكِتَابَةِ مُطْلَقًا، وَيَكُونُ الثاني أَمْرًا بِكِتَابَةٍ مقيدةٍ وهي الْكِتَابَةُ الَّتِي عَلَّمَهُ اللَّهُ إِيَّاهَا، وهذا أولى من أن يقال أعيد الأمر بالكتابة للتأكيد فقط، لما في القول الأول من زيادة معنى لا يوجد في مجرد التأكيد.

قوله: ﴿فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾.

الْإِمْلَالُ وَالْإِمْلَاءُ لُغَتَانِ نَزَلَ بهما الْقُرْآنُ؛ الأولى: الْإِمْلَالُ، ودليلها: ﴿وَلْيُمْلِلِ﴾[2]، واللُّغَةُ الثَّانِيَةُ: الْإِمْلَاءُ؛ ومنه قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَهِيَ تُمْلى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾.

وهو عبارة عَنْ إِلْقَاءِ كَلَامٍ لِيُكْتَبَ أَوْ يُرْوَى أَوْ يُحْفَظَ.

وإِنَّمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُمْلِلَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ؛ لِيَكُونَ إِقْرَارًا مِنهُ بِثُبُوتِ الدَّيْنِ فِي ذِمَّتِهِ.

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا﴾.

أَمَرَهُ اللَّهُ بِالتَّقْوَى فِيمَا يُمْلِيهِ عَلَى الْكَاتِبِ، وجمعَ بَيْنَ الِاسْمِ وَالْوَصْفِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾. للمبالغة.

---

١ - سُورَةُ الْقَصَصِ: الْآيَةُ/ ٧٦

٢ - سورة الْفُرْقَانِ: الآية/ ٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَنَهَى اللهُ تَعَالَى الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ عَنِ الْبَخْسِ وَهُوَ: النَّقْصُ لِأَنَّهُ الَّذِي يُتَوَقَّعُ مِنْهُ النَّقْصُ، بل يجب عَلَيْهِ أَنْ يُقِرَّ بِمَا عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ.

﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ﴾.

يَعْنِي إِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا، وهو مَنْ لَا يُحْسِنُ التَّصَرُّفَ فِي الْمَالِ لِضَعْفِ عَقْلِهِ مِنَ الْبَالِغِينَ، وَالضَّعِيفُ، وهو الصَّبِيُّ وَالشَّيْخُ الْهَرِمُ، وَمَنْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ، هُوَ الْجَاهِلُ وَالْأَلْكَنُ وَالْأَخْرَسُ.

وذُكِرَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ مُظْهَرًا فِي مَوْضِعِ الْإِضْمَارِ لِزِيَادَةِ الْبَيَانِ.

﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾.

وَلِيُّ الْإِنْسَانِ مَنْ يَتَوَلَّى أُمُورَهُ وَيَقُومُ بِهَا عَنْهُ، والمراد به وَلِيُّ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ، والمراد بِالْعَدْلِ: بِالْحَقِّ، أي: فَلْيُمْلِلْ الوَلِيُّ بِالْحَقِّ، فلا يجور لقرابته منه.

﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأخْرَى﴾.

الِاسْتِشْهَادُ طَلَبُ الشَّهَادَةِ، أَيْ: اطْلُبُوا لِلْإِشْهَادِ شَهِيدَيْنِ، يَعْنِي من المكلفين الذكور فلا تقبل شَهَادَةَ الصِّبْيَانِ، ولا الْإِنَاثِ، وأن يكونا مُسْلِمَينِ؛ لقوله: ﴿مِنْ رِجَالِكُمْ﴾؛ فإِنَّ الرَّجُلَ فِي أَصْلِ اللُّغَةِ يُفِيدُ وَصْفَ الذُّكُورَةِ، فَخَرَجَتِ الْإِنَاثُ، وَيُفِيدُ الْبُلُوغَ فَخَرَجَ الصِّبْيَانُ، وَالضَّمِيرُ الْمُضَافُ إِلَيْهِ يُفِيدُ وَصْفَ الْإِسْلَامِ.

والآيةُ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ لَا يُسْتَشْهَدُ الْكَافِرُ، والحكمة في عدم اعتبار شهادة الكفار اسْتِخْفَافُهم بِحُقُوقِ الْمُخَالِفِ لهم فِي الدِّينِ؛ كما قال الله تعالى عن اليهود: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾. [البَقَرَة: ٧٥]. وَالنَّصَارَى متابعونَ لِأَحْكَامِ التَّوْرَاةِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وأن يكون الشَّاهِدَانِ من الأَحْرَارِ دُونَ العَبِيدِ؛ لأن الشَاهِدَ يَجِبُ عَلَيْهِ الذَّهَابُ إِلَى مَوْضِعِ أَدَاءِ الشَّهَادةِ، إذا دعي إليها، وَيَحْرُمُ عَلَيْهِ عَدَمُ الذَّهَابِ، والْعَبْدُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الذَّهَابُ بإجماع العلماء؛ لذلك قَالَ مُجَاهِدٌ: الْمُرَادُ الْأَحْرَارُ.

وَأَمْرَ اللهُ تَعَالَى بِالْإِشْهَادِ مَعَ الْكِتَابَةِ زِيَادَةً فِي التَّوْثِيقِ؛ لأن المعاملات التي يَدْخُلُ فِيهِ الْأَجَلُ، يَتَخَلَّلُ إليها النِّسْيَانُ، وَربما حدث فِيهَا جحود ونكران، فكانت الْكِتَابَةُ للأمن من النِّسْيَانِ، وَالْإِشْهَادُ للأمن من الجحود والنكران.

والظَاهِرُ أَنَّ الْأَمْرُ لِلنَّدْبِ لَا لِلْوُجُوبِ، وهو قولُ جُمْهُورِ الْفُقَهَاءِ.

قوله: ﴿فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾.

فَإِنْ لَمْ يُوجَدْ رَجُلَانِ، أو أراد صَاحِبُ الْحَقِّ أَنْ لَا يَشْهَدَ رَجُلَيْنِ، فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ، وفي الكلام حذفٌ تقديره: يَشْهَدُونَ.

واختلف العلماء هل تَجُوزُ شَهَادَةُ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فِي غَيْرِ الْأَمْوَالِ؟ على أقوال أرجحها لَا تَجُوزُ شَهَادَةُ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فِي غَيْرِ الْأَمْوَالِ، وَوهو مذهبُ الشَّافِعِيِّ، وإحدى الروايتين عن أحمد، والرواية الثانية: تَجُوزُ فِي الْوِكَالَةِ إذا كانت على دين.

وَقَالَ مَالِكٌ تَجُوزُ فِي الْوِكَالَةِ وَالْوَصِيَّةِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهَا عِتْقٌ، دون غيرهما.

وَقَالَ الأحنافُ: لَا تُقْبَلُ شَهَادَةُ النِّسَاءِ مَعَ الرِّجَالِ فِي الْحُدُودِ وَالْقِصَاصِ، وَتُقْبَلُ فِيمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْ سَائِرِ الْحُقُوقِ.

وأما قَبُولُ شَهَادَتِهِنَّ مُفْرَدَاتٍ فِيما لا يطلع عليه غيرهن كالْوِلَادَةِ، وَالْبَكَارَةِ، فَلَا خِلَافَ فِيه.

﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى﴾.

الضَّلَالُ هُنَا معناه النِّسْيَانُ، أي: إِنْ ضَلَّتْ هَذِهِ ذَكَّرَتْهَا هَذِهِ، وَإِنْ ضَلَّتْ هَذِهِ ذَكَّرَتْهَا هَذِهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالْعِلَّةُ فِي الْحَقِيقَةِ هِيَ التَّذْكِيرُ، وَلَكِنَّ الضَّلَالَ لَمَّا كَانَ سَبَبًا لَهُ نَزَلَ مَنْزِلَتَهُ، وَجَعَلَ اللَّهُ تعالى الْمَرْأَتَيْنِ مَقَامَ الرَّجُلِ الْوَاحِدِ؛ لأن الْمَرْأَةَ مُعَرَّضَةٌ للنِّسْيَانِ أكثر مِنَ الرَّجُلِ؛ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا مَعْشَرَ النِّسَاءِ تَصَدَّقْنَ فَإِنِّي أُرِيتُكُنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ النَّارِ» فَقُلْنَ: وَبِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «تُكْثِرْنَ اللَّعْنَ، وَتَكْفُرْنَ العَشِيرَ، مَا رَأَيْتُ مِنْ نَاقِصَاتِ عَقْلٍ وَدِينٍ أَذْهَبَ لِلُبِّ الرَّجُلِ الحَازِمِ مِنْ إِحْدَاكُنَّ»، قُلْنَ: وَمَا نُقْصَانُ دِينِنَا وَعَقْلِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «أَلَيْسَ شَهَادَةُ المَرْأَةِ مِثْلَ نِصْفِ شَهَادَةِ الرَّجُلِ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ عَقْلِهَا، أَلَيْسَ إِذَا حَاضَتْ لَمْ تُصَلِّ وَلَمْ تَصُمْ» قُلْنَ: بَلَى، قَالَ: «فَذَلِكِ مِنْ نُقْصَانِ دِينِهَا».[1]

﴿وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلا تَرْتَابُوا﴾.

لما أمر الله تعالى بالاستشهاد على المداينات، نهى تعالى الشُّهَدَاءَ عن الامتناعِ إِذَا دُعُوا للشهادةِ، واختلفَ العلماءُ في الذي يجب على الشُّهَدَاءِ ويحرم عليهم الامتناع عنه، هل هو التَّحَمُّلُ والْأَدَاءُ؟ أم الْأَدَاءُ دون التَّحَمُّلِ؟

فَقَالَ الْحَسَنُ: «جَمَعَتْ أَمْرَيْنِ لَا تَأْبَ إِذَا كَانَتْ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ أَنْ تَشْهَدَ، وَلَا تَأْبَ إِذَا دُعِيتَ إِلَى شَهَادَةٍ».[2]

وَقَالَ مُجَاهِدٌ وغيرهُ: إِذَا دُعِيتَ لِتَشْهَدَ فَأَنْتِ بِالْخِيَارِ، وَإِذَا شَهِدْتَ فَدُعِيتَ فَأَجِبْ.

والراجح أَنَّ التَّحَمُّلَ غَيْرُ وَاجِبٍ، وَإِنَّمَا الوَاجِبُ هو الْأَدَاءُ بَعْدَ التَّحَمُّلِ؛ ودل عليه قَولُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَلا تَكْتُمُوا الشَّهادَةَ﴾.[3]

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الحَيْض، بَابُ تَرْكِ الحَائِضِ الصَّوْمَ، حديث رقم: ٣٠٤، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ نُقْصَانِ الْإِيمَانِ بِنَقْصِ الطَّاعَاتِ، وَبَيَانِ إِطْلَاقِ لَفْظِ الْكُفْرِ عَلَى غَيْرِ الْكُفْرِ بِاللهِ، كَكُفْرِ النِّعْمَةِ وَالْحُقُوقِ، حديث رقم: ٧٩

٢ - جامع البيان- ط: هجر (٥/ ٩٥)

٣ - سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٨٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَلا تَسْأَمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلِهِ﴾.

السَّآمَةُ: الْمَلَلُ، قَالَ زُهَيْرٌ:

سَئِمْتُ تَكَالِيفَ الْحَيَاةِ وَمَنْ يَعِشْ ***** ثَمَانِينَ حَوْلًا لَا أَبَا لَكَ يَسْأَمِ

يَعْنِي مَلِلْتُ.

نهى اللهُ تَعَالَى الْمُتَدَايِنَيْنِ عن الملل عند كتابة الديون عَلَى أَيِّ حَالٍ، سواءً كَانَ الدين صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا، توثيقًا للحقوق وحفاظًا على الأموال.

وَقُدِّمَ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ، للتَّنْصِيصِ عَلَى الْعُمُومِ، ودفعًا لما يَطْرَأُ مِنَ التوهم بِأَنَّ الصَّغِيرَ لا يحتاج إلى الكتابة.

﴿إِلَى أَجَلِهِ﴾. يعني اكْتُبُوا الدَّيْنَ إِلَى الأَجَلِ الَّذِي تَعَاقَدَا عَلَيْهِ.

﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلا تَرْتَابُوا إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلا تَكْتُبُوهَا﴾.

الْعِلَّةُ من تَشْرِيعِ الْأَمْرِ بِالْكِتَابَةِ زِيَادَةُ التَّوَثُّقِ، وهو يتحقق بأمورٍ ثَلَاثةٍ: الأول أَنَّهُ: ﴿أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ﴾. أَيْ: أَشَدُّ قِسْطًا، وأكثرُ عَدْلًا؛ لِأَنَّهُ أَحْفَظُ لِلْحُقُوقِ، والثاني: ﴿وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾. أَيْ: أكثرُ اسْتِقَامَةِ لِلشَّهَادَةِ، والثالث: ﴿وَأَدْنَى أَلا تَرْتَابُوا﴾. أَيْ: أَقْرَبُ إِلَى نَفْيِ الرِّيبَةِ وَالشَّكِّ.

قال ابن جرير: وَإِنَّمَا كَانَ الْكِتَابُ أَعْدَلَ عِنْدَ اللَّهِ، وَأَصْوَبَ لِشَهَادَةِ الشُّهُودِ عَلَى مَا فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يَحْوِي الْأَلْفَاظَ الَّتِي أَقَرَّ بِهَا الْبَائِعُ وَالْمُشْتَرِي وَرَبُّ الدَّيْنِ وَالْمُسْتَدِينُ عَلَى نَفْسِهِ، فَلَا يَقَعُ بَيْنَ الشُّهُودِ اخْتِلَافٌ.[1]

﴿ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَى أَلَّا تَرْتَابُوا إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

---

١ - تفسير الطبري (٥/ ١٠٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لما أمر الله تعالى بكتابة المداينات، وبَيَّنَ العلةَ من كتابتها، رَخَّصَ في تركِ الكتابةِ في التِّجَارَةِ الْحَاضِرَةِ، التي ليس فِيهَا تَأْخِيرٌ، فقال: ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهَا﴾؛ لأنه لا يترتب على ترك الكتابة فيها محظور كالنسيان؛ لأن البيع وقع يدًا بيدٍ.

﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.

أمر اللهُ تَعَالَى بالإشهادِ على البيعِ استحبابًا كما قال الجمهور؛ لأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ ولم يشهد عليه؛ فَعَنْ عُمَارَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ، أَنَّ عَمَّهُ، حَدَّثَهُ وَهُوَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْتَاعَ فَرَسًا مِنْ أَعْرَابِيٍّ، فَاسْتَتْبَعَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِيَقْضِيَهُ ثَمَنَ فَرَسِهِ، فَأَسْرَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَشْيَ وَأَبْطَأَ الْأَعْرَابِيُّ، فَطَفِقَ رِجَالٌ يَعْتَرِضُونَ الْأَعْرَابِيَّ، فَيُسَاوِمُونَهُ بِالْفَرَسِ وَلَا يَشْعُرُونَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ابْتَاعَهُ، فَنَادَى الْأَعْرَابِيُّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ مُبْتَاعًا هَذَا الْفَرَسَ وَإِلَّا بِعْتُهُ؟ فَقَامَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ سَمِعَ نِدَاءَ الْأَعْرَابِيِّ، فَقَالَ: «أَوْ لَيْسَ قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ؟» فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: لَا، وَاللَّهِ مَا بِعْتُكَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «بَلَى، قَدِ ابْتَعْتُهُ مِنْكَ» فَطَفِقَ الْأَعْرَابِيُّ، يَقُولُ هَلُمَّ شَهِيدًا، فَقَالَ خُزَيْمَةُ بْنُ ثَابِتٍ: أَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَايَعْتَهُ، فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى خُزَيْمَةَ فَقَالَ: «بِمَ تَشْهَدُ؟»، فَقَالَ: بِتَصْدِيقِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ.[1]

وَقَالَ الشَّعْبِيُّ وَالْحَسَنُ: الأَمْرُ بالإشهادِ على البيعِ مَنْسُوخٌ بِقَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾.[2]

---

١ – رواه أحمد– حديث رقم: ٢١٨٨٣، وأبو داود– كِتَاب الْأَقْضِيَةِ، بَابٌ إِذَا عَلِمَ الْحَاكِمُ صِدْقَ الشَّاهِدِ الْوَاحِدِ يَجُوزُ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ بِهِ، حديث رقم: ٣٦٠٧، والنسائي– كِتَابُ الْبُيُوعِ، التَّسْهِيلُ فِي تَرْكِ الْإِشْهَادِ عَلَى الْبَيْعِ، حديث رقم: ٤٦٤٧، بسند صحيح

٢ – سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٨٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ولا بد من دليل على النسخ ولا دليل، والجمع بين الآيتين أولى من القول بالنسخ.

﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

اختلف العلماء في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾. على أقوال ثلاثة: قَالَ طَاوُسُ وقَتَادَةُ: «لَا يُضَارَّ كَاتِبٌ فَيَكْتُبُ مَا لَمْ يُمْلَ عَلَيْهِ، وَلَا شَهِيدٌ فَيَشْهَدُ بِمَا لَمْ يُسْتَشْهَدْ».

وذلك لأنَّ أَصْلَ كَلِمَةِ ﴿يُضَارَّ﴾. (يُضَارِرْ) بِكَسْرِ الرَّاءِ، مبنيًّا لِلْمَعْلُومِ، فأُدْغِمَتِ الرَّاءُ فِي الرَّاءِ؛ وَفُتِحَتِ الرَّاءُ فِي الْجَزْمِ لِخِفَّةِ الْفَتْحَةِ، فيكون المعني وَلَا يُضَارِرْ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ؛ فَيَكْتُبُ الكَاتِبُ مَا لَمْ يُمْلَ عَلَيْهِ، وَيَشْهَدُ الشَهِيدُ بِمَا لَمْ يُسْتَشْهَدْ، فالإضرار هنا وقع من الكاتب والشهيد.

وقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَمُجَاهِدٌ وَعَطَاءٌ: لَا يَمْتَنِعُ الْكَاتِبُ أَنْ يَكْتُبَ وَلَا الشَّاهِدُ أَنْ يَشْهَدَ.

وقيل مَعْنَى ذَلِكَ: وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ بإلزامهما بالحضور حال شغلهما فيتضرران بذلك، وعلى هذا القول يكون أَصْلُ كَلِمَةِ ﴿يُضَارَّ﴾. (يُضَارَرْ) بِفَتْحِ الرَّاءِ مبنيًّا لِلْمَجْهُولِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: يَأْتِي الرَّجُلُ فَيَدْعُوهُمَا إِلَى الْكِتَابِ وَالشَّهَادَةِ، فَيَقُولَانِ: إِنَّا عَلَى حَاجَةٍ فَيَقُولُ: إِنَّكُمَا قَدْ أُمِرْتُمَا أَنْ تُجِيبَا. فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُضَارَّهُمَا.

والراجح أن اللفظ يحتمل ذلك كله.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ تَفْعَلُوا فَإِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ﴾.

الفسوق هو الخروج عن الطاعة، يقال: فسَقَتِ الرُّطَبَةُ إذا خرجت عَنْ قِشْرَتِهَا، والمعنى من وقع منه الإضرار بغيره فقد خرج عن طاعة الله تعالى؛ لأن الله تعالى نهى عن الإضرار.

﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

هذا وَعْدٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يُعَلِّمْهُ اللَّهُ، فيَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ نُورًا يَفْهَمُ بِهِ مرادَ اللهِ، وَيُوَفِّقُهُ للتمييزِ بينَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا﴾.[1]

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ﴾.[2]

ولا يعني ذلك تركُ الِاشْتِغَالِ بطلبِ الْعِلْمِ، كما يزعم بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ الَّذِينَ تركوا الِاشْتِغَالَ بِعُلُومِ الشَّرِيعَةِ، ظنًا منهم أنهم حصَّلوا التَّقْوَى، فاسْتَغْنَوا عَنِ الْعِلْمِ، وَمِنْ أَيْنَ تُعْرَفُ التَّقْوَى إِلَّا بِالْعِلْمِ؟

﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾.

اللَّهُ عَلِيمٌ بما يصلحُ عبادَه فيشَرِّعُ لهم ما تستقيمُ به معايشهم، ويمنع عنهم أسباب التنازع والخلاف.

وَإِظْهَارُ لفظُ الْجَلَالَةِ وَتَكْرِيرُه في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. للتَّهْوِيلِ وقَذْفِ المهابةِ في القلوبِ؛ كما في قَوْلِهِ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ﴾.[3]

---

١ – سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَةُ/ ٢٩

٢ – سُورَةُ الْحَدِيدِ: الْآيَةُ/ ٢٨

٣ – سورة الإخلاص: الآية/ ١، ٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٨٣

قَسَّمَ اللَّهُ تَعَالَى الْمُدَايَنَاتِ أقسامًا ثَلَاثَةً:

الأولُ: دَيْنٌ بِكِتَابَةٍ وَشُهُودٍ، وَالثاني: دَيْنٌ بِرِهَانٍ مَقْبُوضَةٍ، وَالثالثُ: دَيْنٌ بالْأَمَانَةِ، وَبَيَّنَ تَعَالَى القسم الأول في الآية السابقة؛ فأمرَ بالْكَتَابَةِ والْإِشْهَادِ في المداينات لِحِفْظِ الْأَمْوَالِ، ثم عَقَّبَ ذَلِكَ بِذِكْرِ الحَالِ التي يتعذر فيها الكتابةُ وهي حالُ السفرِ، فقال: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا﴾. أَيْ: إِنْ كُنْتُمْ مُسَافِرِينَ وَتَدَايَنْتُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى، وتَعَذَّرَت الْكِتَابَةُ لأي سَبَبٍ، كأَنْ لَا يُوجَدَ كَاتِبٌ، أَوْ وُجِدَ ولَكِنْ لَا تُوجَدُ آلَاتُ الْكِتَابَةِ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ كُلُّ عُذْرٍ، فأمرَ بأَخْذِ الرَّهْنِ فقال: ﴿فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾. وَهَذَا أَبْلَغُ فِي الاحتياطِ مِنَ الْكَتَابَةِ وَالْإِشْهَادِ.

الرِّهَانُ: جَمْعُ رَهْنٍ، وَأَصْلُ الرَّهْنِ مِنَ الدَّوَامِ، يُقَالُ: رَهُنَ الشَّيْءُ إِذَا دَامَ وَثَبَتَ، وَنِعْمَةٌ رَاهِنَةٌ أَيْ دَائِمَةٌ ثَابِتَةٌ.

وَالرَّهْنُ فِي الشَّرْعِ: هُوَ الْمَالُ الَّذِي يُجْعَلُ وَثِيقَةً بِالدَّيْنِ لِيُسْتَوْفَى مِنْ ثَمَنِهِ إِنْ تَعَذَّرَ اسْتِيفَاؤُهُ مِمَّنْ هُوَ عَلَيْهِ.

اسْتَدَلَّ مُجَاهِدٌ وَغَيْرُهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ عَلَى عدمِ جوازِ الرَّهْنِ إِلَّا فِي السَّفَرِ، قَالَ ابْنُ الْمُنْذِرِ: لَا نَعْلَمُ أَحَدًا خَالَفَ فِي ذَلِكَ، إِلَّا مُجَاهِدًا، قَالَ: لَيْسَ الرَّهْنُ إِلَّا فِي السَّفَرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى شَرَطَ السَّفَرَ فِي الرَّهْنِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقَالَ الجُمْهُورُ: الرَّهْنُ ثَابِتٌ فِي السَّفَرِ بِهَذِهِ الْآيَةِ، وَفِي الْحَضَرِ بما ثبتَ في الصحيح عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ، بِثَلَاثِينَ صَاعًا مِنْ شَعِيرٍ».[1]

وذِكْرُ السَّفَرِ خَرَجَ مَخْرَجَ الْغَالِبِ؛ لِكَوْنِ الْكَاتِبِ يُعْدَمُ فِي السَّفَرِ غَالِبًا، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾. [النِّسَاءِ: ١٠١]، وَلَيْسَ الْخَوْفُ شَرْطًا لجَوَازِ الْقَصْرِ.

واختلفَ العلماءُ هل يَلْزَمُ الرَّهْنُ إِلَّا بِالْقَبْضِ، أَوْ يَلْزَمُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْدِ؟

قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ وَالشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ فِي إِحْدَى الرِوَايَتَينِ: لَا يَلْزَمُ الرَّهْنُ إِلَّا بِالْقَبْضِ؛ لقوله تعالى: ﴿فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ﴾. وَقَالَ مَالِكٌ وَأَحْمَدُ فِي الرِوَايَةُ الْأُخْرَى: يَلْزَمُ بِمُجَرَّدِ الْعَقْدِ قَبْلَ الْقَبْضِ؛ لِأَنَّهُ عَقْدٌ يَلْزَمُ بِالْقَبْضِ، فَلَزِمَ قَبْلَهُ كَالْبَيْعِ.

﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾.

هَذَا هُوَ الْقِسْمُ الثَّالِثُ مِنَ الْمُدَايَنَاتِ، وَهُوَ دَيْنٌ الْأَمَانَةِ، وهو مَا ليس فِيهِ كِتَابَةٌ وَلَا شُهُودٌ وَلَا رَهْنٌ، وهو دليلٌ على أنَّ الأَمْرَ بالرَّهْنِ إِرْشَادٌ لَنَا وليس إِيجَابًا؛ لِأَنَّهُ أَمَرَ بِهِ عِنْدَ إِعْوَازِ الْكِتَابَةِ، وَالْكِتَابَةُ غَيْرُ وَاجِبَةٍ، فَكَذَلِكَ بَدَلُهَا.

قَالَ الشَّعْبِيُّ: إِذَا ائْتَمَنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلَا بَأْسَ أَلَّا تَكْتُبُوا أَوْ لَا تُشهدوا.

وَسُمِّيَ الدَّيْنُ الذي فِي الذِّمَّةِ أَمَانَةً؛ لِأَنَّ اسْمَ الْأَمَانَاتِ لَهُ مَهَابَةٌ فِي النُّفُوسِ، وعَدَمُ أَدَائِهِ يكونُ خِيَانَةً؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ».[2]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ السَّلَمِ، بَابُ الرَّهْنِ فِي السَّلَمِ، حديث رقم: ٢٢٥٢، ومسلم– كِتَابُ الْمُسَاقَاةِ، بَابُ الرَّهْنِ وَجَوَازِهِ فِي الْحَضَرِ كَالسَّفَرِ، حديث رقم: ١٦٠٣

٢ – رواه أبو داود– كِتَاب الْبُيُوعِ، أَبْوَابُ الْإِجَارَةِ، بَابٌ فِي الرَّجُلِ يَأْخُذُ حَقَّهُ مَنْ تَحْتَ يَدِهِ، حديث رقم: ٣٥٣٥، والترمذي– أَبْوَابُ الْبُيُوعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ١٢٦٤، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ سَمُرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «عَلَى الْيَدِ مَا أَخَذَتْ حَتَّى تُؤَدِّيَ».[1]

﴿وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ﴾.

ولما كان الْمُؤْتَمَنُ ليس عَلَيْهِ حُجَّةٌ وَلَا شَاهِدٌ، حَذَّرَهُ اللهُ تَعَالَى مِنْ خِيَانَةِ الْأَمَانَةِ، وأَمَرَهُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ رَبَّهُ ويُؤَدِّيَ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَهُ، فَلَا يَتَحَوَّنُ مِنْها شَيْئًا لأَنَّهُ لَا حُجَّةَ عَلَيْهِ بِهَا وَلَا شَهِيدَ؛ فَإِنَّ اللهَ رَبَّهُ خَيْرُ الشَّاهِدِينَ فَهُوَ أَوْلَى بِأَنْ يُتَّقَى وَيُطَاعَ.

وتقدم أنَّ الجمعَ بَيْنَ الِاسْمِ وَالْوَصْفِ للمبالغة.

وقدم لفظ الجلالة: (الله) على لفظ: (الرب)؛ لأن لفظ الله علم على الذات الشريفة، ولفظ الرب للدلالة على النعم لأنه مصدرها، ومراقبة ذاته تعالى أبلغ وأشرف من اعتبار نعمه.

﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾.

ثم نهى الله تعالى عن إِخْفَاءِ الشَّهَادَةِ بِكتمانها والِامْتِنَاعِ مِنْ أَدَائِهَا حتى لا تضيع الحقوق؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عَلَى الشَّاهِدِ أَنْ يَشْهَدَ حَيْثُ مَا اسْتُشْهِدَ، وَيُخْبِرَ حَيْثُ مَا اسْتُخْبِرَ.

ولما كان الْكَتْمَانُ مِنْ مَعَاصِي الْقَلْبِ، عَلَّقَ الْإِثْمَ بِهِ؛ لِأَنَّ الشَّهَادَةَ عِلْمٌ قَامَ بِالْقَلْبِ، وَإِسْنَادُ الْفِعْلِ إِلَى الْجَارِحَةِ الَّتِي يَعْمَلُ بِهَا أَبْلَغُ وَآكَدُ، كما تَقُولُ: أَبْصَرَتْهُ عَيْنِي. وَسَمِعَتْهُ أُذُنِي. وَوَعَاهُ قَلْبِي. فَأُسْنِدَ الْإِثْمُ إِلَى الْقَلْبِ إِذْ هُوَ مُتَعَلِّقُ الْإِثْمِ، وَمَكَانُ اقْتِرَافِهِ، وَعَنْهُ يُتَرْجِمُ اللِّسَانُ.

﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾.

تهديدٌ ووعيدٌ على كِتْمَانِ الشَّهَادَةِ وَعدم أَدَائِهَا عَلَى وَجْهِهَا.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٠٠٨٦، وأبو داود- كِتَاب الْبُيُوعِ، أَبْوَابُ الْإِجَارَةِ، بَابٌ فِي تَضْمِينِ الْعَوَرِ، حديث رقم: ٣٥٦١، والترمذي- أَبْوَابُ الْبُيُوعِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي أَنَّ العَارِيَةَ مُؤَدَّاةٌ، حديث رقم: ١٢٦٦، وابن ماجه- كِتَابُ الصَّدَقَاتِ، بَابُ الْعَارِيَةِ، حديث رقم: ٢٤٠٠، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ ابن خويز منداد: آيَةُ الدَّيْنِ تَضَمَّنَتْ ثَلَاثِينَ حُكْمًا.[1]

الأساليب البلاغية:

قال أبو حيان: وَقَدْ تَضَمَّنَتْ هَذِهِ الْآيَةُ مِنْ ضُرُوبِ الْفَصَاحَةِ.

التَّجْنِيسَ الْمُغَايِرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَلْيَكْتُبْ بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ الَّذِي اؤْتُمِنَ أَمَانَتَهُ﴾.

والتجنيس المماثل فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾.

وَالتَّأْكِيدَ فِي قوله: ﴿تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ﴾، وَفِي قَوْلِهِ: ﴿وليكتب بينكم كاتب﴾، إِذْ يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِ: تَدَايَنْتُمْ﴾، قَوْلُهُ: بِدَيْنٍ، وَمِنْ قَوْلِهِ: فَلْيَكْتُبْ﴾، قَوْلُهُ: كَاتِبٌ.

وَالطِّبَاقَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ﴾، لِأَنَّ الضَّلَالَ هُنَا بِمَعْنَى النِّسْيَانِ.

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا﴾.

وَالتَّشْبِيهُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ﴾.

وَالِاخْتِصَاصُ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ﴾، وَفِي قوله: ﴿أقسط عند الله وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ﴾. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ﴾.

وَالتَّكْرَارَ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاكْتُبُوهُ وليكتب﴾، و﴿أن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ﴾، ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾، وفي قوله: ﴿فليملل الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾، ﴿فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ﴾. كَرَّرَ الْحَقَّ لِلدُّعَاءِ إِلَى اتِّبَاعِهِ، وَأَتَى بِلَفْظَةِ عَلَى لِلْإِعْلَامِ أَنَّ لِصَاحِبِ الْحَقِّ مَقَالًا وَاسْتِعْلَاءً،

وَفِي قَوْلِهِ: ﴿أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى﴾. وَفِي قَوْلِهِ: وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ﴾.

---

١ - تفسير القرطبي (٣/ ٣٧٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالْحَذْفَ فِي قَوْلُهُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾، حَذَفَ مُتَعَلِّقَ الْإِيمَانِ. وَفِي قَوْلِهِ: ﴿مُسَمًّى﴾ أَيْ بَيْنِكُمْ فَلْيَكْتُبِ الْكَاتِبُ، أَنْ يَكْتُبَ الْكِتَابَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ الْكِتَابَةَ وَالْخَطَّ، فَلْيَكْتُبْ كِتَابَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الدَّيْنِ، وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ فِي إِمْلَائِهِ سَفِيهًا فِي الرَّأْيِ أَوْ ضَعِيفًا فِي الْبَيِّنَةِ، أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَمَلَّ هُوَ لخَرَسٍ أَوْ بُكْمٍ فَلْيَمْلَلِ الدَّينَ وَلِيُّهُ عَلَى الْكَاتِبِ، وَاسْتَشْهِدُوا إِذَا تَعَامَلْتُمْ مِنْ رِجَالِكُمُ الْمُعَيَّنِينَ لِلشَّهَادَةِ الْمَرَضِيِّينَ، فَرَجُلٌ مَرْضِيٌّ وَامْرَأَتَانِ مَرْضِيَّتَانِ مِنَ الشُّهَدَاءِ الْمَرْضِيِّينَ فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى الشَّهَادَةَ، وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ مِنْ تَحَمُّلِ الشَّهَادَةِ أَوْ مِنْ أَدَائِهَا عِنْدَ الْحَاكِمِ إِذَا مَا دُعُوا أَيْ دُعَائِهِمْ صَاحِبَ الْحَقِّ لِلتَّحَمُّلِ، أَوْ لِلْأَدَاءِ إِلَى أَجَلِهِ الْمَضْرُوبِ بَيْنَكُمْ، ذَلِكُمُ الْكِتَابُ أَقْسَطُ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ الْمَرَضِيَّةِ أَنْ لَا تَرْتَابُوا فِي الشَّهَادَةِ تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ، وَلَا تَحْتَاجُونَ إِلَى الْكُتُبِ وَالْإِشْهَادِ فِيهَا، وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ شَاهِدَيْنِ، أَوْ رَجُلًا وَامْرَأَتَيْنِ، وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ أَيْ صَاحِبِ الْحَقِّ، أَوْ: لَا يُضَارُّ صَاحِبُ الْحَقِّ كَاتِبًا وَلَا شَهِيدًا، ثُمَّ حُذِفَ وَبُنِيَ لِلْمَفْعُولِ، وَأَنْ تَفْعَلُوا الضَّرَرَ، وَاتَّقَوْا عَذَابَ اللَّهِ، وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ الصَّوَابَ، وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَبِيلِ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا يُتَوَثَّقُ بِكِتَابَتِهِ، فَالْوَثِيقَةُ رَهْنٌ أَمِنَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، فَأَعْطَاهُ مَالًا بِلَا إِشْهَادٍ وَلَا رَهْنٍ أَمَانَتَهُ مِنْ غَيْرِ حَيْفٍ وَلَا مَطَلٍ، وَلْيَتَّقِ عَذَابَ اللَّهِ، وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ عَنْ طَالِبِهَا.

وَتَلْوِينَ الْخِطَابِ، وَهُوَ الِانْتِقَالُ مِنَ الْحُضُورِ إِلَى الْغَيْبَةِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُبْ﴾، وَمِنَ الْغَيْبَةِ إِلَى الْحُضُورِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَأْبَ كَاتِبٌ﴾، ﴿وَأَشْهِدُوا﴾. ثُمَّ انْتَقَلَ إِلَى الْغَيْبَةِ بِقَوْلِهِ:

﴿وَلَا يُضَارَّ﴾، ثُمَّ إِلَى الْحُضُورِ بقوله: ﴿ولا تكمتوا الشَّهَادَةَ﴾، ثُمَّ إِلَى الْغَيْبَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا﴾، ثُمَّ إِلَى الْحُضُورِ بِقَوْلِهِ: بِمَا تَعْمَلُونَ﴾.

وَالْعُدُولُ مِنْ فَاعِلٍ إِلَى فَعِيلٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿شَهِيدَيْنِ﴾، ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾.

وَالتَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيرُ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلْيَكْتُبْ، وَلْيُمْلِلِ، أَوِ الْإِمْلَالُ، بِتَقْدِيمِ الْكِتَابَةِ قَبْلُ، وَمِنْ ذَلِكَ: ﴿مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ﴾، التَّقْدِيرُ وَاسْتَشْهِدُوا مِمَّنْ تَرْضَوْنَ، وَمِنْهُ ﴿وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٨٤

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

اشتملت سورة البقرة على كثير من أحكام الشرع من الأصول والفروع، وَلِكَثْرَةِ أَحْكَامِهَا يُقَالُ لَهَا: فُسْطَاطُ الْقُرْآنِ، وتقدمَ قَولُ ابْنِ الْعَرَبِيّ: عنْ بَعْضِ أَشْيَاخِهِ أنه كان يَقُولُ: فِيهَا أَلْفُ أَمْرٍ وَأَلْفُ نَهْيٍ وَأَلْفُ حُكْمٍ وَأَلْفُ خَبَرٍ، فناسب أن يختم الله تعالى هذه السورة العظيمة بتذكير العباد بأنه الخالق لما فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ، يخبر الله تعالى أَنَّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ملك له تعالى لا يشاركه فيه غيره، وهو وحده المتصرفُ في الكون بالإيجاد والخلق، والملك والتدبير، واللَّامُ في قوله: ﴿لِلَّهِ﴾. لَامُ الْمِلْكِ؛ كما قال تعالى: ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾.[1]

والله تبارك وتعالى رب العالمين، ومالك الملك ليس لأحد من الخلق في ملكه مثقال ذرة؛ ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ﴾.[2]

والخالق سبحانه أعلم بما يصلح خلقه؛ ﴿أَلا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾.[3]

والخالق هو الذي يشرع لخلقه مَا يَشَاءُ من الشرائع والْأَحْكَامِ؛ ﴿أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ﴾.[4]

وينبغي للعباد أن يقابلوا أحكام الله تعالى بالتسليم والإذعان، والرضى والقبول؛ لأنَّ حياتهم الكريمة، لا تتحقق إلا في ظلال الشريعة المطهرة، وعزهم لا يكون إلا في تمسكهم بأحكتم دينهم؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾.[5]

---

١ - سُورَةُ الشُّورَى: الآية/ ٤٩

٢ - سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَةُ/ ١٧

٣ - سُورَةُ الْمُلْكِ: الْآيَةُ/ ١٤

٤ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ/ ٥٤

٥ - سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الْآيَةُ/ ٢٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾.

لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ خَلْقًا وَمِلْكًا وَتَصَرُّفًا، لَيْسَ لأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فِي ذَلِكَ شَيْءٌ، والخلق كُلُّهم لَهُ عَبِيدٌ قانِتُونَ، وبأمره يعملون.

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

الله تبارك وتعالى لا يخفى عليه شيء من خلقه، وسيجزي سبحانه كل نفس بما كسبت صغيرًا كان أو كبيرًا، حتى يُحَاسِبَ العبدَ على هواجِسِ النَّفْسِ وَخَوَاطِرِها وَالْوَسَاوِسِ التي تعتريها، وما هم بفعله، فضلًا عما أبداه وأعلنه، وتحدث به وعمله.

ولَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ شَقَّ ذَلِكَ عَلَى الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَهَذَا مِنْ كَمَالِ إِيمَانِهِمْ وَشَدَّةِ خشيتهم مِنَ اللَّهِ، فشكوا إلى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "قُولُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَسَلَّمْنَا "، فَأَلْقَى اللهُ الْإِيمَانَ فِي قُلُوبِهِمْ، وتداركهم برحمته.

اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ، هَلْ هِيَ مُحْكَمَةٌ، أَوْ مَنْسُوخَةٌ؟ عَلَى قَوْلَيْنِ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أَنَّهَا مَنْسُوخَةٌ، وهو الصحيح، وَهُوَ قَوْلُ جُمْهُورِ الْعُلَمَاءِ.

واستدلوا بما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، قَالَ: فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَلَمَّا اقْتَرَأَهَا الْقَوْمُ، ذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾، فَلَمَّا فَعَلُوا ذَلِكَ نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى، فَأَنْزَلَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ قَالَ: نَعَمْ. ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قَالَ: نَعَمْ ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ قَالَ: نَعَمْ».[1]

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾. [البقرة: ٢٨٤]، نَسَخَتْهَا الْآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].[2]

وَعَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسَكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾. قَالَ: نَسَخَهَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾.[3]

فَلَمَّا سَلَّمَ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، لأمر الله تعالى وقَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، وَذَلَّتْ بِهَا أَلْسِنَتُهُمْ، نَسَخَهَا اللهُ تَعَالَى برحمته، ورفع عنهم مَا لَا طَاقَةَ لَهم بِهِ، وعفا عنهم وغفر لهم هواجِسَ النَّفْسِ وَخَوَاطِرَهَا وحديثها، ما لم يعمل العبد أو يتكلم.

وعَنْ مَرْوَانَ الأَصْفَرِ، عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: أَحْسِبُهُ ابْنَ عُمَرَ: ﴿إِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ قَالَ: «نَسَخَتْهَا الآيَةُ الَّتِي بَعْدَهَا».[4]

---

١ – رَوَاهُ مُسْلِمٌ– كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ بَيَانِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤]، حديث رقم: ١٢٥

٢ – رواه البيهقي في شعب الإيمان– رقم: ٣٢٣

٣ – تفسير عبد الرزاق (١/ ٣٧٦)

٤ – رواه البخاري–كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ [البقرة: ٢٨٥]، حديث رقم: ٤٥٤٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ودل على النسخ مَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ».[1]

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِيمَا يَرْوِي عَنْ رَبِّهِ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ: قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً».[2]

الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّهَا مُحْكَمَةٌ، وهو قَولُ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ وَاخْتَارَه أبو جعفر النحاس، وَابْنُ جَرِيرٍ الطبري، وَاحْتَجَّ عَلَى أَنَّهُ لَا يَلْزَمُ مِنَ الْمُحَاسِبَةِ الْمُعَاقِبَةَ، وَأَنَّهُ تَعَالَى قَدْ يُحَاسِبُ وَيَغْفِرُ، وَقَدْ يُحَاسِبُ وَيُعَاقِبُ.

وَقَالَ بَعْضُهُمْ الْآيَةُ غَيْرُ مَنْسُوخَةٍ لِأَنَّ النَّسْخَ لَا يَرِدُ عَلَى الْإِخْبَارِ إِنَّمَا يَرِدُ عَلَى الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ وَقَوْلُهُ ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾ خَبَرٌ لَا يَرِدُ عَلَيْهِ النَّسْخُ.

واخْتَلَفَ القَائِلُونَ بأَنَّهَا مُحْكَمَةٌ عَلَى ثَلاثَةِ أَقْوَالٍ:

الْقَوْلُ الْأَوَّلُ: أن اللَّهَ تَعَالَى أَثْبَتَ لِلْقَلْبِ كَسْبًا فَقَالَ: ﴿بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.[3]

فَلَيْسَ لِلَّهِ عَبْدٌ أَسَرَّ عَمَلًا أَوْ أَعْلَنَهُ مِنْ حَرَكَةٍ مِنْ جَوَارِحِهِ أَوْ هَمْسَةٍ فِي قَلْبِهِ إِلَّا يُخْبِرُهُ اللَّهُ بِهِ وَيُحَاسِبُهُ عَلَيْهِ ثُمَّ يَغْفِرُ مَا يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ بِمَا يَشَاءُ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِ الْحَسَنِ يَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾.[4]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ الطَّلَاقِ فِي الإِغْلَاقِ وَالكُرْهِ، وَالسَّكْرَانِ وَالمَجْنُونِ وَأَمْرِهِمَا، وَالغَلَطِ وَالنِّسْيَانِ فِي الطَّلَاقِ وَالشِّرْكِ وَغَيْرِهِ، حديث رقم: ٥٢٦٩، ومسلم– كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ تَجَاوُزِ اللهِ عَنْ حَدِيثِ النَّفْسِ وَالْخَوَاطِرِ بِالْقَلْبِ، إِذَا لَمْ تَسْتَقِرَّ، حديث رقم: ١٢٧

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ أَوْ بِسَيِّئَةٍ، حديث رقم: ٦٤٩١، ومسلم– كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ إِذَا هَمَّ الْعَبْدُ بِحَسَنَةٍ كُتِبَتْ، وَإِذَا هَمَّ بِسَيِّئَةٍ لَمْ تُكْتَبْ، حديث رقم: ١٣١

٣ – سورة الْبَقَرَة: الآية/ ٢٢٥

٤ – سورة الْإِسْرَاء:الآية/٣٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

الْقَوْلُ الثَّانِي: مَعْنَى الْآيَةِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُحَاسِبُ خَلْقَهُ بِجَمِيعِ مَا أَبْدَوْا مِنْ أَعْمَالِهِمْ أَوْ أَخْفَوْهُ وَيُعَاقِبُهُمْ عَلَيْهِ، غَيْرَ أَنَّ مُعَاقَبَتَهُ عَلَى مَا أَخْفَوْهُ مِمَّا لَمْ يَعْلَمُوهُ بِمَا يَحْدُثُ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النَّوَائِبِ وَالْمَصَائِبِ وَالْأُمُورِ الَّتِي يَحْزَنُونَ عَلَيْهَا وَهَذَا قَوْلُ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنْ هَذِهِ الْآيَةِ فَقَالَ: "يَا عَائِشَةُ هَذِهِ مُعَاتَبَةُ اللَّهِ الْعَبْدَ بِمَا يُصِيبُهُ مِنَ الْحُمَّى وَالنَّكْبَةِ حَتَّى الشَّوْكَةِ وَالْبِضَاعَةِ يَضَعُهَا فِي كُمِّهِ فَيَفْقِدُهَا فَيُرَوَّعُ لَهَا حَتَّى إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَخْرُجُ مِنْ ذُنُوبِهِ كَمَا يَخْرُجُ التِّبْرُ الْأَحْمَرُ مِنَ الْكِيرِ".

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يَعْنِي مَا فِي قُلُوبِكُمْ مِمَّا عَزَمْتُمْ عَلَيْهِ : ﴿أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، وَلَا تُبْدُوهُ وَأَنْتُمْ عَازِمُونَ عَلَيْهِ يُحَاسِبُكُمْ بِهِ اللَّهُ فَأَمَّا مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُكُمْ مِمَّا لَمْ تَعْزِمُوا عَلَيْهِ فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَا يُؤَاخِذُكُمْ بِهِ، دَلِيلُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾.[1]

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: قُلْتُ لِسُفْيَانَ: أَيُؤَاخَذُ الْعَبْدُ بِالْهَمَّةِ؟ قَالَ: إِذَا كَانَ عَزْمًا أُخِذَ بِهَا.[2]

وَقِيلَ: مَعْنَى الْمُحَاسَبَةِ الْإِخْبَارُ وَالتَّعْرِيفُ.[3]

وليس بشيء وإلا لما شق ذلك على أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل المراد بالْمُحَاسَبَةِ المؤاخذة والعقاب.

﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾.

الإِبْدَاءُ: الإِظْهَارُ وَالإِعْلَانُ، وَيُقابِلُهُ: الإِخْفَاءُ. وَإِبْدَاءُ مَا فِي النَّفْسِ: إِظْهَارُهُ بِالْقَوْلِ، أَوْ الْعَمَلِ.

---

١ – سورة الْبَقَرَة: الآية/ ٢٢٥

٢ – زاد المسير في علم التفسير (٢/ ٤٢٨)، وتفسير البغوي (١/ ٣٥٦)، وتفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل (١/ ٢١٨)

٣ – انظر تفسير البغوي (١/ ٣٥٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾، أي: يُعْلِمُكُمْ اللهُ تَعَالَى مَا لَكُمْ وَمَا عَلَيْكِمْ، ومِنْ لَازِمِ الْمُحَاسَبَةَ الْمُؤَاخَذَةُ وَالْمُجَازَاةُ.

﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

الله تبارك وتعالى لا يجب عليه شيءٌ، ولَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسألون، والله يحكم لا معقب لحكمه، ولا راد لقضائه، فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشاءُ مغفرته، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشاءُ تعذيبه.

وقيل: يَغْفِرُ لِلْمُؤْمِنِينَ إِظْهَارًا لِفَضْلِهِ، وَيُعَذِّبُ الْكَافِرِينَ إظهارا لعدله.

وقيل: يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّنْبَ الْعَظِيمَ، وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ عَلَى الصَّغِيرِ.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

له القدرة الباهرة، والقوة القاهرة، لا يعجزه شيء، ولا يمتنع منه شيء، سبحانه وتعالى.

وفي الآية من الأساليب البلاغية: المقابلة بين الإِبْدَاءِ والإِخْفَاءِ، ﴿تُبْدُوا﴾. و ﴿تُخْفُوهُ﴾. وبين المغفرة والعذاب، في قوله: ﴿فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾. و ﴿يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

والإظهار في موضع الإضمار في قوله: ﴿يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ﴾؛ للترهيب من عظمته تعالى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. سُورَةُ البَقَرَة: الْآيَةُ/ ٢٨٥

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

قدمنا أنه لَمَّا نَزَلَ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ...﴾، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَتَوْا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثُمَّ بَرَكُوا عَلَى الرُّكَبِ، فَقَالُوا: أَيْ رَسُولَ اللهِ، كُلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا نُطِيقُ، الصَّلَاةَ وَالصِّيَامَ وَالْجِهَادَ وَالصَّدَقَةَ، وَقَدِ أُنْزِلَتْ عَلَيْكَ هَذِهِ الْآيَةُ وَلَا نُطِيقُهَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَتُرِيدُونَ أَنْ تَقُولُوا كَمَا قَالَ أَهْلُ الْكِتَابَيْنِ مِنْ قَبْلِكُمْ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا؟ بَلْ قُولُوا: «سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ»، قَالُوا: سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ، فَأَنْزَلَ اللهُ فِي إِثْرِهَا: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ.....﴾.

فأثنى الله تبارك وتعالى على رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى أمته بالتسليم لأمر الله تعالى، والإذعان لحكمه؛ فَعَنْ حَكِيمِ بْنِ جَابِرٍ، قَالَ: لَمَّا أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ﴾. [البقرة: ٢٨٥] قَالَ جِبْرِيلُ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ الثَّنَاءَ عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ. فَسَلْ. تُعْطَ فَسَأَلَ اللَّهَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ {لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾. [البقرة: ٢٨٦] إِلَى آخِرِ الْآيَةِ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: لَمَّا ذَكَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ السُّورَةِ فَرْضَ الصَّلَاةِ، وَالزَّكَاةِ، وَبَيَّنَ أَحْكَامَ الْحَجِّ، وَحُكْمَ الْحَيْضِ، وَالطَّلَاقِ وَالْإِيلَاءِ، وَأَقَاصِيصَ الْأَنْبِيَاءِ، وَبَيَّنَ حُكْمَ الرِّبَا، ذَكَرَ تَعْظِيمَهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: لِلَّهِ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ ثُمَّ ذَكَرَ تَصْدِيقَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ ذَكَرَ تَصْدِيقَ الْمُؤْمِنِينَ بِجَمِيعِ ذَلِكَ فَقَالَ: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ.....﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فكان هذا ثناءً من اللهِ تَعَالَى عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وعلى وَالْمُؤْمِنِينَ من أمته بأنهم آمنوا بِاللَّهِ ربًا لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، وَلَا رَبَّ سِوَاهُ، وَآمنوا بمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَ آمنوا برُسُلِهِ جميعًا، ولم يفرقوا فِي الإيمانِ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ، فَلم يُؤْمِنُوا بِبَعْضٍ وَيَكْفُرُوا بِبَعْضٍ كما فعل غيرهم من الأمم كاليهود الذين آمنوا بموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكذبوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الْإِيمَانَ باللهِ أولًا لأنه الخالق، وَالْإِيمَانَ بِمَلَائِكَتِهِ ثَانِيًا؛ لِأَنَّهُمْ كَالْوَسَائِطِ بَيْنَ اللَّهِ وَعِبَادِهِ، وَالْإِيمَانَ بِالْكُتُبِ ثالثًا؛ لأنهُ الْوَحْيُ الَّذِي يُوصِلُهُ الْمَلَكُ مِنَ اللَّهِ إِلَى الْبِشْرِ، وَالْإِيمَانَ بِالرُّسُلِ؛ لأنهم الَّذِينَ يتلقونَ الْوَحْيَ من الله بواسطةِ الْمَلَائِكَةِ.

﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾.

سَمِعْنَا كَلَامَ اللهِ تَعَالَى ووعيناه في قلوبنا، وَامْتَثَلْنَا ما يأمرنا به ربنا تيارك وتعالى، فعملنا بِمُقْتَضَاهُ، والكلام فِيهِ حَذْفُ إيجاز، تقديره: أَيْ سَمِعْنَا سَمَاعَ مستجيبين لأمرك.

﴿غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾.

مَصْدَرٌ من الغفر، وهو سُؤالُ اللهِ تَعَالَى أن يستر الذنوب، وأن يمحو الخطايا.

﴿وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾. إِقْرَارٌ بِالْبَعْثِ والنشور، وَالْوُقُوفِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى، وهو يتضمن طلب الثواب من الله تعالى على الإيمان به.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. سُورَةُ البَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٨٦

التكليف هو: طلب ما فيه مشقة، والوُسْعُ هُوَ: الطَّاقَةُ وَالِاسْتِطَاعَةُ.

قدمنا أن هَذِهِ الْآيَة هِيَ التي نسخ اللهُ تَعَالَى بها قَوْلَهُ: ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ....﴾. [البَقَرَة: ٢٨٤] التي كَانَ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم قد أَشْفَقُوا مِنْهَا.

فمن رحمة الله تعالى وَإِحْسَانِهِ بعباده أنه لَا يُكَلِّفُ أَحَدًا فَوْقَ طَاقَتِهِ، وهذه الآية هي الدليل على القاعدة: (لا تكليف إلا بمقدور)، كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾.[1]

﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾.

لَهَا ثَوَابُ مَا كَسَبَتْ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾.

عَلَيْهَا وِزْرُ مَا اكْتَسَبَتْ من الشرّ، وتقديمُ الجار والمجرور ﴿لَهَا﴾، و ﴿عَلَيْهَا﴾. عَلَى الْفِعْلَيْنِ (كَسَبَ)، و(اكْتَسَبَ) يُفِيدُ الاختصاصَ وَأَنَّ ذَلِكَ لَهَا وليس لِغَيْرِهَا.

والأصل أن (كَسَبَ)، يأتي لِلْخَيْرِ، و(اكْتَسَبَ) يأتي لِلشَّرِّ، وقد يطلق كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الْفِعْلَيْنِ عَلَى الْخَيْرِ، والشَّرِّ؛ كما قال تَعَالَى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾.[2]

١ - سُورَةُ الطَّلَاقِ: الآية/ ٧

٢ - سُورَةُ الشُّورَى: الآية/ ٣٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾.

أي: رَبَّنَا لَا تُحَاسِبنَا على مَا يَصْدُرُ مِنَّا بسَبَبِ النِّسْيَانِ وَالْخَطَأِ، وهو مما علمه الله تعالى لهذه الأمة المرحومة؛ كما علم آدَمَ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ بهَا، ولما سَمِعْ الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم وَأَطَاعُوا وَسَلَّمُوا لها قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَدْ فَعَلْتُ. وتقدم حديث ابْنِ عَبَّاسٍ الذي رواه مسلم.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ، وَالنِّسْيَانَ، وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ».[1]

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

الْإِصْرُ فِي اللُّغَةِ: الثِّقَلُ وَالشِّدَّةُ، قَالَ النَّابِغَةُ:

يَا مَانِعَ الضَّيْمِ أَنْ يُغْشَى سُرَاتُهُمُ ***** وَالْحَامِلَ الْإِصْرَ عَنْهُمْ بَعْدَ مَا عَرَفُوا

وَقِيلَ: الْإِصْرُ الذَّنْبُ الذي لَا تَوْبَةَ لَهُ.

علم اللهُ تَعَالَى المؤمنين هذا الدعاء العظيم أن يخففَ عنهم وَأَلَّا يُشَدِّدَ عليهم ومعناه: اللهم لا تُشَدِّدْ عَلَيْنَا فِي التَّكَالِيفِ كَمَا شَدَّدْتَ عَلَى مَنْ قَبْلَنَا مِنَ الْيَهُودِ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا﴾.[2]

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبَغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾.[3]

---

١ – رواه ابن ماجه– كِتَابُ الطَّلَاقِ، بَابُ طَلَاقِ الْمُكْرَهِ وَالنَّاسِي، حديث رقم: ٢٠٤٥، بسند صحيح

٢ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/١٦٠

٣ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٤٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَمنْ ذَلِكَ أَنَّ اللَّهَ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ صَلَاةً وَأَمَرَهُمْ بِأَدَاءِ رُبْعِ أموالهم من الزَّكَاةِ، وَمَنْ أَصَابَ ثَوْبَهُ نَجَاسَةٌ قَطَعَهَا، وَمَنْ أَصَابَ ذَنْبًا أَصْبَحَ ذنبه مكتوبا عَلَى بَابِهِ، وَمنْ ذَلِكَ أَنَّ توبتهم كانت بقتلِ أنفسِهِم، وكان موجبُ القتلِ عندهم القصاصُ عينًا ولا تُقبل الديةُ.

وهذا التخفيف من الله تعالى من المنح الربانية لهذه الأمة المرحومة ببركة النبي صلى الله عليه وسلم؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾.[1]

﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾.

التَّحْمِيلُ: لَا يكونُ إِلَّا لما يستثقل، فإذا حمله فقد وَضَعَ عَلَيْهِ مَا لَا يُطِيقُ احْتِمَالَهُ، والمعني: رَبَّنَا لَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا نَسْتَطِيعُ حَمْلَهُ مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّدِيدَةِ المشقةِ، ولَا تُكَلِّفْنَا مِنَ الْأَعْمَالِ مَا لَا نُطِيقُ؛ والتكليف قد يكون لما فيه مشقةٌ، ولما لا مشقة فيه، فإن كان فيه نوع من المشقة، فإنه مشقة محتملة، وهذا هو الفرق بين التَّحْمِيلِ، والمشقةِ.

وَقيل: معناه: لا تُحَمِّلْنا مَا لَا نَسْتَطِيعُ حَمْلَهُ مِنَ الْعُقُوبَاتِ.

﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾.

قوله تَعَالَى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا﴾، دُعَاءٌ بمحوِ آثارِ الذنوبِ والمعَاصِي، والْعَفْوَ أَصْلٌ لِعَدَمِ الْمُؤَاخَذَةِ، وَالْمَغْفِرَةَ.

وَقوله: ﴿وَاغْفِرْ لَنَا﴾، دُعَاءٌ بستْرِ الآثَامِ وعَدَمِ الْعِقَابِ بالْفَضِيحَةِ؛ وأَصْلُ الغَفْرِ السَّتْرُ.

وَقوله: ﴿وَارْحَمْنَا﴾، دُعَاءٌ بقبول الأعمالِ، ومضاعفة أجور الطاعات، الذي هو سببُ دخولِ الْجَنَّةِ، وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ.

﴿أَنْتَ مَوْلَانَا﴾.

---

١ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ١٥٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَنْتَ الْمُتَوَلِّي لِكُلِّ أُمُورِنَا، والمدبرُ لجميعِ شؤوننا، ولا قوم لنا إلا بك، ولا استقامةَ لحياتنا إلا بالاستسلام والخضوع لك، وأنت ناصرنا ولا ناصر لنا سواك.

﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾.

انْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ؛ لأنك مَوْلَانَا وهم لا مولى لهم؛ ﴿ذلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكافِرِينَ لَا مَوْلى لَهُمْ﴾.[1]

ولأننا أسلمنا لك، وهم قد كفروا بك، وأنت لا تخذل أولياءك؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ﴾.[2]

روى ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، أَنَّ مُعَاذًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، كَانَ إِذَا فَرَغَ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ ﴿فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾. قَالَ: «آمِينَ».[3]

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في هاتين الآيتين، الإيجاز بالحذف في قوله تَعَالَى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾، وتقدير الكلام: (آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَآمَنَ الْمُؤْمِنُونَ).

ومنها الإطناب في قوله: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾، وتقدير الكلام: (لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَهم).

ومنها الطباق المعنوي بين ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ﴾، و ﴿وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾؛ لأن (كَسَبَ) يستعمل في الخير و(اكْتَسَبَ) يستعمل في الشر.

---

١ - سُورَةُ مُحَمَّدٍ: الْآيَةُ / ١١

٢ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٥٧

٣ - تفسير الطبري (٥/ ١٦٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والترقي في قوله تَعَالَى: ﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾، فالعفو محوِ آثارِ الذنوبِ وهو أدنى المراد، وَالْمَغْفِرَةُ، أعلى منه رتبة؛ لأنه عَدَمُ الْعِقَابِ بالْفَضِيحَةِ، وأعلى منهما الرحمة، وبها تتحقق النجاةُ من النَّارِ، والفوزُ بالجنةِ.

فَضْلِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ:

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ قَرَأَ بِالْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ فِي لَيْلَةٍ كَفَتَاهُ».[1]

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُعْطِيتُ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحْتَ الْعَرْشِ، وَلَمْ يُعْطَهُنَّ نَبِيٌّ قَبْلِي».[2]

وَعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، انْتُهِيَ بِهِ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَهِيَ فِي السَّمَاءِ السَّادِسَةِ، إِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُعْرَجُ بِهِ مِنَ الْأَرْضِ فَيُقْبَضُ مِنْهَا، وَإِلَيْهَا يَنْتَهِي مَا يُهْبَطُ بِهِ مِنْ فَوْقِهَا فَيُقْبَضُ مِنْهَا»، قَالَ: «﴿إِذْ يَغْشَى﴾ [النجم: ١٦] السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى»، قَالَ: «فَرَاشٌ مِنْ ذَهَبٍ»، قَالَ: «فَأُعْطِيَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَلَاثًا: أُعْطِيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَأُعْطِيَ خَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَغُفِرَ لِمَنْ لَمْ يُشْرِكْ بِاللهِ مِنْ أُمَّتِهِ شَيْئًا، الْمُقْحِمَاتُ».[3]

---

١ - رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ- كِتَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ، بَابُ فَضْلِ سُورَةِ البَقَرَةِ، حديث رقم: ٥٠٠٩، ومسلم- كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ فَضْلِ الْفَاتِحَةِ، وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، وَالْحَثِّ عَلَى قِرَاءَةِ الْآيَتَيْنِ مِنْ آخِرِ الْبَقَرَةِ، حديث رقم: ٨٠٨

٢ - رَوَاهُ أحمدُ- حديث رقم: ٢١٥٦٤، بسند صحيح

٣ - رَوَاهُ مُسْلِمٌ- كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابٌ فِي ذِكْرِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، حديث رقم: ١٧٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَعَنْ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِأَلْفَيْ عَامٍ، أَنْزَلَ مِنْهُ آيَتَيْنِ خَتَمَ بِهِمَا سُورَةَ الْبَقَرَةِ، وَلَا يُقْرَآنِ فِي دَارٍ ثَلَاثَ لَيَالٍ فَيَقْرَبُهَا شَيْطَانٌ».[1]

تم الكلام عن تفسير سورة البقرة ولله الحمد والمنة، ونسأله سبحانه الإخلاص والقبول.

١ – رَوَاهُ أحمدُ– حديث رقم: ١٨٤١٤، والترمذي– أَبْوَابُ فَضَائِلِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَا جَاءَ فِي آخِرِ سُورَةِ البَقَرَةِ، حديث رقم: ٢٨٨٢، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تفسيرُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢) نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١- ٤

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ مَدَنِيَّةٌ بِالإِجْمَاعِ، وهي مِائَتَا آيَةٍ.

﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾. تَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى الحروف المقطعة فِي أَوَّلِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، والراجح وقلنا إِنَّ هَذِهِ الْحُرُوف إنما ذُكِرَتْ فِي أَوَائِلِ السُّوَرِ الَّتِي ذُكِرَتْ فِيهَا بَيَانًا لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّ الْخَلْقَ عَاجِزُونَ عَنْ مُعَارَضَتِهِ بِمِثْلِهِ، مَعَ أَنَّهُ تَرَكَّبَ مِنْ هَذِهِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ الَّتِي يَتَخَاطَبُونَ بِهَا.

﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.

واللَّهُ تَعَالَى هو المستحق للعبادة وحده، وما سواه عبيد له، فلَا إِلَهَ غيره، ولا ربَ سواه، وهُوَ الْحَيُّ حياةً كاملة، لم يسبقها عدم ولا يعقبها فناء، وما سواه من الأحياء حياتهم ناقصة، يسبقها العدم ويعقباها الفناء.

واللهُ تَعَالَى دَائِمُ الْقِيَامِ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ وَحِفْظِهِم، وكلهم مُفْتَقِرُون إِلَيْهِ، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَيها عندَ تَفْسِيرِ آيَةِ الْكُرْسِيّ.

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.

الْكِتَابُ: الْقُرْآنُ، وإنما عبر عنه هنا باسم الجنس ﴿الْكِتَابَ﴾، تعظيمًا لشأنه، وأنه الحقيقُ بأن يطلق عليه اسمُ الكتابِ دون ما عداه.

وَإِنَّمَا خُصَّ الْقُرْآنُ بلَفْظِ: ﴿نَزَّلَ﴾، وخُصَّ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ بلَفْظِ: ﴿أَنْزَلَ﴾. لأَنَّ التَّنْزِيلَ لِلتَّكْثِيرِ، وَاللَّهُ تَعَالَى نَزَّلَ الْقُرْآنَ مُنَجَّمًا، فَكَانَ مَعْنَى التَّكْثِيرِ حَاصِلًا فِيهِ، وَأَمَّا التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فَإِنَّهُ تَعَالَى أَنْزَلَهُمَا دَفْعَةً وَاحِدَةً، فَلِهَذَا خَصَّهُمَا بِالْإِنْزَالِ، وَالْقُرْآنُ نَزَلَ جُمْلَةً وَاحِدَةً إِلَى بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدُّخَانِ: ٣] وَقَالَ: ﴿إِنَّا أَنزلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [الْقَدْرِ: ١]، ثُمَّ نَزَلَ بعدُ مُفَرَّقًا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِحَسْبِ الْوَقَائِعِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ، فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُنْزِلُهُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُرَتِّلُهُ تَرْتِيلًا».[1]

﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ.....﴾.

اللهُ تَعَالَى نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ الذي لا يخالطه باطل؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلا مِنْ خَلْفِهِ﴾.[2]

وهو صَادِقٌ فِيمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ الْأَخْبَارِ لا يتطرق إليه الكذب؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.[3]

﴿مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.

أنزلَ اللهُ تَعَالَى الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ مُصَدِّقًا لِلْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ قَبْلَهُ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ لِأَنَّهُ طَابَقَ مَا أَخْبَرَتْ بِهِ تلك الْكُتُبُ من وحدانية الله تعالى، والإيمان بالملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر والقدر، وَطَابَقَ مَا بَشَّرَتْ بِهِ مِنَ وَعْدِ اللَّهِ تَعَالَى بِإِرْسَالِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نزلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ﴾.[4]

---

١ – رواه الحاكم– كِتَابُ التَّفْسِيرِ، حديث رقم: ٢٨٨١، بسند صحيح

٢ – سُورَةُ فُصِّلَتْ: الْآيَةُ/ ٤٢

٣ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢

٤ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٤٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى حكاية عن الْجِنِّ لما سمعوا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾.[1]

﴿وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾.

وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأَنْزَلَ الإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، مِنْ قَبْلِ إِنْزَالِ الْقُرْآنِ؛ لهداية النَّاسِ قبلَ بعثةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، نَسَخَ اللهُ تَعَالَى بكتابِهِ الكُتُبَ السَّابِقَةَ، وَنَسَخَ بشريعتِهِ الشرائعَ السَّابِقَةَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنزلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾.[2]

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسْأَلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ عَنْ شَيْءٍ، فَإِنَّهُمْ لَنْ يَهْدُوكُمْ، وَقَدْ ضَلُّوا، فَإِنَّكُمْ إِمَّا أَنْ تُصَدِّقُوا بِبَاطِلٍ، أَوْ تُكَذِّبُوا بِحَقٍّ، فَإِنَّهُ لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ، مَا حَلَّ لَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».[3]

عَنْ جَابِرٍ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ، أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِكِتَابٍ أَصَابَهُ مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنِّي أَصَبْتُ كِتَابًا حَسَنًا مِنْ بَعْضِ أَهْلِ الْكِتَابِ، قَالَ: فَغَضِبَ وَقَالَ: «أَمُتَهَوِّكُونَ فِيهَا يَا ابْنَ الْخَطَّابِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَدْ جِئْتُكُمْ بِهَا بَيْضَاءَ نَقِيَّةً، لَا تَسْأَلُوهُمْ عَنْ شَيْءٍ فَيُخْبِرُوكُمْ بِحَقٍّ فَتُكَذِّبُوا بِهِ، أَوْ بِبَاطِلٍ فَتُصَدِّقُوا بِهِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ كَانَ مُوسَى حَيًّا مَا وَسِعَهُ إِلَّا أَنْ يَتَّبِعَنِي».[4]

﴿مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ....﴾.

---

١ – سُورَةُ الْأَحْقَافِ: الآية/ ٣٠

٢ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَةُ/ ٤٨

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٤٦٣١، بسند فيه ضعف

٤ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٥١٥٦، ابن أبي شيبة– حديث رقم: ٢٦٤٢١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ﴾. المرادُ بالْفُرْقَانِ الْمُعْجِزَاتُ وَالْحُجَجُ وَالْبَرَاهِينُ، التي حَصَلَتْ بها الْمُفَارَقَةُ والتمييزُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، والْهُدَى وَالضَّلَالِ.

وهذا أولى من قول من قال إن المراد بالْفُرْقَانِ هنا الْقُرْآنُ؛ لأنه تقدم ذكره؛ ولأن العطف يقتضي المغايرة.

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾.

إِنَّ الَّذِينَ جَحَدُوا بِآيَاتِ اللهِ الَّتِي أَنْزَلَهَا على رُسُلِهِ لِهِدَايَةِ عِبَادِهِ وَإِرْشَادِهِمْ إِلَى ما فيه سَعَادَتُهم فِي الدنيا والآخرةِ، وَأَنْكَرُوهَا، وأَعْرَضُوا عَنْهَا، لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لتكذيبهم بها وإعراضهم عن منهج الله تعالى.

﴿وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ﴾.

وَالْعَزِيزُ: الَّذِي لَا يُغْلَبُ، فَاللَّهُ تَعَالَى عَزِيزٌ لَا يُغْلَبُ.

وَاللَّهُ تَعَالَى ذُو انْتِقَامٍ، أي: شَدِيدُ الْعِقَابِ، وَالِانْتِقَامُ: الْعُقُوبَةُ، يُقَالُ: انْتَقَمَ مِنْهُ انْتِقَامًا أَيْ عَاقَبَهُ، ومنه قول عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «وَاللَّهِ مَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ فِي شَيْءٍ يُؤْتَى إِلَيْهِ قَطُّ، حَتَّى تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ». رواه البخاري

وَذُو الِانْتِقَامِ أبلغ من منتقم؛ لِأَنَّ ﴿ذُو﴾. يُتَوَصَّلُ بِهَا إِلَى الْوَصْفِ بِالْأَجْنَاسِ، وَمَعْنَاهَا صَاحِبُ، وَهِيَ تُشْعِرُ بِقُوَّةِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ وَكَثْرَتِهِ، فإذا قيل: فلانٌ ذُو مَالٍ، دل ذلك على كثرة ماله، وَلَا يُقَالُ: ذُو مَالٍ لِمَنْ عِنْدَهُ مَالٌ قَلِيلٌ.

وَذُو انْتِقَامٍ إِشَارَةٌ إِلَى كَوْنِهِ فَاعِلًا لِلْعِقَابِ، ف﴿عَزِيزٌ﴾، صِفَةُ ذَاتٍ، وَ ﴿ذُو انْتِقَامٍ﴾، صِفَةُ فعلٍ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ (٥) هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٥، ٦

هذا إخبارٌ من اللهِ تَعَالَى عنْ كَمَالِ عِلْمِهِ، وأنه تعالى ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ﴾.[1]

ومن كَمَالِ عِلْمِهِ ما أخبر به بقوله: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلا يَعْلَمُهَا وَلا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلا رَطْبٍ وَلا يَابِسٍ إِلا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾.[2]

لفظ: ﴿شَيْءٌ﴾، نَكِرَةٌ فِي سِيَاقِ النَّفْيِ تُفِيدُ الْعُمُومَ، وعلمُ الله الشامل منْ لوازمِ كَمَالِ حَيَاتِهِ، ومنْ لوازمِ كَمَالِ قيوميته.

وذَكَرَ سبحانه الْأَرْضَ قبلَ السَّمَاءِ من قبيل الترقي، فإن مَا فِي الْأَرْضِ في مقدُورِ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ معرفةُ الكثير عنه، وأَمَّا مَا فِي السَّمَاءِ فَلَا يَعْلَمُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ شيئًا عنه.

﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ﴾.

يُخْبِرُ تَعَالَى عن أَمْرٍ منْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ، ومنْ كَمَالِ قَيُّومِيَّتِهِ، فَهُوَ الَّذِي يُصَوِّرُ الْبَشَرَ فِي الْأَرْحَامِ بِالْكَيْفِيَّةِ التي يريدها، وَخُصَّ تَصْوِيرُ الْبَشَرِ بالذكر؛ لِأَنَّهُ مِنْ أَعْجَبِ مَظَاهِرِ الْقُدْرَةِ.

وَذَكَرَ تَعَالَى تَصْوِيرَ الْبَشَرِ ردًّا على النَّصَارَى الذين تَوَهَّمُوا أَنَّ تَخَلُّقَ عِيسَى بِدُونِ مَاءِ أَبٍ دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ إِلَهٌ، وَجَهِلُوا أَنَّ التَّصْوِيرَ فِي الْأَرْحَامِ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ كَيْفِيَّاتُهُ لَا يَخْرُجُ عَنْ كَوْنِهِ خَلْقًا؛ لأنهُ كَانَ مَعْدُومًا فوجدَ بعدَ أن لم يكنْ، فَكَيْفَ يَكُونُ إِلَهًا كَمَا زَعَمَتْ النَّصَارَى وَقَدْ تَقَلَّبَ فِي الْأَحْشَاءِ، وَتَنَقَّلَ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾.[3]

---

١ - سُورَةُ سَبَأٍ: الْآيَةُ/ ٣

٢ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ/ ٥٩

٣ - سُورَةُ الزُّمَرِ: الْآيَةُ/ ٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَجُمْلَةُ ﴿هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ﴾، صِيغَةُ قَصْرٍ، وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيقِيٌّ لصِفَةِ التَّصْوِيرِ عَلَيْهِ تَعَالَى، فليس ذلك من فعلِ أحدٍ غيرِهِ.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

نفيٌ لِلْإِلَهِيَّةِ عن كلِ مَا سِوى اللهِ تَعَالَى، وإثباتها للهِ وحْدَهُ؛ فإن اللهَ تَعَالَى هو الخالقُ، وما سواه مَخْلُوقٌ، وهو الرب وما سواه مربوب، وهو تَصْرِيحٌ بِأَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ عَبْدٌ مَخْلُوقٌ، كَمَا خَلَقَ اللَّهُ سَائِرَ الْبَشَرِ؛ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى صَوَّرَهُ فِي الرَّحِمِ وَخَلَقَهُ كَمَا يَشَاءُ.

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

هُوَ الْعَزِيزُ فِي مُلْكِهِ، يفعل ما يشاءُ ويحكم ما يريد، وَهُوَ الْحَكِيمُ فِي تقديرِهِ وخلقِهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٧

لما أخبر اللهُ تَعَالَى أنه نَزَّلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ، بين هنا صفة هذا الكتاب فأخبرَ تَعَالَى أَنَّ فِي هذا الْكِتَابِ ﴿آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾.

وَاخْتَلَفَ العُلَمَاءُ فِي المرادِ بالْمُحْكَمِ وَالْمُتَشَابِهِ، فَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا عُرِفَ الْمُرَادُ مِنْهُ إِمَّا بِالظُّهُورِ وَإِمَّا بِالتَّأْوِيلِ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ؛ كَقِيَامِ السَّاعَةِ وَخُرُوجِ الدَّجَّالِ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا وَضَحَ مَعْنَاهُ، وَالْمُتَشَابِهُ نَقِيضُهُ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَالْمُتَشَابِهُ مَا احْتَمَلَ أَوْجُهًا.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا كَانَ مَعْقُولَ الْمَعْنَى، وَالْمُتَشَابِهُ بِخِلَافِهِ؛ كَأَعْدَادِ الصَّلَوَاتِ وَاخْتِصَاصِ الصِّيَامِ بِرَمَضَانَ دُونَ شَعْبَانَ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا اسْتَقَلَّ بِنَفْسِهِ، وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَا يَسْتَقِلُّ بِنَفْسِهِ إِلَّا بِرَدِّهِ إِلَى غَيْرِهِ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا تَأْوِيلُهُ تَنْزِيلُهُ وَالْمُتَشَابِهُ مَا لَا يُدْرَى إِلَّا بِالتَّأْوِيلِ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ مَا لَمْ تَتَكَرَّرْ أَلْفَاظُهُ، وَمُقَابِلُهُ الْمُتَشَابِهُ.

وَقِيلَ: الْمُحْكَمُ الْفَرَائِضُ وَالْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْمُتَشَابِهُ الْقِصَصُ وَالْأَمْثَالُ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: الْمُحْكَمَاتُ نَاسِخُهُ وَحَلَالُهُ وَحَرَامُهُ وَحُدُودُهُ وَفَرَائِضُهُ وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَيُعْمَلُ بِهِ وَالْمُتَشَابِهَاتُ مَنْسُوخُهُ وَمُقَدَّمُهُ وَمُؤَخَّرُهُ وَأَمْثَالُهُ وَأَقْسَامُهُ وَمَا يُؤْمَنُ بِهِ وَلَا يُعْمَلُ بِهِ.[1]

١ - رواه الطبري في تفسيره (٥/ ١٩٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ مُجَاهِدٍ قَالَ: الْمُحْكَمَاتُ مَا فِيهِ الْحَلَالُ وَالْحَرَامُ وَمَا سِوَى ذَلِكَ مِنْهُ مُتَشَابِهٌ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا.

والراجحُ هُنَا أن الْمُحْكَمَ مَا لَا يَحْتَمِلُ مِنَ التَّأْوِيلِ إِلَّا وَجْهًا وَاحِدًا، وَالْمُتَشَابِهُ مَا احْتَمَلَ أَوْجُهًا، والمعنى: هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ يا محمدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ وَاضِحَاتُ الدَّلَالَةِ، عُرِفَ تَأْوِيلُهَا وَفُهِمَ مَعْنَاهَا وَتَفْسِيرُهَا، فلَيس فِيهَا الْتِبَاسٌ عَلَى أَحَدٍ، وَمِنْهُ آيَاتٌ أُخَرُ فِيهَا اشْتِبَاهٌ فِي الدَّلَالَةِ عَلَى كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ، والواجب على مَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شيءٌ مِنَ الْقُرْآنِ أنْ يَرُدَّ مَا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ إِلَى الْمُحْكَمِ الْوَاضِحِ مِنْهُ، فإن الْقُرْآنَ ليس فِيهِ تعارضٌ ولَا اختِلَافٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا﴾.[1]

قوله تعالى: ﴿هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ﴾، يَعْنِي أَنَّهُنَّ أَصْلُ الْكِتَابِ، وهي الآيات المشتملة على توحيد الله تعالى، وَالْفَرَائِضِ وَالْحُدُودِ، ومَا يحتَاجُهُ العبادُ مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ.

قَالَ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: وَإِنَّمَا سَمَّاهُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ؛ لِأَنَّهُنَّ مَكْتُوبَاتٌ فِي جَمِيعِ الْكُتُبِ.

وَقَالَ الطبري: وَسَمَّاهُنَّ أُمَّ الْكِتَابِ، لِأَنَّهُنَّ مُعْظَمُ الْكِتَابِ، وَمَوْضِعُ مَفْزَعِ أَهْلِهِ عِنْدَ الْحَاجَةِ إِلَيْهِ.

﴿وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ﴾، وَمِنْهُ آيَاتٌ أُخَرُ تَحْتَمِلُ دَلَالَتُهَا مُوَافَقَةَ الْمُحْكَمِ، وَتَحْتَمِلُ غَيرَهُ.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾.

الزَّيْغُ: هُوَ الَمَيْلُ وَالانْحِرَافُ عَنِ الْحَقِّ؛ يُقَالُ: زَاغَ عَنِ الْحَقِّ، إِذَا انْحَرَفَ وَمَالَ، وَزَاغَتِ الشَّمْسُ، وَزَاغَتِ الأَبْصَارُ.

وَالْفِتْنَةُ هُنَا هِي تشكيكُ الْعَوَامِّ، بسَبَبِ طَعْنِهِم فِي الْقُرْآنِ، وإِضْلَالِ النَّاسِ عَنِ دِينِهِم بسبب ما يثيرُونَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الآيَةُ/ ٨٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالتَّأْوِيلُ يُطْلَقُ عَلَى معانٍ ثلاثةٍ: يأتي بِمَعْنَى التَّفْسِيرِ؛ ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ﴾، [يُوسُفَ: ٣٦] أَيْ: بِتَفْسِيرِهِ، وقول ابن جرير: الْقَوْلُ فِي تَأْوِيلِ قَوْلِهِ تَعَالَى: كذا.

وَيُطْلَقُ التَّأْوِيلُ وَيُرَادُ بِهِ مَا يَصِيرُ إِلَيْهِ الْأَمْرُ حقيقةً؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ﴾.[1]

أَيْ: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلا أَنْ يَأْتِيهِمْ مَا وُعِدُوا بِهِ، وَاشْتِقَاقُهُ مِنْ آلَ الْأَمْرُ إِلَى كذا، أَيْ: صَارَ إِلَيْهِ.

وَيُطْلَقُ التَّأْوِيلُ وَيُرَادُ بِهِ صَرْفُ اللفظِ عن معناه الظاهرِ إلى معنى آخر بقرينة؛ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.[2]

أَيْ: إِذَا أَرَدْتَ الْقِرَاءَةَ.

وَكَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾.[3]

أَيْ: إِذَا أَرَدْتُمُ الْقِيَامَ، وَالدَّلِيلُ أمرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفعْلُهُ.

والمراد بِالتَّأْوِيلِ هنا صرفُ اللفظِ عن معناه الظاهرِ إلى معنىً آخرَ يريدُه هذا الذي في قلبِهِ زَيْغٌ، بغير قرينَةٍ.

وَالْفِتْنَةُ هُنَا هِي تَشْكِيكُ الْعَوَامِّ فِي الْقُرْآنِ، وإِضْلَالِ النَّاسِ عَنِ دِينِهِم بِسَبَبِ مَا يثيرُونَهُ مِنَ الشُّبُهَاتِ وطَعْنِهِم فِي كِتَابِ اللهِ تَعَالَى.

وَالْآيَةُ وإِنْ نَزَلَتْ فِي النَّصَارَى، وَهُمْ مُرَادُونَ مِنَ الْآيَةِ قَطْعًا، إلا أَنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، فيدخل فيها مع النَّصَارَى كل أهل البدع.

---

١ - سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الآية/ ٥٣

٢ - سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَة/ ٩٨

٣ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الْآيَة/ ٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

فعلامةُ أهلِ الزيغِ والنفاقِ، تتبعُ مُتَشَابِهَاتِ الْقُرْآنِ ظنًّا مِنْهُم أنَّهم وَجَدُوا فيه مطعنًا، أو أنَّ بَينَ آياتِهِ تعارُضًا، ولو سَلِمَتْ قُلُوبُهم من النِّفَاقِ لَرَدُّوا ما اشْتَبَه عليهم عِلْمُهُ إِلَى عَالِمِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.[2]

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: تَلَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللهُ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا، وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾. قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ سَمَّى اللهُ فَاحْذَرُوهُمْ».[3]

وَعَنْ نَافِعٍ مَوْلَى عَبْدِ اللَّهِ، أَنَّ صَبِيغًا الْعِرَاقِيَّ جَعَلَ يَسْأَلُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنَ الْقُرْآنِ فِي أَجْنَادِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى قَدِمَ مِصْرَ، فَبَعَثَ بِهِ عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَلَمَّا أَتَاهُ الرَّسُولُ بِالْكِتَابِ فَقَرَأَهُ فَقَالَ: أَيْنَ الرَّجُلُ؟ فَقَالَ: فِي الرَّحْلِ، قَالَ عُمَرُ: «أَبْصِرْ أَنْ يكونَ ذَهَبَ فَتُصِيبَكَ مِنِّي بِهِ الْعُقُوبَةُ الْمُوجِعَةُ»، فَأَتَاهُ بِهِ، فَقَالَ عُمَرُ: «تَسْأَلُ مُحْدَثَةً»، فأرْسلَ عُمَرُ إِلَى رَطَائِبَ مِنْ جَرِيدٍ، "فَضَرَبَهُ بِهَا حَتَّى تَرَكَ ظَهْرَهُ دَبِرَةً، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، ثُمَّ عَادَ لَهُ، ثُمَّ تَرَكَهُ حَتَّى بَرَأَ، فَدَعَا بِهِ لِيَعُودَ لَهُ، قَالَ: فقالَ صَبِيغٌ: إِنْ كُنْتَ تُرِيدُ قَتْلِي، فَاقْتُلْنِي قَتْلًا جَمِيلًا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ أَنْ تُدَاوِيَنِي، فَقَدْ وَاللَّهِ بَرَأْتُ، فَأَذِنَ لَهُ إِلَى أَرْضِهِ، وَكَتَبَ إِلَى أَبِي

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَةُ/ ٨٣

٢ – سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَةُ/ ٤٣

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، بَابُ: ﴿مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ﴾ [آل عمران: ٧]، حديث رقم: ٤٥٤٧، ومسلم– كتاب الْعِلْمِ، بَابُ النَّهْيِ عَنِ اتِّبَاعِ مُتَشَابِهِ الْقُرْآنِ، وَالتَّحْذِيرِ مِنْ مُتَّبِعِيهِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الِاخْتِلَافِ فِي الْقُرْآنِ، حديث رقم: ٢٦٦٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنْ لَا يُجَالِسَهُ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَاشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَى الرَّجُلِ، فَكَتَبَ أَبُو مُوسَى إِلَى عُمَرَ: أَنْ قَدْ حَسُنَتْ تَوْبَتُهُ، فَكَتَبَ عُمَرُ: أَنِ ائْذَنْ لِلنَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِ. [1]

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ الْأَنْبَارِيُّ: وَقَدْ كَانَ الْأَئِمَّةُ مِنَ السَّلَفِ يُعَاقِبُونَ مَنْ يَسْأَلُ عَنْ تَفْسِيرِ الْحُرُوفِ الْمُشْكِلَاتِ فِي الْقُرْآنِ، لِأَنَّ السَّائِلَ إِنْ كَانَ يَبْغِي بِسُؤَالِهِ تَخْلِيدَ الْبِدْعَةِ وَإِثَارَةَ الْفِتْنَةِ فَهُوَ حَقِيقٌ بِالنَّكِيرِ وَأَعْظَمِ التَّعْزِيرِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ مَقْصِدَهُ فَقَدِ اسْتَحَقَّ الْعَتْبَ بِمَا اجْتَرَمَ مِنَ الذَّنْبِ، إِذْ أَوْجَدَ لِلْمُنَافِقِينَ الْمُلْحِدِينَ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ سَبِيلًا إِلَى أَنْ يَقْصِدُوا ضَعَفَةَ الْمُسْلِمِينَ بِالتَّشْكِيكِ وَالتَّضْلِيلِ فِي تَحْرِيفِ الْقُرْآنِ عَنْ مَنَاهِجِ التَّنْزِيلِ وَحَقَائِقِ التَّأْوِيلِ.[2]

والآيةُ عامةٌ تشملُ جميعَ أَهْلِ الْبِدَعِ، فكلُ صاحبِ بدعةٍ لهُ من هذِهِ الآيةِ نصيبٌ.

﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

تقدمَ مَعْنَى التَّأْوِيلِ وأنه يطلق ويراد به معان ثلاثة، أحدها أَنَّ التَّأْوِيلَ معناه التَّفْسِيرُ، وعلى هذا القول يجوزُ الْوَقْفُ عَلَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾؛ لِأَنَّهُمْ يَعْلَمُونَ تَفْسِيرَهُ وَيَفْهَمُونَ مراد الله تعالى منه؛ وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ». رواه البخاري- حديث رقم:

وكان ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: أَنَا مِنَ الرَّاسِخِينَ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ تَأْوِيلَهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: التَّفْسِيرُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَنْحَاءٍ: فَتَفْسِيرٌ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ فِي فَهْمِهِ، وَتَفْسِيرٌ تَعْرِفُهُ الْعَرَبُ مِنْ لُغَاتِهَا، وَتَفْسِيرٌ يَعْلَمُهُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ، وَتَفْسِيرٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

ودَلَّ على هذا القولِ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ خَصَّ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ بِالذِّكْرِ عُلِمَ أَنَّهُمُ امْتَازُوا بِعِلْمِ تَأْوِيلِهِ فَعَلِمُوهُ؛ لِأَنَّهُمْ عَالِمُونَ، وَآمَنُوا بِهِ؛ لِأَنَّهُمْ يُؤْمِنُونَ.

---

١ - رواه الدارمي- بَابُ مَنْ هَابَ الْفُتْيَا وَكَرِهَ التَّنَطُّعَ وَالتَّبَدُّعَ، حديث رقم: ١٥٠

٢ - تفسير القرطبي (٤/ ١٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

واحتجَ من قالَ بهذا القولِ بأنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَنْزلَ الْقُرْآنَ لنفهمَ عنه مرادَهُ، وَالْخِطَابُ بِمَا لَا يُفْهَمُ بَعِيدٌ.

وقيل: المرادُ بالتَّأْوِيلِ هنا مَا يؤولُ إِلَيْهِ الْكلامُ حقيقةً، وهذا التَّأْوِيلُ لا يعلمه إلا اللهُ تعالى؛ لِأَنَّهُ لَا يَعْلَمُ حَقَائِقَ الْأُمُورِ، وما تؤول إليه عَلَى الْحَقِيقَةِ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وعَلَى هَذَا القَولِ يَكُونُ الْوَقْفُ عَلَى لَفْظِ الْجَلَالَةِ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ مُبْتَدَأً، وَ ﴿يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾ خَبَرَهُ، ويدلُ علَى صحةِ هذا القولِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ﴾، ولو كانوا يعلمون تَأْوِيلَهُ لقَالَ: (وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ) بزيادةِ واوٍ.

قال ابن القيم رحمه الله: وَاللَّهُ يَعْلَمُ تَأْوِيلَ الْمُتَشَابِهِ مِنْ كِتَابِهِ، وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ: آمَنَّا بِهِ (كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا) وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَعْلَمُونَ مُشْكَلَهُ وَلَكِنَّ الْأَوَّلَ قَوْلُ أَهْلِ الْمَدِينَةِ وَعَلَيْهِ يَدُلُّ الْكِتَابُ.[1]

وَالرُّسُوخُ: الثَّبَاتُ وَالتَّمَكُّنُ، يُقَالُ: رَسَخَتِ الْقَدَمُ تَرْسَخُ رُسُوخًا إِذَا ثَبَتَتْ عِنْدَ الْمَشْيِ، وَاسْتُعِيرَ الرُّسُوخُ لِقُوةِ اليَقِينِ وكَمَالِ الْعِلْمِ، فالرَّاسِخُ لَا تُضَلِّلُهُ الشُّبَهُ، ولا تَلْتَبِسُ عَلَيهِ الأَهوَاءُ.

فالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَرُدُونَ الْمُتَشَابِهَ إِلَى الْمُحْكَمِ، ويَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا.

﴿وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾.

الْأَلْبَابُ جمعُ لُبٍّ، وهُوَ خَالِصُ كُلِ شَيءٍ.

أي: ومَا يَتَّعِظُ بِمَا فِي الْقُرْآنِ، وَيُؤْمِنُ بِمُحْكَمِهِ ومُتَشَابِهِ، وَيَقِفُ حَيْثُ وَقَفَ، وَيَدَعِ اتِّبَاعَ الْمُتَشَابِهِ إِلَّا ذُو عَقلٍ كَامِلٍ.

---

١ - اجتماع الجيوش الإسلامية (٢/ ١٥٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٨

قَدَّمْنَا أَنَّ الزَّيْغَ: هو الْمَيْلُ وَالانْحِرَافُ عَنِ الْحَقِّ، ولَمَّا بينَ الله تعالى حال فريق من الناس مع ما تشابه من كلام الله تعالى، وذمهم الله تعالى أبلغ ذم، وأنهم يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ، حذر عباده المتقين أن يسلكوا سبيلهم، فعلمهم أن يدعوا ربهم تبارك وتعالى أن يحفظ قلوبهم من الغواية والانْحِرَافِ عَنِ الْحَقِّ بعد الهداية، بقولهم: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا.....﴾.

ويحتملُ أن يكونَ هذا الدُّعَاءُ من تتمةِ كلامِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ الذين يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا.

وهو دعاءٌ ينبغي أن يكونَ ملازمًا لكل مسلمٍ لا يفتر عنه لسانه؛ وَهُمْ لِرُسُوخِهِمْ فِي الْعِلْمِ يعلمون أَنَّ قُلُوبَ العبادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، يُصَرِّفُهَا حَيْثُ يَشَاءُ، فيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي، فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي، عَدْلًا.

وَيَعْرِفُونَ ضَعْفَ بَنِي آدَمَ وَأَنَّ قُلُوبَهم عُرْضَةٌ لِلتَّقَلُّبِ فإِنَّ قُلُوبَ العبادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُصَرِّفُهَا كيفَ شَاءَ سبحانه وتعالى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١١٠

وَعَنْ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ الصُّنَابِحِيِّ قَالَ: قَدِمْتُ الْمَدِينَةَ فِي خِلَافَةِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ فَصَلَّيْتُ وَرَاءَهُ الْمَغْرِبَ، فَقَرَأَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الْأُولَيَيْنِ بِأُمِّ الْقُرْآنِ، وَسُورَةٍ: سُورَةٍ مِنْ قِصَارِ الْمُفَصَّلِ، ثُمَّ قَامَ فِي الثَّالِثَةِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى إِنَّ ثِيَابِي لَتَكَادُ أَنْ تَمَسَّ ثِيَابَهُ، فَسَمِعْتُهُ قَرَأَ بِأُمِّ الْقُرْآنِ وَبِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾. رواه مالك- حديث رقم:

وكان أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بتصريف الْقُلُوبِ عَلَى الطَاعَةِ، وتثبيتها على الإيمان؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ».[1]

وَعَنْ شَهْرِ بْنِ حَوْشَبٍ، قَالَ: قُلْتُ لأُمِّ سَلَمَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ مَا كَانَ أَكْثَرُ دُعَاءِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا كَانَ عِنْدَكِ؟ قَالَتْ: كَانَ أَكْثَرُ دُعَائِهِ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ قَالَتْ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا لأَكْثَرِ دُعَائِكَ يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ؟ قَالَ: يَا أُمَّ سَلَمَةَ إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلاَّ وَقَلْبُهُ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ».[2]

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾.

قلنا: إِنّ هذا الدُّعَاءَ مِنْ تتمةِ كلامِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ لكمالِ فضلهم ورُسُوخِهِمْ فِي الْعِلْمِ لعلمهم أَنَّ قُلُوبَ العبادِ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، يُصَرِّفُهَا حَيْثُ يَشَاءُ؛ فيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ، وَيَعْصِمُ وَيُعَافِي، فَضْلًا، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ، وَيَخْذُلُ وَيَبْتَلِي، عَدْلًا.

وفي الآيةِ رَدٌّ عَلَى الْمُعْتَزِلَةِ فِي قَوْلِهِمْ: الْهُدَى مِنَ اللَّهِ: بَيَانُ طَرِيقِ الصَّوَابِ، وَالْإِضْلَالُ: تَسْمِيَةُ الْعَبْدِ ضَالًّا، لاعتقادهم بِوُجُوبِ فِعْلِ الْأَصْلَحِ لِلْعَبْدِ عَلَى اللَّهِ، وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلِهِمُ الْفَاسِدِ: أَنَّ أَفْعَالَ الْعِبَادِ مَخْلُوقَةٌ لَهُمْ؛ فالْعَبْدُ هو الذي يخلقُ الْهُدَى الضَّلَالَ فِي نَفْسِهِ.

وَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَنْ يَشَأِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾. سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ/ ٣٩

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾.[4]

---

١ – رواه مسلم– كتاب الْقَدَرِ، بَابُ تَصْرِيفِ اللهِ تَعَالَى الْقُلُوبَ كَيْفَ شَاءَ، حديث رقم: ٢٦٥٤

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حديث رقم: ٣٥٢٢، بسند صحيح

٣ – سُورَةُ الْقَصَصِ: الْآيَةُ/ ٥٦

٤ – سُورَةُ الْمُدَّثِّرِ: الْآيَةُ/ ٣١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ سَأَلُوا ربهم سبحانه وتَعَالَى العصمةَ من الضلالِ بَعْدَ أن هداهم للإيمان، وقيل: سَأَلُوه العصمةَ من الانحراف عن الحق بعد الهَدَيَة لِلْعِلْمِ بِالْمُحْكَمِ، وَالتَّسْلِيمِ لِلْمُتَشَابِهِ.

قوله تعالى: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾.

سَأَلُوا ربهم الرَّحْمَةَ لأنها أَثَرُ الدَّوَامِ عَلَى الْهُدَى فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وقوله: ﴿مِنْ لَدُنْكَ﴾؛ أي: خصنَا برَحْمَةٍ مِنْ عِنْدِكَ، و (لَدُنْ) أَخَصُّ من (عِنْدَ) وَأَقْرَبُ مَكَانًا، وليست مُرَادِفَةً لَهَا.

وَجُعِلَتِ الرَّحْمَةُ مِنْ عِنْدِ اللهِ لِأَنَّهُ هو الذي يُيَسِّيرُ أَسْبَابِهَا.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.

تذييل كَالتَّعْلِيلِ لِقَوْلِهِمْ: ﴿وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً﴾، وفيه دعاءُ الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلى.

وتقديمُ الضميرِ المنفصل (أَنْتَ) على الاسم: ﴿الْوَهَّابُ﴾. لقَصْرِ هذه الصفة على الله تعالى ومعناه: لا وَهَّابَ على الحقيقةِ إلا أنت؛ لِأَنَّ هِبَاتِ النَّاسِ بِالنِّسْبَةِ لِمَا أَفَاضَ اللَّهُ عَلى عِبَادِهِ من النِّعَمِ والْخَيْرَاتِ لَا يُذكرُ؛ وَلِأَنَّ هِبَاتِ النَّاسِ لها مقابلٌ، وهِبَاتُ اللهِ تَعَالَى عَطَاءٌ بِلَا مُقَابِلٍ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٩

هَذَا مِنْ بَقِيَّةِ كَلَامِ الرَّاسِخِينَ فِي الْعِلْمِ، ومِنْ مَسْأَلَتِهِم رَبَّهُمْ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالْآيَةُ وَإِنْ كَانَتْ قَدْ خَرَجَتْ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، فَإِنَّ معناها الدُّعَاءُ وَالرَّغْبَةُ إِلَى اللهِ تَعَالَى.

وقولهم: ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وهو إقرار منهم بالبعث والنشور يوم القيامة، ليخالفوا بذلك المشركين الذين لا يؤمنون بالحساب والجزاء.

وقوله تعالى: ﴿جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، معناه: إِنَّكَ بَاعِثُ النَّاسِ وَمُحْيِيهِمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ ومُحْصِيهِم لِحِسَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وهُوَ يَومٌ لا امتراءَ، ولَا شكَّ فِي وُقُوعِهِ؛ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا* وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا﴾.[2]

وفي الآية حذف تقديره: إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِلْجَزَاءِ فِي يَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.

وإنما قالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾، ولم يقولوا: (إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعادَ)، على سبيل الالْتِفَاتِ عَنِ الْخِطَابِ إِلَى الْغَيْبَةِ؛ لكمالِ تعظيمهم وإجلالهم لله تعالى، الناشئ من ذكرهم ليَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَكَانَ ذِكْرُهُ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ أَوْلَى فِي هَذَا الْمَقَامِ؛ لأَنَّهُ مَقَامُ خوفٍ وهَيْبَةٍ.

وقال فِي آخِرِ السورة: ﴿إِنَّكَ لا تُخْلِفُ الْمِيعادَ﴾؛ لأَنَّ الْمَقَامَ مَقَامُ طلبٍ واستعطافٍ، وليس مَقَامَ خوفٍ وهَيْبَةٍ.

---

١ - سُورَةُ النساء: الآية/ ٨٧

٢ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الآية/ ٩٤، ٩٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الْمِيعادُ: مصدر من الْوَعْدِ، والله تعالى لا يُخْلِفُ وَعْدَهُ، وَإذا أَوْعَدَ إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ وَإِنْ شَاءَ عَفَا، وهو من الكرم والجود؛ كما قيل.

إذا وعـــد الســـرّاءَ أَنجـــز وعـــدَه ***** وإنْ وَعَـــدَ الضـــرّاءَ فـــالعَفْوُ مانعُـــهْ

والمعتزلة يقولون بوجوب تحقق الوعد والوعيد على الله تعالى؛ رَوَى الأصمعي مُنَاظَرَةً دَارَتْ بَيْنَ أَبِي عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ، وَعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ الْمُعْتَزِلِي، فَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنُ الْعَلَاءِ لِعَمْرِو بْنِ عُبَيْدٍ: مَا تَقُولُ فِي أَصْحَابِ الْكَبَائِرِ؟ قَالَ: أَقُولُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَ وَعْدًا، وَأَوْعَدَ إِيعَادًا، فَهُوَ مُنْجِزٌ إِيعَادَهُ، كَمَا هُوَ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ، فَقَالَ أَبُو عَمْرِو بْنِ الْعَلَاءِ: إِنَّكَ رَجُلٌ أَعْجَمُ، لَا أَقُولُ أَعْجَمُ اللِّسَانِ وَلَكِنْ أَعْجَمُ الْقَلْبِ، إِنَّ الْعَرَبَ تَعُدُّ الرُّجُوعَ عَنِ الْوَعْدِ لُؤْمًا وَعَنِ الْإِيعَادِ كَرَمًا وَأَنْشَدَ:

وَإِنِّي وَإِنْ أَوْعَدْتُـــــهُ أَوْ وَعَدْتُـــــهُ ***** لَمُكْـــذِبُ إِيعَـــادِي وَمُنْجِـــزُ مَوْعِـــدِي

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٠

لما توهم الكفار أن أموالهم وأولادهم يمكن أن تدفع عنهم عذاب الله تعالى؛ كما حكى اللهُ تَعَالَى عنهم: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.[١]

دفع الله تعالى هذا التوهم بقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ﴾.

كما أبطل زَعْمَهُم أَنَّ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ ستُقَرِّبُهُمْ عِنْدَ اللهِ تَعَالَى؛ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلا أَوْلادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى إِلا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾.[٢]

وذلك لما كانوا يعتقدونه من أن أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ دليلُ محبةِ الله تعالى لهم، وهذا من جهلهم بالله تعالى؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ﴾.[٣]

وَخَصَّ اللهُ تَعَالَى الْأَوْلَادَ بالذكرِ؛ لِأَنَّهُمْ كانوا يتفاخرون ويتعززون بهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالا وَأَوْلادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.[٤]

وقوله: ﴿مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾، أَيْ: لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهِ شَيْئًا مِنَ الْإِغْنَاءِ، ﴿شَيْئًا﴾، نكرة في سياق النفي لتعم أي نَفعٍ أو إِغْنَاءٍ يظنه هؤلاء مهما صَغُرَ أو قَلَّ، وفي الكلامِ حَذفٌ تقديره: لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْئًا، وَحَذَفَ الْمُضَافَ لِدَلَالَةِ الْكَلَامِ.

---

١ - سُورَةُ سَبَأٍ: الآية/ ٣٥

٢ - سُورَةُ سَبَأٍ: الآية/ ٣٧

٣ - سُورَةُ المؤمنون: الآية/ ٥٥، ٥٦

٤ - سُورَةُ سَبَأٍ: الآية/ ٣٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وقوله: ﴿وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ﴾.

الْوَقُودُ: اسْمٌ لما تُسَعَّرُ بِهِ النَّارُ كالْحَطَبِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾.[2]

١ - سُورَةُ التَّحْرِيمِ: الآية/ ٦

٢ - سُورَةُ الْأَنْبِيَاءِ: الآية/ ٩٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٢

الدَّأْبُ يَدُلُّ عَلَى مُلَازَمَةٍ وَدَوَامٍ؛ ومنه قَوْلُ اللَّهِ تَعَالَى: ﴿تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾. [يُوسُفَ: ٤٧]، أَيْ بِجِدٍّ وَاجْتِهَادٍ وَدَوَامٍ.

ويطلقُ الدَّأْبُ ويرادُ به: الشَّأْنُ وَالْحَالُ وَالْأَمْرُ وَالْعَادَةُ التي يداوم عليها صَاحبُها، وهو أَخَصُّ مِنَ الْعَادَةِ؛ يُقَالُ: هَذَا دَأْبُ فلانٍ أي عَادَتُهُ التي يداوم عليها، وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ:

كَـدَأْبِكَ مِـنْ أُمِّ الْحُـوَيْرِثِ قَبْلَهَـا ***** وَجَارَتِهَـا أَمِّ الـرَّبَابِ بِمَأْسَـلِ

أي: كَشَأْنِكَ وعَادَتِكَ.

والمعنى: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَسيَجْعَلُهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَقُودَ النَّارِ كَعَادَتِهِ وَصُنْعِهِ فِي آلِ فِرْعَوْنَ، فَإِنَّهُمْ لَمَّا كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ أَخَذَهُمْ بِذُنُوبِهِمْ، وَجَعَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى وَقُودًا للنَّارِ.

﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾.

المرادُ بِآلِ فِرْعَوْنَ: فِرْعَوْنُ وَآلِهِ؛ لِأَنَّ لفظ: (الْآلَ) يُطْلَقُ عَلَى أَشَدِّ النَّاسِ اخْتِصَاصًا بِالْمُضَافِ إِلَيْهِ، وهو دليلٌ على مُتَابَعَتِهِم لَهُ عَلَى الْكُفْرِ.

﴿كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا﴾.

أَيْ: كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْمَتْلُوَّةِ التي أَنْزَلْنَاهَا عَلَى رُسُلِنَا، وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الكَونِيَةِ الدَّالَةِ عَلَى وَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾.

أَيْ: فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ فَأَهْلَكَهُمْ اللَّهُ تَعَالَى، ولا يَنْتَظِرُ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ بِآيَاتِنَا الْمَتْلُوَّةِ التي أَنْزَلْنَاهَا عَلَى رَسُولِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ النِّقْمَةِ وَالْعَذَابِ إِلَّا مِثْلَ مَا أصَابَ الذين خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ لِرُسُلِهِمْ.

﴿وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾.

أَيْ: شَدِيدُ الْعَذَابِ، أَلِيمُ الأَخْذِ، مَنْ أَخَذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.[1]

١ - سُورَةُ هُودٍ: الآية/ ١٠٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٢

سَبَبُ نُزُولِ الآيةِ:

سَبَبُ نُزُولِ الآيةِ مَا رَوَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا أَصَابَ قُرَيْشًا بِبَدْرٍ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ، جَمَعَ الْيَهُودَ بِسُوقِ بَنِي قَيْنُقَاعَ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ، احْذَرُوا مِنْ اللَّهِ مِثْلَ مَا نَزَلَ بِقُرَيْشٍ مِنْ النِّقْمَةِ، وَأَسْلِمُوا، فَإِنَّكُمْ قَدْ عَرَفْتُمْ أَنِّي نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، تَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ وَعَهْدِ اللَّهِ إِلَيْكُمْ، قَالُوا: يَا مُحَمَّدُ، إِنَّكَ تَرَى أَنَّا قَوْمُكَ! لَا يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ لَقِيتُ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً، إِنَّا وَاَللَّهِ لَئِنْ حَارَبْنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسَ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا فِيهِمْ: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا...﴾.[1]

وَالظَّاهِرُ أَنَّ لَفظَ: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، يَعُمُّ الْفَرِيقَيْنِ الْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودَ، فإِنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ.

قَرَأَ حَمْزَةُ، وَالْكِسَائِيُّ وخَلَفٌ: ﴿سَيُغْلَبُونَ﴾، ﴿وَيُحْشَرُونَ﴾، بِالْيَاءِ عَلَى الْغَيْبَةِ وقَرَأَ البَاقُونَ: بِالتَّاءِ، عَلَى الخِطَابِ، ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾، ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾، وَجْهُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِالْيَاءِ: بلّغهم بأنهم سَيَغْلَبُونَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ....﴾.[2]

وَوَجْهُ قِرَاءَةِ مَنْ قَرَأَ بِالتَّاءِ: قُلْ لهم يَا مُحَمَّدُ مخاطبًا لهم: سَتُغْلَبُونَ.

والمعنى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُشْرِكِينَ وَالْيَهُودَ: ﴿سَتُغْلَبُونَ﴾، فِي الدُّنْيَا، ﴿وَتُحْشَرُونَ﴾، يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.

---

١ - سيرة ابن اسحاق (ص: ٣١٤)

٢ - سُورَةُ الجاثية: الآية/ ١٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الْمِهَادُ: الْوِطَاءُ مِنْ كُلِ شَيْءٍ، يقال: مَهَّدْتُ الْأَمْرَ: أي: وَطَّأْتُهُ، أَيْ: بِئْسَمَا مَهَّدُوا لِأَنْفُسِهِمْ فِي جَهَنَّمَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٣

الْخِطَابُ فِي قَوْلِهِ: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ....﴾، يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خِطَابًا لِلَّذِينِ كَفَرُوا، الذين تقدم ذكرهم في قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾، زجرًا لهم عن الكفر، وَأَنَّ النَّصْرَ كَانَ بِتَأْيِيدِ اللَّهِ تعالى؛ فقد هزمهم الله تعالى على كَثْرَةِ عَدَدِهم، وَكَثْرَةِ سِلَاحِهِمْ وَخَيْلِهِمْ، وَتَأَهُّبِهم لِلْحَرْبِ، وَقِلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ، وَقِلَّةِ سِلَاحِهِمْ وَخَيْلِهِمْ، وَعدمِ تَأَهُّبِهم لِلْحَرْبِ.

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ المرادُ بِالَّذِينَ كَفَرُوا الْيَهُودُ خَاصَّةً، تهديدًا وردعًا لهم عن تمردهم؛ لقولهم لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (لَا يَغُرَّنَّكَ أَنَّكَ لَقِيتُ قَوْمًا لَا عِلْمَ لَهُمْ بِالْحَرْبِ، فَأَصَبْتَ مِنْهُمْ فُرْصَةً، إِنَّا وَاللَّهِ لَئِنْ حَارَبْنَاكَ لَتَعْلَمَنَّ أَنَّا نَحْنُ النَّاسَ).

وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خِطَابًا لِلْمُؤْمِنِينَ، تذكيرًا لهم بنعمة الله تعالى عليهم؛ فقد نصرهم الله تعالى على ضعفهم، وفاقتهم، وَقِلَّةِ عَدَدِهم، وعدتهم، وَتَثْبِيتًا وَتَشْجِيعًا لهم.

﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا﴾، أي: مُعْجِزَةٌ بَاهِرَةٌ، ودليلٌ قاطعٌ، والمرادُ بها وَاقِعَةُ بَدْرٍ.

إِنَّمَا ذُكِّرَ لفظ (كَانَ) ، وَلَمْ يَقُلْ: (كَانَتْ)؛ لِأَنَّ (آيَة) تَأْنِيثٌ مجازي، ولأنه فَصَلَ بينهما فاصلٌ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿لَكُمْ﴾.

والْمُرَادُ بِالْفِئَتَيْنِ: رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ يَوْمَ بَدْرٍ، والْمُشْرِكِينَ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ ثلاثمائة وَأربعَةَ عَشَرَ رَجُلًا، وَمعهم مِنَ الْخَيْلِ فَرَسَانِ، وكَانَ المشركون تِسْعَمِائَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلًا، وَمعهم مِنَ الْخَيْلِ مِائَةَ فَرَسٍ، وَلَا شَكَّ أَنَّ فِي انتصارِ الْمُسْلِمِينَ على هَذِهِ الصِّفَةِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ آيَةً بَيِّنَةً وَمُعْجِزَةً بَاهِرَةً.

وَالِالْتِقَاءُ: افْتِعَالٌ منَ اللِّقَاءِ، وَاللِّقَاءُ مقابلةُ شخصٍ لآخرَ فِي مَكَانٍ وَاحِدٍ، والمرادُ بِهِ الْبُرُوزُ لِلْقِتَالِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾، هُمُ الْمُسْلِمُونَ، قَاتَلُوا لِنُصْرَةِ دِينِ اللَّهِ، قَالَ عبد الله ابْنُ مَسْعُودٍ: هَذَا يَوْمُ بَدْرٍ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ﴾، الْمُرَادُ بِهَا كُفَّارُ قُرَيْشٍ، وَالْفِئَةُ: الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾.

استشكل بعض المفسرين قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ﴾، مع قَوْلِهِ تَعَالَى فِي قِصَّةِ بَدْرٍ فِي سُورَةِ الْأَنْفَالِ: ﴿وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا﴾. سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٤٤

والراجح أَنَّهُ كَانَ فِي حَالَيْنِ مُخْتَلِفَيْنِ، كَانَ هَذَا فِي حَالٍ، وَالْآخَرُ كَانَ فِي حَالٍ أُخْرَى، قُلِّلُوا فِي أَعْيُنِهِمْ فِي أَوَّلِ الْأَمْرِ حَتَّى اجْتَرَءُوا عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا تَلَاقَوْا كَثَّرَهُمُ اللَّهُ فِي أَعْيُنِهِمْ؛ كَمَا قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: وَقَدْ نَظَرْنَا إِلَى الْمُشْرِكِينَ فَرَأَيْنَاهُمْ يُضْعَفون عَلَيْنَا، ثُمَّ نَظَرْنَا إِلَيْهِمْ فَمَا رَأَيْنَاهُمْ يَزِيدُونَ عَلَيْنَا رَجُلًا وَاحِدًا.

قال ابن كثير: رَأَى الْمُسْلِمُونَ الْمُشْرِكِينَ مِثْلَيْهِمْ، أَيْ: أَكْثَرَ مِنْهُمْ بِالضِّعْفِ، لِيَتَوَكَّلُوا وَيَتَوَجَّهُوا وَيَطْلُبُوا الْإِعَانَةَ مِنْ رَبِّهِمْ، عَزَّ وَجَلَّ، وَرَأَى الْمُشْرِكُونَ الْمُؤْمِنِينَ كَذَلِكَ لِيَحْصُلَ لَهُمُ الرُّعْبُ وَالْخَوْفُ وَالْجَزَعُ وَالْهَلَعُ، ثُمَّ لَمَّا حَصَلَ التَّصَافُّ وَالْتَقَى الْفَرِيقَانِ قَلَّلَ اللَّهُ هَؤُلَاءِ فِي أَعْيُنِ هَؤُلَاءِ، وَهَؤُلَاءِ فِي أَعْيُنِ هَؤُلَاءِ، لِيُقْدِمَ كُلٌّ مِنْهُمَا عَلَى الْآخَرِ.[1]

الرُّؤْيَةُ هنا بَصَرِيَّةٌ؛ لقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿رَأْيَ الْعَيْنِ﴾.

قَرَأَ نَافِعٌ وَيَعْقُوبُ: ﴿تَرَوْنَهُمْ﴾، بِتَاءِ الْخِطَابِ، فيَكُونَ الْخِطَابُ لِلْمُسْلِمِينَ، وَالْهَاءُ وَالْمِيمُ لِلْمُشْرِكِينَ، وَ قَرَأَ الْبَاقُونَ ﴿يَرَوْنَهُمْ﴾ بِالْيَاءِ، فيَكُونَ إخبارًا عَنِ الْمُشْرِكِينَ.

١ - تفسير ابن كثير (٢/ ١٨)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾.

التَّأْيِيدُ: التَّقْوِيَةُ، مِنَ الْأَيْدِ، أَيْ: وَاللَّهُ يُقَوِّي مَنْ يَشَاءُ أَنْ يُقَوِّيَهُ؛ كمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاذْكُرْ عَبْدَنا داوُدَ ذَا الْأَيْدِ﴾.[1]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً﴾.

الْعِبْرَةُ: مُشْتَقَّةٌ مِنَ الْعَبْرِ، وَهُوَ الِانْتِقَالُ مِنْ ضَفَّةِ نَهْرٍ إِلَى الضَّفَّةِ الْأُخْرَى، والمرادُ انْتِقَالُ الذِّهْنِ مِنْ مَعْرِفَةِ الْحَالَةِ إِلَى مَعْرِفَةِ عَاقِبَتِهَا، وَمِنْ مَنْزِلَةِ الْجَهْلِ إِلَى مَنْزِلَةِ الْعِلْمِ.

وَالْمُرَادُ بِالْعِبْرَةِ هُنَا الْمَوْعِظَةُ.

﴿لِأُولِي الْأَبْصَارِ﴾. أَيْ: لِأَصحاب الْعُقُولِ؛ يُقَالُ: لِفُلَانٍ بَصَرٌ بِهَذَا الْأَمْرِ، أَيْ عِلْمٌ وَمَعْرِفَةٌ.

الأساليب البلاغية:

وفي الآية من الأساليب البلاغية الاحتباك؛ فقد ذكر تعالى فِئَةً مُؤْمِنَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَفِئَةً أُخْرَى كَافِرَةً تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، فَحَذَفَ مِنَ الْأُولَى ما أثبتت مُقَابِلَهُ فِي الثَّانِيَةِ، وَمِنَ الثَّانِيَةِ مَا أَثْبَتَ نَظِيرَهُ فِي الْأُولَى، فَذَكَرَ فِي الْأُولَى لَازِمَ الْإِيمَانِ، وَهُوَ الْقِتَالُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَذَكَرَ فِي الثَّانِيَةِ مَلْزُومَ الْقِتَالِ فِي سَبِيلِ الشَّيْطَانِ، وَهُوَ الْكُفْرُ.[2]

والالتفاتُ مِنَ الخِطَابِ إلى الغَيْبَةِ فِي قَرَاءةِ نَافِعٍ وَيَعْقُوبَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُخْرَى كَافِرَةٌ تَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ﴾.

---

١ - سورة ص: الآية/ ١٧

٢ - انظر البحر المحيط في التفسير (٣/ ٤٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٤

صلة الآية بما قبلها:

لما ذكر اللهُ تَعَالَى اغترارَ الكفار بأَمْوَالِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ في قوله تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا....﴾، حذَّرَ سبحانه المؤمنين أن يَغْتَرُّوا بزِينَةِ الدُّنْيَا، وَيَرْكَنُوا إِلَيهَا كمَا اغْتَرَّ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَتُلْهِيَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ كما أَلْهَتْهُم.

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ﴾.

التَّزْيِينُ: تَحْسِينُ الشَّيْءِ، وتجميله؛ ومنه قولُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ».[1]

واختلف العلماء في مَنِ الَّذِي زَيَّنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ، فقيل: هُوَ اللَّهُ تَعَالَى؛ لأنهُ خَالِقُ جَمِيعِ الْأَفْعَالِ؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الأَرْضِ زِينَةً لَهَا....﴾.[2]

ويدلُّ عليه قِرَاءَةُ مُجَاهِدٍ (زَيَّنَ لِلنَّاسِ) عَلَى تَسْمِيَةِ الْفَاعِلِ.

وَقِيلَ: الَّذِي زَيَّنَ لِلنَّاسِ حُبَّ الشَّهَوَاتِ هوَ الشَّيْطَانُ، قَالَهُ الْحَسَنُ، وَكَانَ يَحْلِفُ عَلَى ذَلِكَ.

وَقِيلَ: مَا كَانَ وَاجِبًا أَوْ مَنْدُوبًا أو مباحًا، كَانَ التَّزْيِينُ فِيهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا كَانَ حَرَامًا كَانَ التَّزْيِينُ فِيهِ مِنَ الشَّيْطَانِ، وهو الراجح؛ لِأَنَّ الشَّهَوَاتِ قَدْ تكونُ طَاعَةً، كما قالَ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ».[3]

---

١ – رواه مسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ فَضْلِ الرِّفْقِ، حديث رقم: ٢٥٩٤

٢ – سُورَةُ السَّجْدَةِ: الْآيَةُ/ ٧

٣ – رواه مسلم– كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ بَيَانِ أَنَّ اسْمَ الصَّدَقَةِ يَقَعُ عَلَى كُلِّ نَوْعٍ مِنَ الْمَعْرُوفِ، حديث رقم: ١٠٠٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالشَّهَوَاتُ جَمْعُ شَهْوَةٍ وهي: مَا تَدْعُوَ إِلَيْهِ النَّفْسُ، وذكرتْ مَجْمُوعَةً؛ لأنها كثيرة.

﴿مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾.

بَدَأَ بالنِّسَاءِ لأنَّ الْمَيْلَ إِلَيهن مَرْكُوزٌ فِي الطِّبَاعِ، لِحِكْمَةِ بَقَاءِ النَّوْعِ، والتلذذ بهن أكثر، والفتنة بهن أشد؛ فعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ».[1]

ثُمَّ ثَنَّى بالْبَنِينَ؛ لأَنَّهُم ثَمَرَاتُ القُلُوبِ، وَقُرَّةُ الأَعْيُنِ؛ فعَنْ يَعْلَى الْعَامِرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْوَلَدَ مَبْخَلَةٌ مَجْبَنَةٌ».[2]

﴿وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ﴾.

ثم ذكر الله تعالى الْقَنَاطِيرَ الْمُقَنْطَرَةَ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، وهي الأموال الكثيرة الجزيلة؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: الْقِنْطَارُ مِلْءُ مَسْك الثَّوْرِ ذَهَبًا.

ويضربُ المثلُ بالْقِنْطَارِ عَلَى كثرةِ المالِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَكَانَ زَوْجٍ وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنْطَارًا فَلا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾.[4]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ النِّكَاحِ، بَابُ مَا يُتَّقَى مِنْ شُؤْمِ المَرْأَةِ، حديث رقم: ٥٠٩٦، ومسلم– كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ الْفُقَرَاءُ وَأَكْثَرُ أَهْلِ النَّارِ النِّسَاءُ وَبَيَانِ الْفِتْنَةِ بِالنِّسَاءِ، حديث رقم: ٢٧٤١

٢ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٧٥٦٢، وابن ماجه– كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ بِرِّ الْوَالِدِ، وَالْإِحْسَانِ إِلَى الْبَنَاتِ، حديث رقم: ٣٦٦٦، بسند صحيح

٣ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الآية/ ٧٦

٤ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ٢٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد جُبِلَ الناسُ على حُبِّ الْمَالِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾.[2]

وَالْقَنَاطِيرُ الْمُقَنْطَرَةُ مثلُ الأُلُوفِ الْمُؤَلَّفَةِ، قيل: الْمَضْرُوبَةُ وَقِيلَ: الْمُكَمَّلَةُ، وإنما كان المال محبوبًا لأنه سبب تحقيق الرغبات، وتحصيل غالب الشهوات، وهو ليس مَذْمُومًا على الإطلاق، فإن كان سببًا لصِلَةِ الْأَرْحَامِ، والنَّفَقَةِ على ذوي الْقَرَابَاتِ، فَهُوَ مَمْدُوحٌ شَرْعًا، مُثَابٌ عليهِ، وإن كَانَ لِلْفَخْرِ وَالْخُيَلَاءِ وَالتَّكَبُّرِ عَلَى الْفُقَرَاءِ، وتحصيلِ الشهواتِ المحرمةِ، فَهُوَ مَذْمُومٌ شَرْعًا مُعَاقَبٌ عليهِ.

﴿وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: الرَّاعِيَةُ، وَعَنْهُ: الْمُعَلَّمَةَ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْمُطْهَمَةُ الْحِسَانُ، وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ: الْمُعَدَّةُ لِلْجِهَادِ، قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ: أَوْلَى هَذِهِ الْأَقْوَالِ بِالصَّوَابِ: الْمُعَلَّمَةُ بِالشِّيَاتِ الْحِسَانُ الرَّائِعَةُ حُسْنًا.

وَحُبُّ الْخَيْلِ تَارَةً يَكُونُ مَمْدُوحًا، وَتَارَةً يَكُونُ مَذْمُومًا؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "الخَيْلُ لِرَجُلٍ أَجْرٌ، وَلِرَجُلٍ سِتْرٌ، وَعَلَى رَجُلٍ وِزْرٌ، فَأَمَّا الَّذِي لَهُ أَجْرٌ: فَرَجُلٌ رَبَطَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَأَطَالَ بِهَا فِي مَرْجٍ أَوْ رَوْضَةٍ، فَمَا أَصَابَتْ فِي طِيَلِهَا ذَلِكَ مِنَ المَرْجِ أَوِ الرَّوْضَةِ كَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٍ، وَلَوْ أَنَّهُ انْقَطَعَ طِيَلُهَا، فَاسْتَنَّتْ شَرَفًا أَوْ شَرَفَيْنِ كَانَتْ آثَارُهَا، وَأَرْوَاثُهَا حَسَنَاتٍ لَهُ، وَلَوْ أَنَّهَا مَرَّتْ بِنَهَرٍ، فَشَرِبَتْ مِنْهُ وَلَمْ يُرِدْ أَنْ يَسْقِيَ كَانَ ذَلِكَ حَسَنَاتٍ لَهُ، فَهِيَ لِذَلِكَ أَجْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا تَغَنِّيًا وَتَعَفُّفًا ثُمَّ لَمْ يَنْسَ حَقَّ اللَّهِ فِي رِقَابِهَا وَلاَ ظُهُورِهَا، فَهِيَ لِذَلِكَ سِتْرٌ، وَرَجُلٌ رَبَطَهَا فَخْرًا وَرِيَاءً وَنِوَاءً لِأَهْلِ الإِسْلاَمِ، فَهِيَ عَلَى ذَلِكَ وِزْرٌ".[3]

---

١ – سُورَةُ الفَجْرِ: الآية/ ٢٠

٢ – سُورَةُ الْعَادِيَاتِ: الآية/ ٨

٣ – رواه البخاري– كِتَاب الْمُسَاقَاةِ، بَابُ شُرْبِ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ مِنَ الأَنْهَارِ، حديث رقم: ٢٣٧١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾.

الْأَنْعَامُ: جَمْعُ نَعَمٍ، وَهِيَ: الْإِبِلُ وَالْبَقَرُ وَالْغَنَمُ، وإِذَا قِيلَ: النَّعَمُ فَهِي الْإِبِلُ خَاصَّةً.

وَالْحَرْث: كلُ ما يُحْرَثُ ويُزْرَعُ مِنْ أَصْنَافِ النَّبَاتِ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ * أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ * لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾.[1]

﴿ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾.

ذَلِكَ: إشارةٌ إِلَى جَمِيعِ مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ، مِنَ الْأَنْوَاعِ السِّتَّةِ.

﴿مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾، الْمَتَاعُ: مَا يُتَمَتَّعُ بِهِ ثُمَّ يَذْهَبُ وَلَا يَبْقَى، وذَكَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا: لِلْإِشَارَةِ إِلَى فَنَائِهَا وَفَنَاءِ مَا يُسْتَمْتَعُ بِهِ فيها، للتَزْهِيدِ فِيها، وَتَرْغِيبِ المؤمنينَ في الآخرةِ.

﴿وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾.

الْمَآبُ: الْمَرْجِعُ، وَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى نَعِيمِ الْآخِرَةِ الَّذِي لَا يَفْنَى وَلَا يَنْقَطِعُ، فَلَا يَنْبَغِي لطالبِ الآخرةِ أَنْ يَجْعَلَ كُلَّ هَمِّهِ ذَلكَ الْمَتَاعَ الْعَاجِلَ، ويَنشْغَلُ بِهِ عَمَّا أعده الله له من النعيم المقيم في الآخرةِ.

---

١ - سُورَةُ الْوَاقِعَةِ: الآية/ ٦٣- ٦٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٥

لما ذكر الله تعالى لذات الدُّنْيَا وشهواتها، قلل من شأنها وسلى المؤمنين عَنْ زَخَارِفِها فقالَ جَلَّ ثناؤُهُ للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ...﴾، يعني : قُلْ يَا مُحَمَّدُ، لِلنَّاسِ الَّذِينَ زُيِّنَ لَهُمْ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ..... أَأُخْبِرُكُمْ بِخَيْرٍ لَكُمْ مِمَّا زُيِّنَ لَكُمْ؟

وَالنَّبَأُ هو الخبرُ لَهُ وَقْعٌ فِي النُّفُوسِ، وَشَأْنٌ عَظِيمٌ، وإنما قال: ﴿أَؤُنَبِّئُكُمْ﴾ وما قال: أَأُخْبِرُكُمْ، أو أَأُعْلِمُكُمْ لجذب الانتباه، لتَشْوِيقِ النُّفُوسِ.

﴿لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

يخبر تعالى عما أعده للمتقين في الآخرة، من الجَنَّاتِ التي تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ، والنعيم المقيم، الذي لا يزول عنهم ولا ينقطع، وظاهر الآية أن للمؤمن جَنَّاتٍ فِي الجَنَّةِ؛ كما أخبر النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّ أُمَّ الرُّبَيِّعِ بِنْتَ البَرَاءِ وَهِيَ أُمُّ حَارِثَةَ بْنِ سُرَاقَةَ أَتَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَتْ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، أَلاَ تُحَدِّثُنِي عَنْ حَارِثَةَ، وَكَانَ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ أَصَابَهُ سَهْمٌ غَرْبٌ، فَإِنْ كَانَ فِي الجَنَّةِ صَبَرْتُ، وَإِنْ كَانَ غَيْرَ ذَلِكَ، اجْتَهَدْتُ عَلَيْهِ فِي البُكَاءِ، قَالَ: «يَا أُمَّ حَارِثَةَ إِنَّهَا جِنَانٌ فِي الجَنَّةِ، وَإِنَّ ابْنَكِ أَصَابَ الفِرْدَوْسَ الأَعْلَى».[1]

وهم مع ما هم فيه من النعيم مخلدون، ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلا الْمَوْتَةَ الأولَى﴾.[2]

﴿وَأَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ﴾

مُطَهَّرَةٌ: مُنَزَّهَةٌ مِمَّا يَعْتَرِي النِساءَ فِي الدُّنْيَا مِمَّا تَشْمَئِزُّ مِنْهُ النُّفُوسُ، مِنَ الدَّنَس، وَالْأَذَى، وَالْحَيْضِ، وَالنِّفَاسِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ.

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الجِهَادِ وَالسِّيَرِ، بَابُ مَنْ أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ فَقَتَلَهُ، حديث رقم: ٢٨٠٩

٢ – سورة الدُّخَانِ: الآية/ ٥٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قوله تعالى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾.

أَيْ: يَحِلُّ عَلَيْهِمْ رِضْوَانُهُ، فَلَا يَسْخَط عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ أَبَدًا؛ فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ لِأَهْلِ الجَنَّةِ: يَا أَهْلَ الجَنَّةِ؟ فَيَقُولُونَ: لَبَّيْكَ رَبَّنَا وَسَعْدَيْكَ، فَيَقُولُ: هَلْ رَضِيتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: وَمَا لَنَا لاَ نَرْضَى وَقَدْ أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، فَيَقُولُ: أَنَا أُعْطِيكُمْ أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ، قَالُوا: يَا رَبِّ، وَأَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: أُحِلُّ عَلَيْكُمْ رِضْوَانِي، فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا".[1]

وَكما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾.[2]

أَيْ: أَكْبَرُ مِمَّا أَعْطَاهُمْ مِنَ الجَنَّةِ والنعيمِ المقيمِ، وذلك لأن رِضْوَانَ اللَّهِ صفةٌ من صفاته، الجَنَّةُ من مخلوقاته.

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

أَيْ عَلِيمٌ بِأَعْمَالِ الَّذِينَ اتَّقَوْا، مُطَّلِعٌ عَلَيْهَا، وَعلى مَرَاتِبِ تَقْوَاهُمْ وسَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآية:

الإظهار في موضع الإضمار في قوله: ﴿وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ﴾، ولم يقل: (وَرِضْوَانٌ مِنْهُ): لِمَا فِي اسْمِ الْجَلَالَةِ مِنَ الْإِيمَاءِ إِلَى عَظَمَةِ ذَلِكَ الرِّضْوَانِ.

التضمين في قوله: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. فقد عُدِّيَ بِالْبَاءِ، لِتَضَمُّنِ بَصِيرٌ مَعْنَى عَلِيمٍ.

قوله: ﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾، جملة معترضة لتطمين قلوب المتقين بأن الله لا يخلف وعده، وأن سيجازيهم على طاعتهم، وتقواهم.

---

١ – رواه البخاري–كِتَابُ التَّوْحِيدِ، بَابُ كَلاَمِ الرَّبِّ مَعَ أَهْلِ الجَنَّةِ، حديث رقم: ٧٥١٨، ومسلم–كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا، بَابُ إِحْلَالِ الرِّضْوَانِ عَلَى أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلَا يَسْخَطُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، حديث رقم: ٢٨٢٩

٢ – سورة التَّوْبَةِ: الآية/ ٧٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٦

لما ذكر الله تعالى ما أعده للمتقين من النعيم في جنات الخلد، بين سبحانه وتعالى دعاءهم، وشيئًا من صفاتهم في معرض الثناء عليهم.

ومن ذلك توسلهم بإيمانهم بالله تعالى، وإنما ذكروا الإيمان لأَنَّهُ رَأْسُ التَّقْوَى، وأَجَلُّ الطاعاتِ،

وهو يشمل أركان الإيمان الستة، وهي الإيمانُ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ والقدر خيره وشره؛ لأنه لا يتحقق إلا بها مجتمعة.

﴿فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا﴾.

التي بدرت منا حال غفلتنا، والتي وقعنا فيها بجهلنا، اغفرها لنا بِإِيمَانِنَا بك وَبِمَا شَرَعْتَهُ لَنَا.

﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.

أي: اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ النَّارِ برحمتك.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٧

﴿الصَّابِرِينَ﴾، عَلَى الطَّاعَاتِ، وَعَنِ الْمَعَاصِي وَالشَّهَوَاتِ، وَعَلَى الْمَصَائِبِ.

﴿وَالصَّادِقِينَ﴾، فِي إِيمَانِهِمْ وأَقْوَالِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ وَأَحْوَالِهِمْ.

﴿وَالْقَانِتِينَ﴾، الطَّائِعِينَ الخَاشِعِينَ.

﴿وَالْمُنْفِقِينَ﴾، أَمْوَالَهُمْ فِي وُجُوهِ الطَّاعَاتِ، من صِلَةِ الأَرْحَامِ، وَمُوَاسَاةِ الْمُحْتَاجِينَ.

﴿وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾، الْأَسْحَارُ جمعُ سَحَرٍ وهو آخِرُ اللَّيْلِ إِلَى أَنْ يَطْلُعَ الْفَجْرُ الثَّانِي، وَخَصَّ السَّحَرَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهُ وقتُ نُزولِ الربِّ تباركَ وتَعَالَى، ومَظِنَّةُ الإِجَابَةِ وَالْقَبُولِ؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ ".[١]

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قِيلَ يَا رَسُولَ اللَّهِ: أَيُّ الدُّعَاءِ أَسْمَعُ؟ قَالَ: «جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ، وَدُبُرَ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَاتِ».[٢]

وَفيه دليل عَلَى فَضِيلَةِ الِاسْتِغْفَارِ وَقْتَ السَّحَرِ؛ وَعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّهُ كَانَ يُحْيِي اللَّيْلَ صَلَاةً»، ثُمَّ يَقُولُ: «يَا نَافِعُ أَسْحَرْنَا؟» فَيَقُولُ: لَا، «فَيُعَاوِدُ الصَّلَاةَ»، ثُمَّ يَقُولُ: «يَا نَافِعُ أَسْحَرْنَا؟» فَأَقُولُ: نَعَمْ «فَيَقْعُدُ فَيَسْتَغْفِرُ وَيَدْعُو حَتَّى يُصْبِحَ».[٣]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ التَّهَجُّدِ، بَابُ الدُّعَاءِ فِي الصَّلَاةِ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ، حيث رقم: ١١٤٥، ومسلم– كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ التَّرْغِيبِ فِي الدُّعَاءِ وَالذِّكْرِ فِي آخِرِ اللَّيْلِ، وَالْإِجَابَةِ فِيهِ، حيث رقم: ٧٥٨

٢ – رواه الترمذي– أَبْوَابُ الدَّعَوَاتِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ، حيث رقم: ٣٤٩٩، بسند حسن

٣ – رَوَاهُ الطبرانيُّ فِي الكَبِيرِ– حيث رقم: ١٣٠٤٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَعَنْ إِبْرَاهِيمَ بْنِ حَاطِبٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَمِعْتُ رَجُلًا، فِي السَّحَرِ فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَقُولُ: «رَبِّ أَمَرْتَنِي فَأَطَعْتُكَ، وَهَذَا سَحَرُ فَاغْفِرْ لِي» فَنَظَرْتُ فَإِذَا ابْنُ مَسْعُودٍ.[1]

وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَغَيْرُهُ: فِي قَولِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَنِيهِ: ﴿سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي﴾ [يُوسُفَ:٩٨] أَخَّرَهُمْ إِلَى وَقْتِ السَّحَرِ.

وَعَنْ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ بُسْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتِغْفَارًا كَثِيرًا».[2]

والمرادُ بالِاسْتِغْفَارِ الاسْتِغْفَارُ بِاللِّسَانِ مَعَ حُضُورِ الْقَلْبِ.

١ – رواه ابن جرير في تفسيره (٥/ ٢٧٤)

٢ – رواه ابن ماجه– كِتَابُ الْأَدَبِ، بَابُ الِاسْتِغْفَارِ، حيث رقم: ٣٨١٨، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٨

الشَهَادَةُ: هي الْإِخْبَارُ الْمَقْرُونُ بِالْعِلْمِ؛ قال ابن فارس: الشِّينُ وَالْهَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَى حُضُورٍ وَعِلْمٍ وَإِعْلَامٍ.

والشاهِدُ: الْعَالِمُ الَّذِي يُخْبِرُ بِمَا عَلِمَهُ، يُقَالُ: شَهِدَ فُلَانٌ: إِذَا بَيَّنَ وَأَعْلَمَ.

بَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى وَأَعْلَمَ بشهادته، وَهُوَ أَصْدَقُ الشَّاهِدِينَ وَأَعْدَلُهُمْ، ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، أي: لا معبود بحق سواه، ولا متفرد بِالْإُلُوهِيَّةِ لِجَمِيعِ الْخَلَائِقِ غيرهُ، والكلُ عَبِيدُهُ وَتحت قهره وسلطانه، وهي أَعْظَمُ شَهَادَةٍ مِنْ أَعْظَمِ شاهدٍ سبحانه وتعالى.

ومعنى شهادة الله تعالى إِقَامَةُ الْأَدِلَّةِ الْعَقْلِيَّةِ والسَّمعِيةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ.

ثم قَرَنَ شَهَادَةَ الملَائِكَةِ وَأُولِي الْعِلْمِ بِشَهَادَتِهِ فقال: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾، وفيه تشريفٌ للملائكةِ، ورفعةٌ لأُولِي الْعِلْمِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.[1]

﴿قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾، أي: شَهِدَ اللَّهُ حالَ كونه قَائِمًا بِالْعدلِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ. وهُوَ تَعَالَى قَائِمٌ بِالْعدلِ فِي جَمِيعِ الْأَحْوَالِ.

﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾.

قال الراغب: تكريره هاهنا لأمرين: أحدهما: لكون الثاني قطعًا للحكم، كقولك: أشهد أن زيدًا خارج وهو خارج.

والثاني: لئلا يسبق بذكر العزيز الحكيم إلى قلب السامع تشبيه، إذ قد يوصف بهما المخلوق.[2]

١ - سورةُ الْمُجَادَلَةِ: الآية/ ١١

٢ - تفسير الراغب الأصفهاني (٢/ ٤٦٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾

الْعَزِيزُ: الَّذِي لَا يُرَامُ جَنَابُهُ ولا يُغَالَبُ، الْحَكِيمُ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ وَقَدَرِهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٩

قَرَأَ الْكِسَائِيُّ ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾، بِفَتْحِ هَمْزَةِ أَنَّ عَلَى أَنَّهُ بَدَلٌ مِنْ ﴿أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ﴾، [آل عمران: ١٨] أَيْ: شَهِدَ اللهُ وَمَلَائِكَتُهُ وَأُولُو الْعِلْمِ مِنَ الْبَشَرِ بِأَنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ.

وَقَرَأَ جُمْهُورُ الْقُرَّاءِ ﴿إِنَّ الدِّينَ﴾، بِكَسْرِ هَمْزَةِ إِنَّ على الابْتِدَاء، فيكون إِخْبَارًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُ لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَى الْإِسْلَامِ، وَكِلَاهمَا صَحِيحٌ؛ لأنهما قراءتان متواترتان.

وتقدم في تفسير سورة الفاتحة أنَّ الدِّينَ يطلق في كتاب الله ويراد به عدة معانٍ، منها الاعتقاد الصحيح، وهو الإسلام كما في هذه الآية.

ولَمْ يشرعْ الله سبحانه وتعالى دِينًا سِوَى الْإِسْلَامِ، ويَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ غيرَهُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[1]

وَسُمِّيَ الدِّينُ دِينًا لِأَنَّ مَنْ اعتنقَهُ يَنتَظِرُ الْجَزَاءَ عَليه.

وَالْإِسْلَامُ فِي اللغةِ: هو الْاستسْلَامُ وَالِانْقِيَادُ بِالتَّذَلُّلِ وَالْخُشُوعِ للهُ تَعَالَى، والمراد بالْإِسْلَامِ هنا الدِّينُ كله فيدخلُ فيه الْإِسْلَامُ والإيمانُ جميعًا.

وكان ذلك ردًّا على نصارى نَجْرَانَ لَمَّا دَخَلُوا الْمَسْجِدَ النَّبَوِيَّ وَتَكَلَّمَ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ وهما رَاهِبَانِ منهم، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ: «أَسْلِمَا» قَالَا: «قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ» قَالَ: «كَذَبْتُمَا، يَمْنَعُكُمَا مِنَ الْإِسْلَامِ دُعَاؤُكُمَا لِلَّهِ وَلَدًا، وَعِبَادَتُكُمَا الصَّلِيبَ».[2]

ثم قال تعالى: ﴿وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ﴾.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/٨٥

٢ - سيرة ابن هشام ت السقا (١/ ٥٧٥)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

ثُمَّ بينَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ العلةَ التي مِنْ أَجْلهَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ هِي بَغْيُ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ، وتَحَاسُدُهُمْ فيما بينهم وَتَبَاغُضُهِمْ، وإِنَّمَا وقع الاخْتَلَافُ بينهم بَعْدَ مَا قَامَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، بِإِرْسَالِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ.

﴿وَمَنْ يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾.

يَعْنِي وَمَنْ يَجْحَدْ حُجَجَ اللَّهِ التي أَنْزَلَها فِي كتابه، وَأَدِلَّتَهُ التي أقامها على صحة دينه التي ارتضاه للعباد، فَإِنَّهُ سَيُجَازِيهِ بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَيُحَاسِبُهُ عَلَى كفرِهِ وإعراضه؛ فَإِنَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ.

وَإِظْهَارُ لفظِ الجلالة (الله) فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾، في مَقَامِ الْإِضْمَارِ؛ لِلتَّهْوِيلِ وَالتَّهْدِيدِ لمن كَفَرَ بِآيَاتِ اللَّهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٢٠

وَالْمُحَاجَّةُ هِيَ الْمُخَاصَمَةُ والْمُجَادَلَةُ، وَأَكْثَرُ ما تُسْتَعْمَلُ في الْمُجَادَلَةِ بِالْبَاطِلِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى عنْ إِبْرَاهِيمَ وقَوْمِهِ: ﴿وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ﴾.[2]

وَالْمَعْنَى: فَإِنْ جَادَلُوكَ بِالْبَاطِلِ مُكَابَرَةً فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ، وَضَمِيرُ الْجَمْعِ فِي قَوْلِهِ: ﴿حَاجُّوكَ﴾. عَائِدٌ على نَصَارَى نَجْرَانَ فإنهم هُم الذين خَاصَمُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَمْرِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجَادَلُوا بالبَاطِلِ.

﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ﴾.

أَيْ: فَإِنْ جَادَلُوكَ بِالْبَاطِلِ مُكَابَرَةً، فَقُلْ أَخْلَصْتُ عِبَادَتِي لِلَّهِ وَحْدَهُ، لَا شَرِيكَ لَهُ، وَخَصَّ سبحانه الْوَجْهَ بالذكرِ لِأَنَّهُ أَكْرَمُ الجَوَارِحِ وأَشْرَفُهَا، فَإِذَا خَضَعَ الْوَجْهُ لِشَيْءٍ، فَقَدْ خَضَعَ لَهُ ما دُونَهُ مِنْ الجَوَارِحِ بالضرورةِ، وَمَنِ اتَّبَعَنِ عَلَى دِينِي أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ مَعِي كَذلكَ؛ وهذه الآية كقوله تَعَالَى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي....﴾.[3]

أي: أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ وَمَنِ اتَّبَعَنِي يدعوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ كذلك.

﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ﴾.

يَعْنِي: وَقُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وهُمْ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَالْأُمِّيِّينَ يعني: مُشْرِكِي الْعَرَبِ، ولقبوا: بالْأُمِّيِّينَ؛ لأنهم لَا كِتَابَ لَهُمْ، قُلْ لَهُمْ: أَأَسْلَمْتُمْ؟ وهوِ اسْتِفْهَامِ الْمُرَادُ بِهِ الْأَمْرُ؛ أي:

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَةُ/ ٢٥٨

٢ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَةُ/ ٨٠

٣ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَةُ/ ١٠٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

أَسْلِمُوا، وَأَخْلَصُوا الْعِبَادَةَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ وحده، ولا تُشْرِكُوا به شيئًا، وهذا كقوله تَعَالَى: ﴿فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾. [المائدة: ٩١] يَعْنِي انْتَهُوا.

وَفِي الْآيَةُ دليلٌ عَلَى عُمُومِ بِعْثَتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه دعا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْأُمِّيِّينَ إلى الإسلام، وما عداهم تبع لهم؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾.[1]

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نزلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾.[2]

﴿فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾.

فَإِنِ اسْتَسْلَمُوا لأَمْرِ اللهِ تَعَالَى وأَخْلَصُوا لَهَ الْعِبَادَةَ، ونَبَذُوا الشِّرْكَ، فَقَدْ أَصَابُوا الْحَقَّ، وَسَلَكُوا سَبِيلَ الرُّشْدِ.

وشرطٌ في الإسلامِ أن يكون على هدي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا كان مجرد ادعاءٍ؛ لقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾.[3]

وَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، للسَّيِّدِ وَالْعَاقِبِ: «أَسْلِمَا» قَالَا: «قَدْ أَسْلَمْنَا قَبْلَكَ»، كذبهما رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ولما ثبت عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».[4]

---

١ – سُورَةُ الْأَعْرَافِ: الْآيَةُ/ ١٥٨

٢ – سُورَةُ الْفُرْقَانِ: الْآيَةُ/ ١

٣ – سُورَةُ البقرة: الْآيَةُ/ ١٣٧

٤ – رواه مسلم– كِتَابُ الْإِيمَانَ، بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، حديث رقم: ١٥٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ﴾.

يَعْنِي: وَإِنْ أَدْبَرُوا مُعْرِضِينَ عَمَّا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْلَامِ، فَإِنَّمَا أَنْتَ رَسُولٌ عَلَيْكَ الْبَلَاغُ، وَلَيس عَلَيْكَ الْحِسَابُ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ * لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ﴾.[1]

وَكَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾.[3]

﴿وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾.

وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَنْ يَقْبَلُ هُدَى اللهِ الذي أرسلت به، وَعَلِيمٌ بِمَنْ يَتَوَلَّى عَنْهُ مُعْرِضًا، وهو بشارة لمن يقبل هدي الله فيسلم وجهه لله، وتهديد ووعيد للمعرضين عن دين الله.

١ - سُورَةُ الْغَاشِيَةِ: الآية/ ٢١، ٢٢

٢ - سُورَةُ الرَّعْدِ: الآية/ ٤٠

٣ - سُورَةُ هُودٍ: الآية/ ١٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٢١

الْمُرَادُ بِهَذِهِ الْآيَةِ الْيَهُودُ خَاصَّةً، فهم الذين اشتُهِرَ عَنْهُم قَتْلُ النَّبِيِّينَ؛ كمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.[2]

وهم أشدُّ النَّاسِ كُفرًا وعِنادًا وتكذيبًا بِآيَاتِ اللَّهِ تعالى، فليس في البشر أشدَّ منهم كفرًا مع معرفتهم للحق؛ لذلك قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِينًا﴾.[3]

وقد وَصَفَهم اللهُ تَعَالَى بثَلَاثَةِ أَوْصَافٍ بدأ فيها بِالْأَعْظَمِ:

الأُوْلَى: الكُفْرُ بِآيَاتِ اللَّهِ.

الثَّانِيَةُ: قَتْلُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ.

وَالثَّالِثَةُ: قَتْلُ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْعَدْلِ مِنَ النَّاسِ، ثم توعدهم الله تعالى عليها بِعَذَابٍ أَلِيمٍ.

وقوله تعالى: ﴿يَكْفُرُونَ﴾، بيان أن كفرهم مستمرٌ، وأنه لم يكن في طائفة منهم في سالف الأيام فحسب، فقد كفروا بما أنزل من القرآن مع كفرهم بآيات الله التي أنزلها على رسلهم السابقين، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ﴾؛ لِأَنَّهُمْ ارتضوا ما فَعَلَهُ أَسْلَافُهُمُ؛ وقد حاولوا قتل نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فعصمه الله تعالى منهم؛ فقد خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى بَنِي النَّضِيرِ يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ الْعَامِرِيَّيْنِ اللَّذَيْنِ قَتَلَ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ. فَلَمَّا خَلَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ قَالُوا: لَنْ تَجِدُوا مُحَمَّدًا أَقْرَبَ مِنْهُ الْآنَ، فَمَنْ رَجُلٌ يَظْهَرُ عَلَى هَذَا

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١٨١

٢ - سُورَةُ النساء: الْآيَةُ/ ١٥٥

٣ - سُورَةُ النساء: الْآيَةُ/ ١٥١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

الْبَيْتِ، فَيَطْرَحَ عَلَيْهِ صَخْرَةً فَيُرِيحَنَا مِنْهُ؟ فَقَالَ عَمْرُو بْنُ جَحَّاشِ بْنِ كَعْبٍ: أَنَا، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرُ، فَانْصَرَفَ عَنْهُمْ.

﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾.

ولا يتصور أن يُقتلَ نبيٌّ بحَقٍّ، وإنما قال تعالى ﴿بِغَيْرِ حَقٍّ﴾؛ لبيان أنهم لم تكن عندهم شبهة تبيح لهم قتل الأنبياء، وإنما فعلوا ذلك كبرًا وعنادًا؛ وهو أبلغُ في التشنيعِ عليهم؛ لذلك كانوا أَشَدَّ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ فعَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَشَدَّ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَتَلَ نَبِيًّا، أَوْ قَتَلَهُ نَبِيٌّ، وَإِمَامٌ جَائِرٌ، وَهَؤُلَاءِ الْمُصَوِّرُونَ».[1]

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٤٠٥٠، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ١٠٥١٥، بسند حسن

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ (٢١) أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٢١، ٢٢

قوله تَعَالَى: ﴿وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

من صفات اليهود عليهم لعائن الله إلى يوم القيامة قتل المصلحين الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَينهونَ عَنَ الْمُنْكَرِ، وهذا لفساد نفوسهم، وخبث قلوبهم، وكبرهم وعدم قبولهم للحق.

عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ النَّاسِ أَشَدُّ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «رَجُلٌ قَتَلَ نَبِيًّا، أَوْ رَجُلٌ أَمَرَ بِالْمُنْكَرِ وَنَهَى عَنِ الْمَعْرُوفِ». ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ﴾ إِلَى أَنِ انْتَهَى إِلَى: ﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾ ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَبَا عُبَيْدَةَ قَتَلَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ ثَلَاثَةً وَأَرْبَعِينَ نَبِيًّا مِنْ أَوَّلِ النَّهَارِ فِي سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَقَامَ مِائَةُ رَجُلٍ وَاثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَأَمَرُوا مَنْ قَتَلَهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ فَقُتِلُوا جَمِيعًا مِنْ آخِرِ النَّهَارِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَهُمُ الَّذِينَ ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ».[1]

﴿فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

التَّبْشِيرُ الْإِخْبَارُ بِمَا يَظْهَرُ أَثَرُهُ عَلَى الْبَشَرَةِ، الْغَالِبُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِيما يَسُرُّ، وذُكِرَ هنا مع العذابِ تهكمًا، ومعنى: (أَلِيمٍ) مؤلمٌ.

﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

﴿أُولَئِكَ﴾، يعني: الَّذِينَ يَكْفُرُونَ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ، ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾.

---

١ - تفسير الطبري (٥/ ٢٩١)، تفسير ابن أبي حاتم (٢/ ٦٢١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

بين سبحانه أن من كان هذا حاله، فلا تنفعه طاعة، ولو أتى بأمثال الجبال الرواسي حسنات، فإن الكفرَ سيئةٌ لا تنفع معها حسنةٌ، والحبوطُ: فسادُ العملِ، وأصله من الحَبَطِ، وهو فساد بطون الماشية من مأكل الربيع، وهو سبب قتلها؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ كُلَّ مَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ».[1]

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

لا يجدون مِنْ يَنْصُرُوهُمْ مِنَ اللهِ فيَدْفَعُ عَنْهُمُ عَذَابَه، ويُجِيرُهُم من سَخَطِهِ.

وقوله: ﴿مِنْ نَاصِرِينَ﴾، مبالغةٌ لِنَفْيِ أَيِّ نَاصِرٍ يَدْفَعُ عَنْهُمُ عَذَابَ اللهِ.

١ - رواه مسلم- كِتَاب الزَّكَاةِ، بَابُ تَخَوُّفِ مَا يَخْرُجُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا، حديث رقم: ١٠٥٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٢٣

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة مَا وَرَدَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْتَ الْمِدْرَاسِ عَلَى جَمَاعَةٍ مِنْ يَهُودَ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللهِ، فَقَالَ لَهُ نُعَيْمُ بْنُ عَمْرٍو وَالْحَارِثُ بْنُ زَيْدٍ: عَلَى أَيِّ دِينٍ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَقَالَ: «عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ وَدِينِهِ»، فَقَالَا: فَإِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا، فَقَالَ لَهُمَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَهَلُمُّوا إِلَى التَّوْرَاةِ فَهِيَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ»، فَأَبَوْا عَلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.[1]

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ﴾.

النَّصِيبُ: الْقِسْطُ وَالْحَظُّ، وَذكر منكرًا ﴿نَصِيبًا﴾، لِلتَّقْلِيلِ، فهم لَا يَعْلَمُونَ مِنَ الْكِتَابِ إلا النذر اليسير؛ كما قال تعالى: ﴿لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلا يَظُنُّونَ﴾.[2]

وَ (مِنْ) هنا للتَبْعِيضِ، وهو دليلٌ على أنهم لَمْ يَحْفَظُوهُ وَلَمْ يَعْلَمُوا منه إلا القليل.

يخبر الله تعالى عن حالِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى فِي إعراضِهِم عن الحقِ، وتأبيهم عن قبولِهِ، وإصرَارِهِم على الباطلِ، منكرًا عليهم ومُعَجِّبًا من شَأْنِهِم، وهم الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ، أَنَّهم إِذَا دُعُوا إِلَى التَّحَاكُمِ إِلَى مَا فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، تَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ؛ لعلمهم بما فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ مِنَ الأمر باتِّبَاعِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبيانِ صفتِهِ ووجوبِ نصرتِهِ.

١ - رواه ابن جرير (٥/ ٢٩٣)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٢٢)

٢ - سورة البقرة: الآية/ ٧٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ﴾.

دعاهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى كتابهم الذين بين أيديهم (التوراة)، ليحكم بينهم فيما تنازعوا فيه؛ ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾.[1]

﴿ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾.

قيل: يتولون عن الداعي، ويعرضون عن قبول حكمه.

وقيل: يتولون بأبدانهم، ويعرضون عن الحق بقلوبهم.

وقيل: ﴿وَهُمْ مُعْرِضُونَ﴾. اعتراض، أي وهم قوم ديدنهم الإعراض عن الحق، والإصرار على الباطل.

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٩٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ (٢٤) فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٢٤، ٢٥

لما ذكرَ اللهُ تَعَالَى حَالَ أهلِ الكتابِ في إِعْرَاضِهم عَنِ التحاكم إلى كتاب الله، بَيَّنَ تَعَالَى هُنَا سَبَبَ ذَلِكَ التَّوَلِّي وَالْإِعْرَاضِ عَنِ الحقِ، فَقَالَ: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ﴾، وَهو افْتِرَاؤُهُمْ عَلَى اللهِ، واغْتِرَارُهم به تعالى، فقد ادَّعَوْا أَنَّهُمْ سيُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ سَبْعَةَ أَيَّامٍ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: لَمَّا فُتِحَتْ خَيْبَرُ أُهْدِيَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَاةٌ فِيهَا سُمٌّ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اجْمَعُوا إِلَيَّ مَنْ كَانَ هَا هُنَا مِنْ يَهُودَ» فَجُمِعُوا لَهُ، فَقَالَ: «فَهَلْ أَنْتُمْ صَادِقِيَّ عَنْ شَيْءٍ إِنْ سَأَلْتُ عَنْهُ؟»، فَقَالُوا: نَعَمْ يَا أَبَا القَاسِمِ، وَإِنْ كَذَبْنَا عَرَفْتَ كَذِبَنَا، فَقَالَ لَهُمْ: «مَنْ أَهْلُ النَّارِ؟»، قَالُوا: نَكُونُ فِيهَا يَسِيرًا، ثُمَّ تَخْلُفُونَا فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اخْسَئُوا فِيهَا، وَاللَّهِ لاَ نَخْلُفُكُمْ فِيهَا أَبَدًا».[1]

﴿وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾.

الغَرُّ: هو الأثرُ الظاهرُ من الشيء، واستعير للخَدِيعَةِ، فالْغُرُورُ: هُوَ الْإِطْمَاعُ فِيمَا لَا يَحْصُلُ مِنْهُ شَيْءٌ، وَالفُري: قطع الأديم، واستعير للْكَذِبِ ، فالِافْتِرَاءُ: اخْتِلَاقُ الْكَذِبِ.

والمعنى: خَدَعَهم مَا اخْتَلَقُوه وافْتَرَوْا بِهِ على اللهِ تعالى مِنْ زَعْمِهِمْ أَنَّ النَّارَ لَا تَمَسُّهُمْ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ، فكان ذلك سَبَبًا في تمسُكِهِم بدِينِهِمُ الْبَاطِلِ، وعدمِ قَبولِهِم الإسلامَ.

﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾.

لما استهانوا بعذاب الله تعالى في النار وقللوا من شأنه، عظَّمَ الله تعالى ما سيجري لهم يوم القيامة، فقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾، وقال: ﴿لِيَوْمٍ﴾ وَلَمْ يَقُلْ: (فِي يَوْمٍ)، للتهويل من الأحداث الجسام في ذلك اليوم، والمعنى: فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُهُمْ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِمَا يَحْدُثُ فِي يَوْمٍ لَا شَكَّ فِي مَجِيئِهِ.

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ الجِزْيَةِ، بَابُ إِذَا غَدَرَ الْمُشْرِكُونَ بِالْمُسْلِمِينَ، هَلْ يُعْفَى عَنْهُمْ، حديث رقم: ٣١٦٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.

أي: أثاب الله تعالى كُلُّ نَفْسٍ بما تستحقه من الثواب والعقاب، على مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فيجازي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَيُعَاقِبُ المسِيئَ بكفرِهِ وإجْرَامِهِ.

وفيها إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ لَا يَنْقُصُ مِنْهُ شَيْءٌ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٢٦

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ:

قَالَ قَتَادَةُ: ذُكِرَ لَنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مُلْكَ فَارِسَ وَالرُّومِ فِي أُمَّتِهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ.....﴾ الْآيَةَ.

﴿اللَّهُمَّ﴾ نِدَاءٌ للَّهِ تَعَالَى فِي الدُّعَاءِ، قَالَ النُّحَاةُ: وَمَعْنَاهُ: يَا أَللَّهُ، وَالْمِيمُ الْمُشَدَّدَةُ الَّتِي لَحِقَتْهُ عِوَضٌ مِنْ حَرْفِ النِّدَاءِ: (يَا).

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى غُرُورَ اليهودِ وصَلَفِهِم، وعِنَادَ النَّصَارَى وإِعْرَاضَهُم، أَمَرَ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِدُعَاءٍ يَدُلُّ عَلَى مخالفةِ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ الْمُعْرِضِينَ عنِ الحقِّ، فَقَالَ لهُ: ﴿قُلْ﴾ يَا مُحَمَّدُ، مُعَظِّمًا رَبَّكَ وَمُفَوِّضًا إِلَيْهِ أَمْرَكَ: ﴿اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ﴾، فلا مَالِكَ لهُ غيرُكَ، ولا سلطان لأحد فيه سواك، كَمَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الأَرْضِ.....﴾.[2]

﴿تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾.

المرادُ بالْمُلْكِ هُنَا السُّلْطَانُ وَالْغَلَبَةُ، فاللهُ تَعَالَى هُوَ الْمُعْطِي، وَهُوَ الْمَانِعُ، وَمَا شَاءَ كَانَ وَمَا لَمْ يَشَأْ لَمْ يَكُنْ.

وقَالَ مُجَاهِدٌ: الْمُلْك: النُّبُوَّةُ، والراجحُ الأولُ، بدليل قوله: ﴿وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ﴾؛ لِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا النُّبُوَّةَ ثم نَزَعَهَا مِنْهُ.

---

١ - سُورَةُ فَاطِرٍ: الآية/ ١٣

٢ - سُورَةُ سَبَإٍ: الآية/ ٢٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والنَّزْعُ: اقتلاعٌ بجَذْبٍ شَدِيدٍ، ومنه قوله تعالى: ﴿نَزَّاعَةً لِلشَّوَى﴾، [المعارج: ١٦] لأنها تقلع الجلد والأطراف.

ويوحي هذا اللفظ: ﴿تَنْزِعُ﴾، بقوةٍ شديدةٍ، وحَسْرةٍ عظيمةٍ لمن سُلِبَ الملكَ؛ لذلك وصفَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الإِمَارَةَ بأنها: «بِئْسَتِ الفَاطِمَةُ»؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّكُمْ سَتَحْرِصُونَ عَلَى الإِمَارَةِ، وَسَتَكُونُ نَدَامَةً يَوْمَ القِيَامَةِ، فَنِعْمَ الْمُرْضِعَةُ وَبِئْسَتِ الفَاطِمَةُ».[1]

قوله تعالى: ﴿وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ﴾.

لا تلازم بين الْمُلْكِ والعِزِّ، فكَمْ مِنْ مَلِكٍ أَوْ أَمِيرٍ أَوْ رئيسٍ يَحْسَبُهُ الْأَغْرَارُ عَزِيزًا كَرِيمًا، وَهُوَ فِي نَفْسِهِ ذَلِيلٌ مَهِينٌ، إنما العِزُّ عِزُّ الطاعةِ، والاسْتِغْنَاءُ عَنِ النَّاسِ، والذُّلُّ ذُلُّ المعصيةِ، والافتقار لغير اللهِ تعالى؛ قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: إِنَّهُمْ وَإِنْ طَقْطَقَتْ بِهِمُ الْبِغَالُ، وَهَمْلَجَتْ بِهِمُ الْبَرَاذِينُ، إِنَّ ذُلَّ الْمَعْصِيَةِ لَا يُفَارِقُ قُلُوبَهُمْ، أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُذِلَّ مَنْ عَصَاهُ.

وَعَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَا مُحَمَّدُ، عِشْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَيِّتٌ، وَاعْمَلْ مَا شِئْتَ فَإِنَّكَ مَجْزِيٌّ بِهِ، وَأَحْبِبْ مَنْ شِئْتَ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ، وَاعْلَمْ أَنَّ شَرَفَ الْمُؤْمِنِ قِيَامُ اللَّيْلِ، وَعِزَّهُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنِ النَّاسِ».[2]

﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾.

اللهُ تَعَالَى بِيَدِهِ الْخَيْرُ والشرُّ، وخالقُ كلِ شيءٍ، ولكن لا يُنسبُ الشرُّ للهِ تعالى تأدبًا؛ كما قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ».[3]

وَالِاقْتِصَارُ عَلَى ذِكْرِ (الْخَيْرِ) إيجازٌ بالحذفِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ﴾. [النَّحْل: ٨١] أَيْ وَالْبَرْدَ.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الأَحْكَامِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الحِرْصِ عَلَى الإِمَارَةِ، حديث رقم: ٧١٤٨

٢ - رواه الحاكم- كِتَابُ الرِّقَاقِ، حديث رقم: ٧٩٢١، والطبراني في الأوسط- حديث رقم: ٤٢٧٨، بسند صحيح

٣ - رواه مسلم- كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ الدُّعَاءِ فِي صَلَاةِ اللَّيْلِ وَقِيَامِهِ، حديث رقم: ٧٧١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

فلَا يَقْدِرُ عَلَى هَذَا غَيْرُكَ، ولا يستطيعه أحدٌ سواك، فلَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ وَلَا يَتَعَاظَمُهُ أَمْرٌ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٢٧

﴿تُولِجُ﴾: تُدْخِلُ؛ وَمِنْهُ قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "بِسْمِ اللَّهِ وَلَجْنَا، وَبِسْمِ اللَّهِ خَرَجْنَا".[1] والولوج أخص من الدخول، فهو الدخول في مضيقٍ، والوليجة بطانة الرجل كالدَّخيل.

﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾. أي: تدخلُ مِنْ هَذَا فِي هَذَا، وَمِنْ هَذَا فِي هَذَا، فَيُطَوِّلُ اللَّيْلَ وَيُقَصِّرُ النَّهَارَ، كَمَا فِي الشِّتَاءِ، وَيُطَوِّلُ النَّهَارَ وَيُقَصِّرُ اللَّيْلَ، كَمَا فِي الصَّيْفِ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: مَا يَنْقُصُ مِنْ أَحَدِهِمَا يَدْخُلُ فِي الْآخَرِ يَتَعَاقَبَانِ فِي ذَلِكَ مِنَ السَّاعَاتِ.

﴿وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾.

يُخْرِجُ اللهُ تَعَالَى لعظيم قدرته النَّبَاتَ مِنَ الْأَرْضِ وهي مَيِّتَةٌ، فيُخْرِجُ السُّنْبُلَةَ مِنَ الْحَبَّةِ وَبِالْعَكْسِ، وَالنَّخْلَةَ مِنَ النَّوَاةِ وَبِالْعَكْسِ، وَيُخْرِجُ الْحَيَوَانَ مِنَ النُّطْفَةِ، وَالطَّيْرَ مِنَ الْبَيْضَةِ وَبِالْعَكْسِ، وَيُخْرِجُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الْكَافِرِ، وَالْكَافِرَ مِنَ الْمُؤْمِنِ.

﴿وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

يُعْطِي اللهُ تَعَالَى مَنْ يَشَاءُ مِنَ الأرزاق مَا لَا يُحصى كثرةً، وَيَقْتِرُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ، لحكمة يريدها، وَعَدْلٍ يراهُ سبحانه، لا معقب لأمره، ولا رادَّ لقضائه.

---

١ – رواه أبو داود– كِتَاب الْأَدَبِ، أَبْوَابُ النَّوْمِ، بَابُ مَا يَقُولُ الرَّجُلُ إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ، حديث رقم: ٥٠٩٦، بسند ضعيف

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٢٨

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

روى ابن جرير عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: "كَانَ الْحَجَّاجُ بْنُ عَمْرٍو حَلِيفَ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَابْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ، وَقَيْسِ بْنِ زَيْدٍ، قَدْ بَطَنُوا بِنَفَرٍ مِنَ الْأَنْصَارِ لِيَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، فَقَالَ رِفَاعَةُ بْنُ الْمُنْذِرِ بْنِ زُبَيْرٍ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ جُبَيْرٍ، وَسَعْدُ بْنُ خَيْثَمَةَ لِأُولَئِكَ النَّفْرِ: اجْتَنِبُوا هَؤُلَاءِ الْيَهُودَ وَاحْذَرُوا لُزُومَهُمْ وَمُبَاطَنَتَهُمْ، لَا يَفْتِنُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ، فَأَبَى أُولَئِكَ النَّفْرُ إِلَّا مُبَاطَنَتَهُمْ وَلُزُومَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.[1]

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ إعراض الْكُفَّارِ عن الاستجابة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم، وجرأتهم على الله تعالى، أمر المؤمنين ببغضهم فالله تعالى، ونهاهم عَنْ مُوَالَاتِهِمْ.

هذا نَهْيٌ صريحٌ من الله تبارك وتعالى لعباده المؤمنين عن موالاةِ الكفارِ، وتحذير لهم من سخط اللهِ تَعَالَى؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ أَتُرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا﴾.[2]

﴿أَوْلِيَاء﴾، جمع وَلِيٌّ، وأصله من الْوَلْيُ، وهو: الْقُرْبُ وَالدُّنُوُّ، يُقَالُ: تَبَاعَدَ بَعْدَ وَلْيٍ.

وَالْمُوَالَاةُ: ضِدُّ الْمُعَادَاةِ، ولها معان ثلاثة: الحُبُّ، وَالنُّصْرَةُ، والتَّشَبُّه.

١ – رواه ابن جرير انظر جامع البيان (٥/ ٣١٦)، وابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٢٩)

٢ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١٤٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقد حرم الله تعالى على المؤمنين كل صور الموالاة؛ فقَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى فِي تَحْرِيمِ التَّشَبُّهِ بِهم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى فِي تَحْرِيمِ الحُبِّ وَالْمَوَدَّةِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ.....﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى فِي تَحْرِيمِ مُنَاصَرَتهم: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ﴾.[4]

قَوْلُهُ: ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ﴾.

يعني مَنْ يُوَالِي الْكُفَّارَ فينَقِلُ إِلَيْهِمْ أَخْبَارَ الْمُسْلِمِينَ، وَيُفْشِي لهم أسرَارَهُم، ويظاهرهم على الْمُسْلِمِينَ، فقد كفرَ بِاللَّهِ تَعَالَى، ولَيْسَ مِنْ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى فِي شَيْءٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ﴾.[5]

قَوْلُهُ: ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾.

اسْتَثْنَى اللهُ تَعَالَى حَالَةَ استضعَافِ بعضِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَجَازَ لهم التَّقِيَّةَ بِاللِّسَانِ، أَي: إِلَّا أَنْ يَكُونَ الْكُفَّارُ ظَاهِرِينَ عَلَيْهِمْ، ويخافُ الْمُؤْمِنُونَ مِنْ شَرِّهِمْ، فَللمُؤمِنِ حينئذٍ أَنْ يَتَّقِيَهُمْ بِظَاهِرِهِ لَا بقلْبِهِ وَلَا بعَمَلِهِ، كمَا قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: التَّقِيَّةُ بِاللِّسَانِ وَلَيْسَ بِالْعَمَلِ.

---

١ – سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ١١٨

٢ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٥١

٣ – سُورَةُ الْمُمْتَحِنَةِ: الآية/ ١

٤ – سُورَةُ الْأَنْفَالِ: الآية/ ٧٣

٥ – سُورَةُ المائدةِ: الآية/ ٨١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وقَالَ قَتَادَةَ: لَا يَحِلُّ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَتَّخِذَ كَافِرًا وَلِيًّا فِي دِينِهِ، ﴿إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً﴾، قَالَ: أَنْ يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ، فَتَصِلَهُ لِذَلِكَ.

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾.

وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ عِقَابَهُ، وأسبابَ سَخَطِهِ بارْتِكَابِ الْمَنْهِيِّ عَنْهُ مِنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ.

﴿وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾.

وَإِلَى اللَّهِ المرجعُ والمآبُ، فيُجَازِي كُلَ عاملٍ بعمله، وهو تهديدٌ ووعيدٌ لمن خالفَ أمْرَهُ، ووالى أعدَاءَهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٢٩

لَمَّا نهى اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ عِنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ، حَذَّرَ سُبْحَانَهُ من مُخَالَفَةِ أمرِهِ وأخبرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، وأنَّ السِّرَّ عنْدَهُ عَلانِيةٌ؛ فقالَ لرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلْمُؤْمِنِينَ: إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ مِنْ مُوَالَاةِ الْكُفَّارِ، أَوْ تُظْهِرُوا مُوالَاتِهِم بِأَقوالِكُمْ أوْ أَفْعَالِكُمْ، فإنَّ الله يَعْلَمُهُ، وَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ؛ فَلَا تُضْمِرُوا لَهُمْ مَوَدَّةً، وَلَا تُظْهِرُوا لَهُمْ مُوَالَاةً، قَالَ السُّدِّيُّ: أَخْبَرَهُمُ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا أَسَرُّوا مِنْ ذَلِكَ وَمَا أَعْلَنُوا.

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم أخبر اللهُ تَعَالَى عَنْ سِعَةِ عِلْمِه بأنَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ، وهذا من باب الترقي، فالذي يَعْلَمُ مَا فِي السَّماواتِ وَما فِي الْأَرْضِ، لا تَخْفَى عليه مَكْنُونَاتُ الصدورِ، وخفياتُ الضَّمَائِرِ.

﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

لما أَعْلَمَ اللهُ تَعَالَى عبادَهُ بِعُمُومِ عِلْمِهِ، أنَّهُ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ، أَعْلَمَهُم بعُمُومِ قُدْرَتِهِ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَهُوَ تَهْدِيدٌ لِمَنْ خَالفَ أَمْرَهُ، بأَنَّهُ لَنْ يُفْلِتَ مِنْ عِقَابِهِ.

ووضعُ المظهرِ موضعَ المضمرِ هنا، فَلَمْ يَقُلْ: (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)؛ لِمَا فِي إِظْهَارِ اسْمِ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الهَيبَةِ التي تَأْخُذُ بالأَلبَابِ؛ لأَنَّ المقامَ مقامُ ردعٍ، وتهديد؛ وليَجْرِيَ الكلامُ مَجْرَى الْمَثَلِ.

الأساليب البلاغية:

وفي الآية من الأساليب البلاغية الطباق بين: ﴿تُخْفُوا﴾، و: ﴿تُبْدُوهُ﴾.

وذكر العام بعد الخاص في قوله: ﴿يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾، ذَكَرَ عِلْمَهُ بِمَكْنُونَاتِ الصُّدُورِ، ثم أتبعه بذكر علمه الشامل لِمَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

والترقي بذكر علمه بما في الصدورِ، ثم علمه بما هو أعمُ من ذلك، بما فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

ووضعُ الظاهرِ موضعَ المضمرِ في قوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

والتذييلُ بقوله: ﴿وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾، يدلُ على عُمُومِ قُدْرَتِهِ؛ للتَحْذِيرُ مِمَّا يَتَرَتَّبُ عَلَى كمالِ عِلْمِهِ تَعَالَى بِأَحْوَالِ عبادِهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٣٠

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا حَذَّرَ عِقَابَهُ، وأَسْبَابَ سَخَطِهِ بِمُوَالَاةِ الْكُفَّارِ بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾، ذكر هنا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وما فيه من الحساب والجزاء على أَعْمَالِ العبادِ ما كان منها مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ؛ فيكون تَقْدِيرُ الكَلَامِ: (وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا).

وقيل: تَقْدِيرُ الكَلَامِ: (وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا).

وقيل في الآية تقديم وتأخير تقديره: (تَوَدُّ كُلُّ نَفْسٍ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ أَمَدًا بَعِيدًا يَوْمَ تَجِدُ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا).

قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا﴾.

يجدُ العباد أعمالهم التي عملوها في الدنيا ماثلة أمام أعينهم يوم القيامة؛ كما قال تعالى: ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾.[1]

قد دونت عليهم وسطرت بها صحائفهم، الصغيرُ منها والكبيرُ، وأُحصى عليهم النقيرُ والقطميرُ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.[2]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ﴾.[3]

---

١ - سُورَةُ الكَهْفِ: الْآيَة/ ٤٩

٢ - سُورَةُ الْجَاثِيَةِ: الْآيَة/ ٢٩

٣ - سُورَةُ يس: الْآيَة/ ١٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾.

الأَمَدُ: الغَايَةُ البَعِيدَةُ، والْمُدةُ مِنَ الزَّمَنِ لهَا حدٌ مجهولٌ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأمَدُ﴾.[1]

يَوْمَ القيامة تَوَدُّ كُلُّ نَفْسٍ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ ما عملت من الأعمال السيئة، غَايَةً بَعِيدَةً، و ومُدةً مِنَ الزَّمَنِ لا منتهى لها، وبونًا شاسعًا؛ كَمَا يَقُولُ من ساءته أعماله يوم القيامة لقرينه: ﴿يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾.[2]

﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾.

وَيُخَوِّفُكُمْ اللَّهُ عِقَابَهُ، وَنِقْمَتَهُ، وهو وَعِيدٌ لمن تجرأ على مخالفةِ أمرِه، وارتكبَ ما نهى عنه.

﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

وَاللَّهُ رَحِيمٌ بِخَلْقِهِ؛ يُمْهِلُ وَلَا يُهْمِلُ، ولا يعجل لهم العقوبة، ويقبل التوبة؛ ولأَنَّهُ حَذَّرَهُمْ مِنِ غَضَبِهِ، قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: مِنْ رَأْفَتِهِ بِهِمْ حَذَّرَهُمْ نَفْسَهُ.

وقيل: لَفْظُ: (الْعِبَادِ) مُخْتَصٌّ فِي الْقُرْآنِ بالمؤمنين؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعِبادُ الرَّحْمنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً﴾.[3]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿عَيْناً يَشْرَبُ بِها عِبادُ اللَّهِ﴾.[4]

وعلى هذا القول يكون في الآية لفٌ ونشرٌ غير مرتب، فإن الله تعالى قسم الناس إلى قسمين، من عمل خيرًا ومن عمل سوءًا، ثم توعدَ من عمل سوءًا بقوله: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾، وَوَعْدَ أَهْلَ الطاعةِ بقول: ﴿وَاللَّهُ رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ﴾.

---

١ – سُورَةُ الْحَدِيدِ: الْآيَة/ ١٦

٢ – سُورَةُ الزُّخْرُفِ: الْآيَة/ ٣٨

٣ – سُورَةُ الْفُرْقَانِ: الْآيَة/ ٦٣

٤ – سُورَةُ الْإِنْسَانِ: الْآيَة/ ٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٣١

هذِهِ الآيةُ تُسَمَّى آيَةُ الْمَحَبَّةِ، وآيَةُ الْمِحْنَةِ؛ قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الدَّارَانِيُّ: لَمَّا ادَّعَتِ الْقُلُوبُ مَحَبَّةَ اللَّهِ: أَنْزَلَ اللَّهُ لَهَا مِحْنَةً: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: زَعَمَ قَوْمٌ أَنَّهُمْ يُحِبُّونَ اللَّهَ فَابْتَلَاهُمُ اللَّهُ بِهَذِهِ الْآيَةِ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

وَقَالَ الجُنَيدُ: ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ آيَةَ الْمِحْنَةِ: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

وقيل المراد بهؤلاء القَوْمِ الَّذِينَ ادَّعَوا مَحَبَّةَ اللهِ اليهودُ والنصاري، فإنهم الذين قالوا: ﴿نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ﴾.[1]

والصحيح أَنَّ الْآيَةَ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنِ ادَّعَى مَحَبَّةَ اللَّهِ تَعَالَى بغيرِ برهانٍ؛ فإِنَّ الْعِبْرَةَ بِعُمُومِ اللَّفْظِ لَا بِخُصُوصِ السَّبَبِ، وَلَيْسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبّ، إِنَّمَا الشَّأْنُ أَنْ تُحَبّ، وَمَنِ ادَّعَى مَحَبَّتَهُ وَخَالَفَ سُنَّةَ رَسُولِهِ فَهُوَ كَذَّابٌ.

﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾.

الْحُبُّ وَالْمَحَبَّةُ: مَيْلُ النَّفْسِ إِلَى الشَّيْءِ، يقال: تَحَبَّب إِليهِ: أي: تَوَدَّدَ.

قَالَ تَعَالَى: قُلْ لهم يا مُحَمَّدُ: ﴿إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾، فَعَلقَ اللهُ تَعَالَى مَحَبَتَهُ عَلَى اتِّبَاعِ رسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه هو الذي دَلَّنَا عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، ودَعَانَا إِلَى طَاعَتِهِ وَتَعْظِيمِهِ؛ فاتِّبَاعُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، طَاعَةٌ للَّهِ تَعَالَى، ومخالفة الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عصيانٌ للَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ قِيلَ:

---

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

تَعْصِـــي الْإِلَـــهَ وَأَنْـــتَ تَـــزْعُمُ حُبَّـــهُ ***** هَـــذَا لَعَمْـــرِي فِي الْقِيَـــاسِ شَـــنِيعُ

لَـــوْ كَـــانَ حُبُّـــكَ صَـــادِقًا لَأَطَعْتَـــهُ ***** إِنَّ الْمُحِـــبَّ لِمَـــنْ يُحِـــبُّ مُطِيـــعُ

وَفِي الآيَةِ إثباتُ صفةِ المحبةِ للهِ تَعَالَى، على الوجه الذي يليق بالله تعالى، وهي محبةٌ حقيقيةٌ، وليست مجازًا عن إرادة الثواب كما زعم بعضهم؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾.[1]

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

فِي الآيَةِ دَلِيلٌ على أَنَّ الْمَحَبَّةَ من أعظم أسباب المغفرة، بل من أعظم أسباب الفوز بالجنة؛ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَتَى السَّاعَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاَةٍ وَلاَ صَوْمٍ وَلاَ صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ».[2]

فدَلِيلٌ الْمَحَبَّةِ اتِّبَاعُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَثَمَرَتُهَا: مَحَبَّةُ اللَّهِ تَعَالَى، ومَغْفِرَةُ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي.

---

١ – سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٥٤

٢ – رواه البخاري– كتَابُ فَضَائِلِ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَنَاقِبِ عُمَرَ بْنِ الخَطَّابِ أَبِي حَفْصٍ القُرَشِيِّ العَدَوِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٣٦٨٨، ومسلم– كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابُ الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ، حديث رقم: ٢٦٣٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٣٢

لما علق اللهُ تَعَالَى محبته على اتباع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ردًّا على من زعموا أنهم يحبون اللهَ تَعَالَى، أَمَرَ هُنَا أمرًا عامًا للناسِ جميعًا بطَاعَتِهِ تعالى، وطاعَةِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فقال لرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قُلْ يا محمد: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ﴾، فأوجب على العباد طاعتَهُ، وطاعةَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ...﴾.[1]

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

أَيْ: فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْ طَاعَتِهِ تَعَالَى، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ وخَالَفُوا أَمْرَهُ، فقد كفروا بالله تعالى، وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ.

وهَذَا دَلِيلٌ صَرِيحٌ عَلَى أَنَّ مُخَالَفَةَ الرَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كُفْرٌ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.[2]

وإنما قَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾. ولم يقلْ: (فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّهُم)، لبيان عموم الحكم، وأنه ليس قاصرًا على أولئك المخاطبين، فاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ جميعًا، وأيضًا للدلالة على أَنَّ التولي عَنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وطَاعَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كفرٌ صريحٌ.

---

١ - سُورَةُ النِّسَاءِ: الْآيَة/ ٢٩

٢ - سُورَةُ النُّورِ: الْآيَة/ ٦٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ (٣٣) ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٣٤) إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٥) فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٣٣- ٣٦

مُنَاسَبَةُ الْآيَاتِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ مَحَبَّتَهُ مَنُوطَةٌ بِطاعتهِ واتِّبَاعِ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَمَنِ كان كذلك كَانَ صَادِقًا فِي دَعْوَاه، وَكَانَ جَدِيرًا بمحبَةِ مَولَاهُ تَعَالَى، أَتْبَعَ ذَلِكَ بذِكْرِ مَنْ يُحَبَّهُمْ وَمَنْ اصْطَفَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ.

الِاصْطِفَاءُ: فِي اللُّغَةِ اخْتِيَارُ صَفْوَةِ الشَّيْءِ، وَمِنْهُ صَفْوُ الشَّيْءِ، أَيْ: خَالِصُهُ الَّذِي لَا شَائِبَةَ فِيهِ، ومعناه الِاجْتِبَاءُ، والاخْتِيَارُ والتَّفْضِيلُ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي﴾. [الْأَعْرَافِ:١٤٤]، يعني: إِنِّي اجْتَبَيْتُكُ مُفَضِّلًا إِيَّاكَ عَلَى النَّاسِ مِنْ أَهْلِ زَمَانِكَ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي.

اصْطَفَى اللهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فخَلَقَهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَعَلَّمَهُ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ.

وَاصْطَفَى تَعَالَى نُوحًا، عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَجَعَلَهُ أَوَّلُ رَسُولٍ إِلَى أَهْلِ الْأَرْضِ، وجعل ذريته هم الباقين.

وَاصْطَفَى آلَ إِبْرَاهِيمَ، وَمِنْهُمْ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاصْطَفَى آلَ عِمْرَانَ، بتكريمِ مَرْيَمَ بِنْتِ عِمْرَانَ، ونُبُوةِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

وَعِمْرَانُ هُوَ: عِمْرَانُ بْنُ يَاشَمَ أَبُو مَرْيَمَ الْبَتُولِ أُمِّ عِيسَى عَلَيْهِم السَّلَامُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

والمراد بالْآلِ الْأَتْبَاعُ، فإن الله تعالى قد أجرى الموالاة الدينية مجرى القرابة واللحمة فقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾.[1]

وَخَصَّ اللهُ تَعَالَى هَؤُلَاءِ بِالذِّكْرِ تَشْرِيفًا لَهُمْ؛ وَلِيكونَ الْكَلَامَ تمهيدًا لقِصَّةِ بَعْضِهِمْ، وهم آلُ عِمْرَانَ.

وقوله تعالى: ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، قِيلَ عَلَى ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ في زَمَانِهِمْ.

وَقِيلَ: ﴿عَلَى الْعَالَمِينَ﴾، عَلَى جَمِيعِ الْخَلْقِ لأَنَّهم رُسُلٌ وَأَنْبِيَاءُ فَهُمْ صَفْوَةُ الْخَلْقِ، ودخلَ فيهم مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه من آلِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام.

﴿ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ﴾.

دِينُهُمْ وَاحِدٌ وَطَرِيقَتُهُمْ وَاحِدَةٌ، وأنثَ لفظ: ﴿بَعْضُهَا﴾، ليوافق تأنيث لفظ: ﴿ذُرِّيَّةً﴾.

و ﴿ذُرِّيَّةً﴾، مأخوذ من ذرأ ومعناه خلقَ، ويطلق على الْآبَاءِ وَالْأَبْنَاءِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾. [يس: ٤١] أَيْ: آبَاءَهُمْ.

سُمِّيَ الولدُ ذُرِّيَّةً؛ لأنه ذُرِئَ من الوالدِ، وسمي الوالد ذُرِّيَّةً؛ لأن الابن ذُرِئَ منه.

﴿وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾.

أَيْ: سَمِيعٌ لِمَا يَقُولُهُ الْخَلْقُ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَصْلُحُ مِنْهُم لِلِاصْطِفَاءِ.

﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾.

قَالَ الزَّجَّاجُ: الْمَعْنَى: وَاصْطَفَى آلَ عِمْرَانَ إِذْ قَالَتْ امْرَأَةُ عِمْرَانَ.

وَامْرَأَةُ عِمْرَانَ اسْمُهَا: حَنَّةُ بِنْتُ فَاقُودَ وَهِيَ أُمُّ مَرْيَمَ، وَجَدَّةُ عِيسَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

نذرت امْرَأَةُ عِمْرَانَ مَا فِي بَطْنِهَا وكانت حاملًا، مُفَرَّغًا لِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، خَادِمًا بَيْتِ الْمَقْدِسِ حَبِيسًا عَلَيْه، وَكَانَ ذَلِكَ جَائِزًا فِي شَرِيعَتِهِمْ.

---

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ٥١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿مُحَرَّرًا﴾. أَيْ مُخَلَّصًا لَا يَشُوبُهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا.

وقيل له: مُحَرَّرًا؛ لِأَنَّهُ لَمَّا خَلُصَ لِخِدْمَةِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ فَكَأَنَّهُ حُرِّرَ مِنْ أَسْرِ الدُّنْيَا وَقُيُودِهَا إِلَى حُرِّيَّةِ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وقالت ذلك لِإِنَّهَا كَانَتْ تَظُنُّهُ ذَكَرًا، وَكَانُوا يَنْذِرُونَ ذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمَوْلُودُ ذَكَرًا.

﴿فَتَقَبَّلْ مِنِّي﴾.

التَّقَبُّلُ: أَخْذُ الشَّيْءِ عَلَى الرِّضَا بِهِ، قَالَ الْوَاحِدِيُّ: وَأَصْلُهُ مِنَ الْمُقَابَلَةِ لِأَنَّهُ يُقْبَلُ بِالْجَزَاءِ.

﴿إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾.

إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ لِدُعَائِي، الْعَلِيمُ بِمَا فِي ضَمِيرِي وَنِيَّتِي.

﴿فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى﴾.

فَلَمَّا وَضَعَتِ امْرَأَةُ عِمْرَانَ حملهَا وتبين لها أنها أُنْثَى، قَالَتْ: رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى عَلَى سبيلِ التَّحَسُّرِ وَالِاعْتِذَارِ عَلَى مَا فَاتَهَا مِنْ رَجَائِهَا.

قُرِئَ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعْتُ﴾. بِضَمِّ التَّاءِ، فَيَكُونُ مِنْ كَلَامِ أُمِّ مَرْيَمَ، خَاطَبَتْ نَفْسَهَا بذلك عَلَى سَبِيلِ الِاعْتِذَارِ.

وَقُرِئَ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ﴾. بِتَاءِ التَّأْنِيثِ السَّاكِنَةِ عَلَى أَنَّهُ إِخْبَارٌ مِنَ اللَّهِ بِأَنَّهُ أَعْلَمُ بِحَالِ الَّذِي وَضَعَتْهُ، وَمَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُ هَذِهِ الْأُنْثَى، وَبِمَا عَلَّقَ بِهَا مِنْ عَظَائِمِ الْأُمُورِ، وَأَنَّه سيَجْعَلُهَا وَوَلَدَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ.

﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾.

فِيمَا يَصْلُحُ لَهُ كُلٌّ مِنْهُمَا، ويُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ مَقْصُودُهَا أَنَّهُ لَيْسَ كَالْأُنْثَى؛ لِأَنَّ الذَّكَرَ يَصْلُحُ لِلتَّحْرِيرِ؛ وَلَا يَلْحَقُهُ عَيْبٌ فِي الْخِدْمَةِ وَالِاخْتِلَاطِ بِالنَّاسِ وَلَا تُهْمَةَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالمعنى الثاني: لَيْسَ الذَّكَرُ الَّذِي رَغِبَتْ فِيهِ بِمُسَاوٍ لِلْأُنْثَى الَّتِي أُعْطِيَتْهَا لَوْ كَانَتْ تَعْلَمُ عُلُوَّ شَأْنِ هَذِهِ الْأُنْثَى، وهذا أولى من القول الأول؛ ودلَّ عليه قوله: ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى﴾، وَلَوْ كان المعنى المراد الأول لقِيلَ: (وَلَيْسَتِ الْأُنْثَى كَالذَّكَرِ).

﴿وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ﴾.

مَعْنَى مَرْيَمَ فِي لُغَتِهِمْ: الْعَابِدَةُ، أَرَادَتْ بِهَذِهِ التَّسْمِيَةِ التَّفَاؤُلَ لَهَا بِالْخَيْرِ، وَالتَّقَرُّبَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

أُعِيذُهَا مِنَ التَّعَوُّذُ وَهُوَ الِالْتِجَاءُ وَالِاسْتِجَارَةُ، وَالرَّجِيمُ الْمَطْرُودُ، وَأَصْلُهُ الْمَرْمِيُّ بِالْحِجَارَةِ.

لَمَّا فَاتَ أُمُّ مَرْيَمَ مَا كَانَتْ تُرِيدُ مِنْ أَنْ يَكُونَ مَرْيَمُ رَجُلًا خَادِمًا لِلْمَسْجِدِ، تَضَرَّعَتْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فِي أَنْ يَحْفَظَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَأَنْ يَجْعَلَهَا مِنَ الصَّالِحَاتِ، وَقَدْ اسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهَا؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْخُسُ جَمِيعَ وَلَدِ آدَمَ حَتَّى الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ إِلَّا مَرْيَمَ وَابْنَهَا.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ» ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.[1]

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الجَنَائِزِ، بَابُ إِذَا أَسْلَمَ الصَّبِيُّ فَمَاتَ، هَلْ يُصَلَّى عَلَيْهِ، وَهَلْ يُعْرَضُ عَلَى الصَّبِيِّ الإِسْلاَمُ، حديث رقم: ١٣٥٨، ومسلم- كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديث رقم: ٢٣٦٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٣٧

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أنه تَقَبَّلَ مَرْيَمَ مِنْ أُمِّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ، وَالْقَبُولُ مَصْدَرُ قَوْلِهِمْ: قَبِلَ فُلَانٌ الشَّيْءَ قَبُولًا إِذَا رَضِيَهُ، وَالتَّقَبُّلُ مِنْ بَابِ التَّفَعُّلِ، يَدُلُّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الْقَبُولِ، وَشِدَّةِ الاعْتِنَاءِ؛ كَالتَّصَبُّرِ وَالتَّجَلُّدِ، فَإِنَّهُ يَدُلُّ عَلَى الْمُبَالَغَةِ فِي الصَّبْرِ وَالجَلَدِ.

الْبَاءُ فِي قوله: ﴿بِقَبُولٍ حَسَنٍ﴾، لِلتَّأْكِيدِ، وَأَصْلُ الْكَلَامِ: فَتَقَبَّلَهَا قَبُولًا حَسَنًا، فَأُدْخِلَتِ الْبَاءُ عَلَى الْمَفْعُولِ الْمُطْلَقِ (قَبُولًا) لِيَصِيرَ كَالْآلَةِ لِلتَّقَبُّلِ، إِظْهَارًا لِلْعِنَايَةِ بِهَا.

﴿وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا﴾.

يعني: أَنْشَأَهَا اللهُ تَعَالَى عَلَى حُبِّ الطَّاعَةِ والِاسْتِقَامَةِ، وَالاجْتِهَادِ فِي الْعِبَادَةِ، وَإِيثَارِ رِضَا اللَّهِ تَعَالَى؛ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَمَّا بَلَغَتْ تِسْعَ سِنِينَ صَامَتِ النَّهَارِ وَقَامَتِ اللَّيْلَ حَتَّى أَرْبَتْ عَلَى الْأَحْبَارِ.

وَعَصَمَهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَأَنْشَأَهَا عَلَى العِفَّةِ والطَّهَارةِ؛ قَالَ قَتَادَةُ: حُدِّثْنَا أَنَّهَا كَانَتْ لَا تُصِيبُ الذُّنُوبَ كَمَا يُصِيبُ بَنُو آدَمَ.

وَالْقَبُولُ: مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِلْفِعْلِ تَقَبَّلَ، جَاءَ عَلَى غَيْرِ لَفْظِ الْفِعْلِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى لَفْظِهِ لَكَانَ تقدِيرُهُ: (فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا تَقَبُّلًا حَسَنًا)، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿نَبَاتًا﴾، مَصْدَرٌ مُؤَكِّدٌ لِلْفِعْلِ أَنْبَتَ، جَاءَ عَلَى غَيْرِ لَفْظِ الْفِعْلِ، وَلَوْ كَانَ عَلَى لَفْظِهِ لَكَانَ تقدِيرُهُ: (وَأَنْبَتَهَا إِنْبَاتًا حَسَنًا).

وَهو أُسْلُوبٌ مِنْ أَسَالِيبِ الْعَرَبِ فِي كَلَامِهِم، يَأْتُونَ بِالْمَصَادِرِ عَلَى أُصُولِ الْأَفْعَالِ وَإِنِ اخْتَلَفَتْ أَلْفَاظُهَا تَخْفِيفًا؛ كَقَوْلِهِمْ: (تَكَلَّمَ فُلَانٌ كَلَامًا)، وَلَوْ جَاءَ الْمَصْدَرُ عَلَى لَفْظِ الْفِعْلِ لَقِيلَ: (تَكَلَّمَ فُلَانٌ تَكَلُّمًا).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا﴾.

قَرَأَ الْكُوفِيُّونَ: ﴿وَكَفَّلَهَا﴾، بِتَشْدِيدِ الْفَاءِ، أَيْ: وَكَفَّلَهَا اللَّهُ زَكَرِيَّا، يعني: جَعْلَهُ كَافِلًا لَهَا.

وَقَرَأَ بَاقِي الْقُرَّاءِ: ﴿وَكَفَلَهَا﴾، بِتَخْفِيفِ الْفَاءِ، أَيْ: ضَمَّهَا زَكَرِيَّا إِلَيْهِ، وَضَمِنَ الْقِيَامَ بِرِعَايَتِهَا.

وَكَانَ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ زَوْجَ أُخْتِهَا؛ ودلَّ على ذلك قَولُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في حديثِ المعراجِ: "فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى، وَهُمَا ابْنَا الخَالَةِ".[1]

وَإِنَّمَا قَدَّرَ اللَّهُ كَوْنَ زَكَرِيَّا كَافِلَهَا لِسَعَادَتِهَا، لِتَقْتَبِسَ مِنْ عِلْمِهِ، وأَخْلَاقِهِ، وفَضَائِلِهِ.

﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾.

الْمِحْرَابُ فِي اللُّغَةِ: أَكْرَمُ مَوْضِعٍ فِي الْمَجْلِسِ.

وقيل: الْمِحْرَابُ الْمَوْضِعُ الْعَالِيَ الشَّرِيفُ، قَالَ وَضَّاحُ الْيَمَنِ:

رَبَّـــــةُ مِحْـــــرَابٍ إِذَا جِئْتُهَـــــا ***** لَمْ أَلْقَهَـــا حَـــتَّى أَرْتَقِـــي سُـــلَّمَا

وقَالَ الْأَصْمَعِيُّ الْمِحْرَابَ هُوَ الْغُرْفَةُ، وَاحْتَجَّ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ﴾. [ص: ٢١] وَالتَّسَوُّرُ لَا يَكُونُ إِلَّا مِنْ عُلُوٍّ.

وأطلق الْمِحْرَابُ فِي الإِسْلَامِ عَلَى مَوْقِفُ الْإِمَامِ مِنَ الْمَسْجِدِ، وسُمِّيَ مِحْرَابًا لانفرادِ الإِمَامِ فِيهِ وبُعْدِه عَن النَّاس.

﴿وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾، إنما ورد لفظ: ﴿رِزْقًا﴾. نكرةً ليَدُلُّ عَلَى عَجِيبِ شأنِ ذَلِكَ الرِّزْقِ، كَأَنَّهُ قِيلَ: وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا غَرِيبًا عَجِيبًا.

قَالَ مُجَاهِدٌ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وغيرهم: وَجَدَ عِنْدَهَا فَاكِهَةَ الصَّيْفِ فِي الشِّتَاءِ وَفَاكِهَةَ الشِّتَاءِ فِي الصَّيْفِ.

وَهَذِهِ الآيةُ أصلٌ في إثباتِ كَرَامَاتِ الْأَوْلِيَاءِ، كمَا هِيَ عقيدةُ أهلِ السنةِ والجماعةِ.

---

١ - رواه البخاري- كتَابُ مَنَاقِبِ الأَنْصَارِ، بَابُ المِعْرَاجِ، حديث رقم: ٣٨٧٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَالَ يَامَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا﴾.

﴿أَنَّى﴾، هنَا سُؤَالٌ عَنِ الْكَيْفِيَّةِ ومَعْنَاهُ: كَيْفَ أَتَى هَذَا الرِّزْقُ إِلَيْكِ؟

وسؤاله دليل على أن هذا الرزق كان أمرًا خارقًا للعادة، وإلا لكان مقتضى الكلام: مَنْ الَّذِي أَتَاكِ بِهَذَا الرِّزْقِ؟

﴿قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

لَمَّا سَأَلَهَا زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ كَيْفِيَّةِ وصولِ الرزقِ إليها، وحصوله في غير أوانه تَعَجُّبًا، قالَتْ: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَلَيْسَ ذَلِكَ بِعَجِيبٍ وَلَا مُسْتَنْكَرٍ.

﴿إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

جُمْلَةٌ تَعْلِيلِيَّةٌ لِمَا قَبْلَهَا، وَاللهُ تَعَالَى يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ بِغَيْرِ إِحْصَاءٍ وَلَا عَدَدٍ يُحَاسِبُهُ عَلَيْهِ، وَهَذِهِ الجُمْلَةُ مِنْ تَمَامِ كَلَامِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ عَلَى الرَّاجِحِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٣٨

﴿هُنَالِكَ﴾، تُطْلَقُ عَلَى الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ، وَإِطْلَاقُهَا على المكان أكثرُ؛ يقال: هنا، وهناك، وهنالك.

﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ﴾.

لَمَّا رَأَى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ، عِنْدَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، مِنْ رِزْقِ اللهِ تَعَالَى الَّذِي رَزَقَهَا إِيَّاهُ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ، وعاين الْخِرَاقَ الْعَادَةِ لِمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، عَظُمَ رَجَاؤُهُ فِيمَا عِنْدَ اللهُ تَعَالَى، وَطَمِعَ فِي الْوَلَدِ مَعَ كِبَرِ سِنِّهِ، وامْرَأَتُهُ مَعَ ذَلِكَ كَبِيرَةٌ وَعَاقِرٌ.

﴿قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً﴾.

نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا بِتَضَرُّعٍ وَاسْتِكَانَةٍ، وقد كان آيِسًا مِنَ الْوَلَدِ فَقَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ أَيْ: مِنْ عِنْدِكَ، ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً، أَيْ: نَسْلًا صَالِحًا مُبَارَكًا، كمَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، فِي كَمَالِ إِيمَانِهَا وَحُسْنِ حَالِهَا، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ مَنْ سَأَلَ اللهَ تَعَالَى الذُّرِّيَّةَ، ينبغي أَنْ يَسْأَلَهُ أَنْ تَكُونَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً صَالِحَةً؛ كَمَا قَالَ إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.[1]

﴿إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.

يعني: إِنَّكَ تُجِيبَ دُعَاءَ مَنْ دَعَاكَ، وَلَا تُخَيِّبُ رَجَاءَ مَنْ رَجَاكَ.

١ - سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الْآيَة/ ١٠٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٣٩

المراد بالْمَلَائِكَةِ هنا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: (فَنَادَاهُ جِبْرِيلُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ)، فيكون هذا من العَامِ الذي يُرَادُ به الخصوصُ؛ كما في قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾. [آلِ عِمْرَانَ: ١٧٣] وَالْقَائِلُ وَاحِدٌ.

ويجوزُ تذكيرُ الفعلِ وتأنيثُهُ إِذَا تَقَدَّمَ على جَمْعِ المذكرِ؛ تَقُولُ الْعَرَبُ: قَالَتِ الرِّجَالُ، وَقَالَ الرِّجَالُ.

﴿وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى﴾.

خَاطَبَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شِفَاهًا خِطَابًا أَسْمَعَهُ إِيَّاهُ، وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي مَحَلِّ عِبَادَتِهِ الْمِحْرَابِ، وَبَشَّرَهُ بِوَلَدٍ مِنْ صُلْبِهِ اسْمُهُ يَحْيَى.

﴿مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

يَعْنِي: من صفاتِ يَحْيَى أَنَّهُ يكونُ مُصَدِّقًا بعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، قالَ قَتَادَةَ: مُصَدِّقًا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ، عَلَى سَنَنِهِ وَمِنْهَاجِهِ.

وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ.

وَسُمِّيَ عِيسَى كَلِمَةً؛ لِأَنَّهُ خُلِقَ بِكَلِمَةِ اللَّهِ تَعَالَى له: (كُنْ) فَكَانَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ.

﴿وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

ثُمَّ وَصَفَهُ بِصِفَةٍ ثَانِيَةٍ فَقَالَ: ﴿وَسَيِّدًا﴾، وَالسَّيِّدُ: الَّذِي يَسُودُ قَوْمَهُ وَيُنْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: السَّيِّدُ الْحَلِيمُ، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: الْكَرِيمُ عَلَى اللَّهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

ثُمَّ وَصَفَهُ بِصِّفَةٍ ثَالِثَةٍ فَقَالَ: ﴿وَحَصُورًا﴾، وَالْحَصُورُ: الَّذِي لَا يَأْتِي النِّسَاءَ لَا لِلْعَجْزِ بَلْ لِلْعِفَّةِ عَنْهُنَ، وَالزُّهْدِ فِيهِنَ، كَأَنَّهُ حُصِرَ عَنْهُنَ، ولا شك أنَّ هذا غاية المِدْحِ ليَحْيَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِأَنَّهُ مَعْصُومٌ عَنِ الْفَوَاحِشِ وَالْقَاذُورَاتِ.

ثُمَّ وَصَفَهُ بِصِّفَةٍ رَابِعَةٍ فَقَالَ: ﴿وَنَبِيًّا﴾، وَالنَّبِيُّ هُو مَنْ أُوْحِي إِلَيهِ وَأُمِرَ بالتبليغِ، ولم يأتِ بشرعٍ جَدِيدٍ، وَوَصْفُ النُّبُوَّةِ هُوَ أَشْرَفُ هَذِهِ الْأَوْصَافِ، وَأَعْلَاها رتبةً.

ثُمَّ وَصَفَهُ بِصِّفَةٍ خَامِسَةٍ فَقَالَ: ﴿مِنَ الصَّالِحِينَ﴾، وَمَعْنَاهُ كَمَا قَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: مِنْ صَالِحِي الْحَالِ عِنْدَ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي وَصْفِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٤٠

لما بَشَّرَ اللهُ تَعَالَى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَحْيَى تطلعت نَفْسُهُ لِمَعْرِفَةِ كَيْفِيَّةِ ذَلِكَ، فتسائلَ متعجبًا فَقَالَ: ﴿رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾. ولم يكن هذا الاستفهام منه استبعادًا لحصولِ الولدِ، أو شكًّا منهُ فِي صِدْقِ وَعْدِ اللهِ تَعَالَى لَهُ، وإنما هُو اسْتِفْهَامٌ الْمُرَادُ مِنْهُ التَّعَجُّبُ؛ كما قَالَتْ سَارَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ حِينَ بَشَّرَتْهَا الْمَلَائِكَةُ بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ: ﴿يَا وَيْلَتَى أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾.[1]

وكان من أسباب تعجبه أنه بَلَغَ الْكِبَرَ، وَامْرَأَتُه مع ذلك عَاقِرٌ، قَالَ: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ﴾، جَعَلَ الْكِبَرَ كَالطَّالِبِ لَهُ لِكَوْنِهِ طَلِيعَةً مِنْ طَلَائِعِ الْمَوْتِ فَأَسْنَدَ الْفِعْلَ إِلَيْهِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿أَيْنَما تَكُونُوا يُدْرِكْكُمُ الْمَوْتُ﴾.[2]

قِيلَ: كَانَ عُمْرُهُ عِنْدَ البِشَارَةِ تِسْعِينَ سَنَةً، وَقِيلَ: كَانَ عِشْرِينَ وَمِائَةَ سَنَةٍ.

وقال هنا: ﴿وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ﴾، وقال في سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا﴾، [مَرْيَمَ: ٨]؛ لأَنَّ مَنْ بَلَغَ الْكِبَرَ فَقَدْ بَلَغَهُ الْكِبَرُ.

وَالْعَاقِرُ: العقيم الَّتِي لَا تَلِدُ. وأصلُ العَقْرِ القطعُ، أَيْ: ذَاتُ عُقْرٍ، أَوْ قَطَعَتْ رَحِمَهَا، وَيُقَالُ: رَجُلٌ عَاقِرٌ: أَيْ: لَا يُولَدُ لَهُ.

﴿قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾.

أَيْ: مثلُ ذلكَ الْفِعْلِ الْعَجِيبِ، وهو إيجادُ الوَلَدِ مِنْ شَيْخٍ هَرِمٍ وَامْرَأَةٍ عَاقِرٍ، بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى له أنه لا رادَّ لأمره، ولا معقبَ لحكمه، وأنه يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ مِنَ العَجَائِبِ لعَظِيمِ قُدْرَتِهِ.

---

١ - سُورَةُ هُودٍ: الْآيَة/ ٧٢

٢ - سُورَةُ النِّسَاء: الآية/ ٧٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٤١

لما بَشَّرَ اللهُ تَعَالَى زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِيَحْيَى، وبينَ له أنه يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وإن تخلفت الأسباب، استعجل زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ – لعظيم فرحه ببشارة الله تعالى له – آيَةً يطمئن بها قلبه، وتسكن لها نفسه إذا رآها؛ لأن أمارات الحمل لا تظهر إلا بعد مدة؛ كما قَالَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾.[1]

كالذي ينظر أمرًا محبوبًا لنفسه قد تعلق قلبه به غاية التعلق، فإذا بشر بتحققه قال لا اطمئن حتى أراه بعيني، وأما ما ذكره بعض المفسرين من أَنَّ زَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ خشي أن تكون تلك البشارة وِسْوَاسًا من الشَّيْطَانِ وَأَنَّ أصوَاتِ الْمَلَائِكَةِ اشتبهت عليه بأصوَاتِ الشياطين، فلا يقبل مع رسل الله عَلَيْهِم السَّلَامُ.

فلما سأل اللهُ تَعَالَى عَلَامَةً يَسْتَدِلُّ بِهَا عَلَى تحققِ البشارةِ، قَالَ اللهُ تَعَالَى له: ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾.

فاستجاب اللهُ تَعَالَى له وأخبره أن عَلَامَةَ ذلك أن يُحْبَسَ لِسَانُهُ عَنْ كَلَامِ النَّاسِ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بلَيَالِيهَا فَإِذَا احْتَاجَ إِلَى خِطَابِ النَّاسِ أَوْمَأَ إِلَيْهِمْ إِيمَاءً، مع قُدْرَتِهِ عَلَى التَّكَلُّمِ بِالتَّسْبِيحِ وَذِكْرِ اللهِ تَعَالَى، وَالِاسْتِثْنَاءُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا رَمْزًا﴾، اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ.

قَالَ اللهُ تَعَالَى هُنَا: ﴿آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا﴾، وَقَالَ فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَ لَيَالٍ سَوِيًّا﴾، [مَرْيَمَ: ١٠] فدلَّ ذلك على أنَّ مدةَ حبسِ لِسَانُهُ عَنْ كَلَامِ النَّاسِ كانتْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، وَثَلَاثَ لَيَالٍ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الآية/ ٢٦٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ﴾.

ثُمَّ أَمَرَهُ اللهُ تَعَالَى بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ شُكْرًا للهِ تَعَالَى عَلَى تِلْكَ النِّعْمَةِ، والأمرُ بالتسبيح بعد الأَمْرُ بالذِّكْرِ مِنْ بَابِ عَطْفِ الخَاصِ عَلَى العَامِ، لفَضْلِ التَّسْبِيحِ وأهميتِهِ.

وَالْعَشِيّ: جَمْعُ عَشِيَّةٍ، وهي مِنَ الزَّوَالِ إِلَى الْغُرُوبِ، وَقِيلَ: مِنْ زَوَالِ الشَّمْسِ إِلَى الصَّبَاحِ، وَالْإِبْكَارُ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الضُّحَى.

وَأَمْرُ اللهِ تَعَالَى لِزَكَرِيَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَثْرَةِ الذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ دليلٌ على فَضْلِ الذِّكْرِ فِي كُلِ حَالٍ؛ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ الْقُرَظِيُّ: لَوْ رَخَّصَ اللَّهُ لأَحَدٍ فِي تَرْكِ الذِّكْرِ، لَرَخَّصَ لِزَكَرِيَّا.[1]

١ - رواه ابن أبي حاتم في تفسيره (٢/ ٦٤٦)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٤٢

فِي الكلامِ حَذْفٌ مُقَدَّرٌ، تَقْدِيرُهُ: (وَاذكرْ إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ...)، وهو معطوف على قوله تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾.[1]

خَاطَبَتْ الْمَلَائِكَةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، مُشَافَهَةً كَرَامَةً لَهَا وَبَيَانًا لِفَضْلِهَا، ولا يلزمُ من ذلك القولُ بِنُبُوتِهَا؛ فإنَّ اللهَ تَعَالَى لَمْ يرسلْ نبيًا إِلَا مِنَ الرِّجَالِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلا رِجَالا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى﴾.[2]

والأدلةُ علَى تكليمِ الملائكةِ لغيرِ الأَنْبِيَاءِ كَثِيرةٌ جِدًا، ويكونُ هَذَا الكلامُ كَرَامَةً مِنَ اللهِ تَعَالَى لهذَا الْمُكَلَّمِ؛ ومِنْ ذلكَ مَا ثَبَتَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَّ رَجُلًا زَارَ أَخًا لَهُ فِي قَرْيَةٍ أُخْرَى، فَأَرْصَدَ اللهُ لَهُ، عَلَى مَدْرَجَتِهِ، مَلَكًا فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ، قَالَ: أَيْنَ تُرِيدُ؟ قَالَ: أُرِيدُ أَخًا لِي فِي هَذِهِ الْقَرْيَةِ، قَالَ: هَلْ لَكَ عَلَيْهِ مِنْ نِعْمَةٍ تَرُبُّهَا؟ قَالَ: لَا، غَيْرَ أَنِّي أَحْبَبْتُهُ فِي اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، قَالَ: فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيْكَ، بِأَنَّ اللهَ قَدْ أَحَبَّكَ كَمَا أَحْبَبْتَهُ فِيهِ».[3]

﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ﴾، يحتمل أن يكون هذا خطاب من عدد من الْمَلَائِكَةِ كما هو ظاهر اللفظ، ويحتمل أن يكون خطابًا منْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ويكون من باب العام الذي يراد به الخصوص.

﴿يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾.

بَشَّرَتْ الْمَلَائِكَةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، بِأَمْرِ اللهِ لَهُمْ: أَنَّ اللَّهَ قَدِ اخْتَارَهَا وَاجْتَبَاهَا، لِفَضْلِهَا وَشَرَفِهَا وعِبَادَتِهَا، وَطُهْرِهَا مِنَ الآثَامِ والْأَكْدَارِ وَالْوَسْوَاسِ، وَاصْطَفَاهَا مَرَّةً ثَانِيَةً عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ، فَوَهَبَ لَهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٣٥

٢ - سُورَةُ يُوسُفَ: الْآيَة/ ١٠٩

٣ - رواه مسلم- كتاب الْبِرِّ وَالصِّلَةِ وَالْآدَابِ، بَابٌ فِي فَضْلِ الْحُبِّ فِي اللهِ، حديث رقم: ٢٥٦٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقدْ بَيَّنَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَضْلَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، في عدةِ أَحَادِيثَ؛ فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، يَقُولُ: «خَيْرُ نِسَائِهَا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ وَخَيْرُ نِسَائِهَا خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ».[1]

وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «كَمَلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَفَضْلُ عَائِشَةَ عَلَى النِّسَاءِ كَفَضْلِ الثَّرِيدِ عَلَى سَائِرِ الطَّعَامِ».[2]

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «حَسْبُكَ مِنْ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عِمْرَانَ، وَآسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَخَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ».[3]

---

١ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ: ﴿وَإِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ العَالَمِينَ، يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ. ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلاَمَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٣]، حديث رقم: ٣٤٣٢، ومسلم– كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ فَضَائِلِ خَدِيجَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، حديث رقم: ٢٤٣٠

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِهِ تَعَالَى ﴿إِذْ قَالَتِ المَلاَئِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ المَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [آل عمران: ٤٥]، حديث رقم: ٣٤٣٣، ومسلم– كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابٌ فِي فَضْلِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهَا، حديث رقم: ٢٤٤٦

٣ – رواه أحمد– حديث رقم: ١٢٣٩١، والترمذي– أَبْوَابُ الْمَنَاقِبِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ فَضْلِ خَدِيجَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، حديث رقم: ٣٨٧٨، والحاكم– كِتَابُ مَعْرِفَةِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ذِكْرُ مَنَاقِبِ فَاطِمَةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حديث رقم: ٤٧٤٥، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٤٣

أَدِيمِي الطَّاعَةَ وَالخُشُوعَ لِرَبِّكِ، والْقُنُوتُ هُوَ الطَّاعَةُ فِي خُشُوعٍ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ﴾.[1]

أَيْ: كُلٌّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ خَاشِعُونَ لأمرِهِ، خَاضِعُونَ لسطانِهِ، مُسْتَسْلِمُونَ لأقدَارِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾. [الْبَقَرَة: ٢٣٨]، أَيْ: خَاشِعِينَ بَيْنَ يَدَيْهِ.

قَالَ قَتَادَةُ: أَدِيمِي الطَّاعَةَ.

ويطلق الْقُنُوتُ ويراد بِهِ طُولُ الْقِيَامِ فِي الصَّلَاةِ؛ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: أَيُّ الصَّلَاةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقُنُوتِ».[2]

قال النووي: الْمُرَادُ بِالْقُنُوتِ هُنَا الْقِيَامُ بِاتِّفَاقِ العلماءِ فيما عَلِمْتُ.

قَالَ مُجَاهِدٌ: لَمَّا قِيلَ لَهَا: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ﴾. قَامَتْ حَتَّى وَرِمَتْ قَدَمَاهَا.

﴿وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

أمرها الله تعالى بطُولِ الْقِيَامِ وَالاكثارِ منَ السُّجُودِ إذا كانت منفردة، وأمرها بِالمحافظة على الصَّلَاةِ فِي الْجَمَاعَةِ، فَقَالَ لَهَا: ﴿وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.

قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: أُمِرَتْ بِالصَّلَاةِ بِذِكْرِ الْقُنُوتِ وَالسُّجُودِ لِكَوْنِهِمَا مِنْ هَيْئَاتِ الصَّلَاةِ وَأَرْكَانِهَا، ثُمَّ قِيلَ لَهَا وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ الْمَعْنَى: وَلْتَكُنْ صَلَاتُكِ مَعَ الْمُصَلِّينَ أَيْ فِي الْجَمَاعَةِ.

وقدم السُّجُودُ عَلَى الرُّكُوعِ، لشرفِهِ عَلَيهِ، ولكونِ الْعَبْدِ أَقْرَبَ مَا يَكُونُ فِيهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنْ كَانَ السُّجُودُ مُتَأَخِّرًا فِي الْفِعْلِ عَلَى الرُّكُوعِ.

---

١ – سُورَةُ الْبَقَرَة: الْآيَة/ ١١٦

٢ – رواه مسلم– كِتَابُ صَلَاةِ الْمُسَافِرِينَ وَقَصْرِهَا، بَابُ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ طُولُ الْقُنُوتِ، حديث رقم: ٧٥٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وفي الآية دليلٌ على أن صلاةَ أهلِ الكتابِ ذاتَ ركوعٍ وسجودٍ، وأما ما يفعله اليهود والنصارى مما يسمونه صلاةً، فليس من دين الله في شيء؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَعَهِدْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ﴾.[1]

١ – سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَة/ ١٢٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٤٤

﴿ذَلِكَ﴾. إِشَارَةٌ إِلَى مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مِنْ حَدِيثِ امْرَأَةِ عِمْرَانَ وَابْنَتِهَا، مَرْيَمَ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

﴿مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ﴾.

وَالْأَنْبَاءُ: جمعُ نَبَإٍ، وهو الخبرُ العظيمُ المهمُ، وَالْإِنْبَاءُ: الْإِخْبَارُ عَمَّا غَابَ عَنْكَ، والمعنى: ذَلِكَ مِنْ أَخْبَارِ الْغَيْبِ المهمةِ التي غَابَتْ عَنْكَ.

﴿نُوحِيهِ إِلَيْكَ﴾.

فَلَا سَبِيلَ لَكَ إِلَى مَعْرِفَتِهِ إِلَّا بِالْوَحْيِ، وَالْوَحْيُ فِي اللُّغَةِ: هُوَ إِعْلَامٌ فِي خَفَاءٍ، ويطْلَقُ ويُرَادُ بِهِ الإِلْهَامُ؛ وَمِنْهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿ وَإِذْ أَوْحَيْتُ إِلَى الْحَوَارِيِّينَ أَنْ آمِنُوا بِي وَبِرَسُولِي...﴾.[1]

وَمِنْهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا...﴾.[2]

وَذَلِكَ قَدْ يَكُونُ بالإِشَارَةِ وَالإِيمَاءِ؛ وَمِنْهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.[3]

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ﴾.

يعني: أَنَّ هَذِهِ الْقِصَّةَ مِنْ دَلَائِلِ نُبُوَتِكَ يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأَنَّكَ مَا كُنْتَ عِنْدَهُمْ فَتُخْبِرهم عَمَّا جَرَى، بَلْ أَوْحَى اللهُ تَعَالَى إِلَيكَ ذَلِكَ وَأَطْلَعَكَ عَلَيهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ حَاضِرًا مَعَهُم، وَشَاهِدًا لِمَا كَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ وهم يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ حِينَ اقْتَرَعُوا فِي شَأْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ أَيُّهُمْ يَكْفُلُهَا، رَغْبَةً مِنْهُم فِي الْأَجْرِ.

---

١ - سُورَةُ الْمَائِدَةِ: الآية/ ١١١

٢ - سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ٦٨

٣ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الآية/ ١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَفِي الكَلَامِ حَذفٌ مُقَدَّرٌ تَقْدِيرُهُ: لِيَنْظُرُوا، فيكون المعنى: إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ لِيَنْظُرُوا أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرِيَمَ.

قَالَ عِكْرِمَةُ: أَلْقَوْا أَقْلَامَهُمْ فِي الْمَاءِ فَذَهَبَتْ مَعَ الْجِرْيَةِ، وَصَعِدَ قَلَمُ زَكَرِيَّا يَغْلِبُ الْجِرْيَةَ فَكَفَلَهَا زَكَرِيَّا.[1]

والمراد بالأَقْلَامِ سِهَامُهُمُ الَّتِي اسْتَهَمَوا بها عَلَى كَفَالَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾.

أَيْ: يَتَنَازَعُونَ بِسَبَبِ تَنَافُسِهِم عَلَى كَفَالَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وكَرَّرَ قَوْلَهُ: ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾، للتَأْكِيدِ عَلَى أَنَّ ذَلِكَ الخَبَرَ وَحْيٌ أَوْحَاه اللهُ تَعَالَى إِلَيهِ.

١ - رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي تفسيره (٢/ ٦٤٩)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٤٥

التَّبْشِيرُ الإِخْبَارُ بِمَا يَسُرُّ، بَشَّرَتْ الْمَلَائِكَةُ مَرْيَمَ بأمرِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيخْلِقَ مِنْهَا وَلَدًا مِنْ غَيْرِ زَوْجٍ وَسَيكُونُ لِذَلِكَ المَوْلُودِ شَأْنٌ عَظِيمٌ.

﴿اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾.

نَسِبَ إِلَى أُمِّهِ؛ لأَنَّهُ ليسَ لَهُ أَبٌ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: وَسُمِّيَ مَسِيحًا؛ لأَنَّهُ كَانَ لَا يَمْسَحُ ذَا عَاهَةٍ إِلَّا بَرِئَ، وَقِيلَ: لِكَثْرَةِ سِيَاحَتِهِ فِي الْأَرْضِ، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ مَمْسُوحٌ بِدُهْنِ الْبَرَكَةِ.

﴿وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

أَيْ: لَهُ جَاهٌ وَقَدْرٌ، وَشَرَفٌ وَمَنْزِلَةٌ عَالِيَةٌ عِنْدَ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا، بِمَا يُوحِيهِ اللَّهُ إِلَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ، لأَنَّهُ أَحَدُ أُولِي الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ، وَفِي الْآخِرَةِ لِمَا لَهُ مِنَ الكَرَامَةِ التي أَعَدَّهَا اللهُ تَعَالَى لِرُسُلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، مِنَ الشَّفَاعَةِ وَعُلُوِ الْمَنْزِلَةِ.

﴿وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾.

تكريم آخرُ مِنَ اللهُ تَعَالَى؛ لأَنَّهُ لَيْسَ كُلُّ وَجِيهٍ فِي الْآخِرَةِ يَكُونُ مُقَرَّبًا؛ لِأَنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ عَلَى مَنَازِلَ وَدَرَجَاتٍ؛ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَكُنْتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً * فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ * وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ * وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾.[1]

١ - سُورَةُ الْوَاقِعَةِ: الآية/ ٧- ١١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةَ/ ٤٦

وَمِنْ صِفَاتِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ: ﴿يُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ﴾، مُعْجِزَةً وَآيَةً، فِي حَالِ صِغَرِهِ، وَالْمَهْدُ: هُوَ مَضْجَعُ الصَّبِيِّ فِي رَضَاعِهِ؛ لإعلان عبوديته لله تعالى، ودعاءِ الناس إِلَى عِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَإِظْهَارًا لبراءَةِ أُمِّهِ مِنَ الإفك الذي رماها به اليهودُ؛ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا (٣٠) وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا (٣١) وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا (٣٢) وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾.[1]

وَالْعَجِيبُ أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ لَيْسَ لَهَا ذِكْرٌ عندَ النَّصَارَى، مَعَ كَوْنِهَا وَاقِعَةٌ عَجِيبَةٌ جِدًّا تَتَوَفَّرُ الدَّوَاعِي عَادَةً عَلَى نَقْلِهَا، وَالعِلَّةُ فِي كِتْمَانِهَا: أَنَّ السَّامِعَ لَهَا سَيُبَادِرُ بِالسُّؤَالِ: مَاذَا قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ تَكَلَّمَ؟ وَكَانتْ أولُ كَلِمةٍ قَالَهَا: (إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ).

﴿وَكَهْلًا﴾، أَيْ: وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي حَالِ كُهُولِيَّتِهِ بالنُّبُوَّةِ حِينَ يُوحِي اللَّهُ إِلَيْهِ.

وقيل: الْفَائِدَةُ فِي ذِكْرِ تَكَلُّمِهِ حَالَ الْكُهُولَةِ معَ أنه ليسَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، بيان كونه عبدًا لله تعالى، وليسَ ابنَ اللهِ تَعَالَى؛ فإنَّ التَّغَيُّرَ عَلَى الْإِلَهِ مُحَالٌ.

وَقَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَفَائِدَةُ الْآيَةِ أَنَّهُ أَعْلَمَهُمْ أَنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يُكَلِّمُهُمْ فِي الْمَهْدِ وَيَعِيشُ إِلَى أَنْ يُكَلِّمَهُمْ كَهْلًا، إِذْ كَانَتِ الْعَادَةُ أَنَّ مَنْ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ لَمْ يَعِشْ.

﴿وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾، أَيْ: مِنْ صَالِحِي الْحَالِ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، ووصفُ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ بالصَّلَاحِ بَعْدَ ذِكْرِ جُملةٍ مِنَ الصِّفَاتِ، مِنْ بَابِ عَطْفِ العامِ علَى الخاصِ؛ فإن الْمَرْءَ لا يكونُ صَالِحًا إِلَّا إِذَا كانتْ جَمِيعُ أقوالِهِ وَأَفْعَالِهِ عَلَى النَّهْجِ الْأَصْلَحِ الَّذِي يحبُهُ اللهُ وَيرْضَاهُ.

---

١ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الآية/ ٣٠- ٣٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٤٧

تعجبت مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ حين بشرها جبريل عليه السلام بالولد لأنها لَيسَتْ بِذَاتِ زَوْجٍ، وَ لَيسَتْ بَغِيًّا، وَالْوَلَدُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَنْ نِكَاحٍ أَوْ سِفَاحٍ، وقولها: ﴿وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ﴾، نفي للنِّكَاحِ أَوْ السِّفَاحِ معًا، كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ مَرْيَمَ: ﴿قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا﴾.[1]

فَقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بأمرِ اللهِ تَعَالَى: ﴿كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، أَيْ كَمِثْلِ هَذَا الْخَلْقِ الْبَدِيعِ يَخْلُقُ اللهُ مَا يَشَاءُ، فاللهُ تَعَالَى لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ.

وَقَالَ تَعَالَى هُنَا: ﴿ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾، فعَبَّرَ بِالْخَلْقِ، وَقَالَ تَعَالَى فِي بِشَارَةِ زَكَرِيَّا بِيَحْيَى ﴿اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾. [آلِ عِمْرَانَ: ٤٠]، فعَبَّرَ بِالْفِعْلِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا خَلْقٌ وَفِعْلٌ؛ لأن لَفْظَ الْخَلْقِ يُسْتَعْمَلُ الْإِيجَادِ وَلَوْ بِغَيْرِ سَبَبٍ، وَلَفْظُ الْفِعْلِ يُسْتَعْمَلُ فِيمَا يَجْرِي عَلَى قَانُونِ الْأَسْبَابِ وَإِيجَادُ عِيسَى إِيجَادٌ بِغَيْرِ سَبَبٍ؛ فكانَ التَّعْبِيرُ عَنْهُ بِالْخَلْقِ أَنْسَبُ، وَفِي قِصَّةِ زَكَرِيَّا السَبَبُ قَائِمٌ.

﴿إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.

أصلُ الْقَضَاءِ فِي اللُّغَةِ: الْقَطْعُ والفَصْلُ، وسمي الْقَاضِي بذلك لأنه يفصلُ فِي الْأُمُورِ.

الْقَضَاءُ يَرِدُ فِي الْقُرْآنِ ويُرَادُ به عِدَّةُ معانٍ: الأَوْلُ بِمَعْنَى الْإِرَادَةِ؛ كَمَا فِي هَذِهِ الآيَةِ؛ أي: إذا أَرَادَ اللهُ أَمْرًا فلا رَادَّ لأمرِهِ، ولَا مُعَقِبَ لحُكْمِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَالثَّانِي بِمَعْنَى الْأَمْرُ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾. [الْإِسْرَاءِ: ٢٣]، يَعْنِي: أَمَرَ.

وَالثَّالِثُ بِمَعْنَى الْخَلْقِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَقَضاهُنَّ سَبْعَ سَماواتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾. [فُصِّلَتْ: ١٢]، يَعْنِي: خَلَقَهُنَّ.

---

١ - سُورَةُ مَرْيَمَ: الآية/ ٢٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَالرَّابِعُ بِمَعْنَى الْحُكْمِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾. [طه: ٧٢]، يَعْنِي: احْكُمْ بِمَا تَحْكُمُ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ﴾. [سَبَأ: ١٤]، أَيْ: فَلَمَّا حَكَمْنَا.

وَالخَامِسُ بِمَعْنَى الْفَرَاغِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَإِذا قَضَيْتُمْ مَناسِكَكُمْ﴾. [الْبَقَرَة: ٢٠٠]، يَعْنِي: فَرَغْتُم مِنْهَا.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِذا قُضِيَتِ الصَّلاةُ﴾. [الْجُمُعَةِ: ١٠]، يَعْنِي: فُرِغَ مِنْهَا.

والسَّادِسُ بِمَعْنَى الْعَهْدِ؛ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الأمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ﴾. [الْحِجْرِ: ٦٦]، أَيْ: عَهِدْنَا إِلَيْهِ.

وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الأرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾. [الْإِسْرَاءِ: ٤]، أَيْ: عَهِدْنَا إِلَيْهِم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ (٤٨) وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٤٨ - ٤٩

أخبرَ اللهُ تَعَالَى أَنَّ مِنْ تَمَامِ بِشَارَةِ الْمَلَائِكَةِ لِمَرْيَمَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُعَلِّمُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾، الْكِتَابُ: هُنَا مَصْدَرٌ، وَالْمُرَادُ بِهِ تَعْلِيمُ الْكِتَابَةِ، وَالْمُرَادُ بِالْحِكْمَةِ هُنَا تَعْلِيمُ الْعُلُومِ الشَّرْعِيَّةِ، وَيُعَلِّمُهُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ، وَالتَّوْرَاةُ: هُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى مُوسَى بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالْإِنْجِيلُ: الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وَيَبْعَثُهُ اللهُ تَعَالَى رَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ، قَائِلًا لهم: ﴿أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾، أي: قَدْ جِئْتُكُمْ بمعجزة هي برهان على صدق رسالتي إليكم، وَآيَةُ اسمُ جِنْسٍ، وليس الْمُرَادُ آيةً واحدةً؛ لِأَنَّهُ ذكرَ أَنْوَاعًا مِنَ الْآيَاتِ، وقال: ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾، ليبين أن الله تعالى هو الذي أجراها على يديه.

ثم فصلها فقال: ﴿أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾. أَيْ: يُصَوِّرُ لَهُمْ مِنَ الطِّينِ صُورةً عَلَى شَكْلِ طَائِرٍ، فَتَحِلُّ فيه الْحَيَاةُ ويَطيرُ بِإِذْنِ اللَّهِ، والمرادُ بالْخَلْقِ هنا: التَّقْدِيرُ لا الإيجادُ مِنَ العَدَمِ؛ ومنه قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾. [الْمُؤْمِنُونَ: ١٤] أَيِ الْمُقَدِّرِيْنَ.

وقال: ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ لِإِظْهَارِ عُبُودِيَّتِهِ للهِ تَعَالَى، وَنَفْيِ تَوَهُّمِ أَنْ يكونَ فيه شَيءٌ مِنْ صِفَاتِ اللهِ تَعَالَى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ﴾.

ويُدَاوي بِإِذْنِ اللَّهِ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ، وَالْأَكْمَهُ مَنْ وُلِدَ أَعْمَى، وَالْأَبْرَصُ: الْمُصَابُ بِدَاءِ الْبَرَصِ وَهُوَ دَاءٌ جِلْدِيٌّ مستقذرٌ، وَخَصَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ هَذَينِ المرَضَينِ بالذِّكْرِ لأَنَّهُمَا يسْتَعصِيَانِ عَلَى الأَطِبَاءِ.

﴿وَأُحْيِ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾.

وَمن أظهر مُعْجِزَاتِ الْمَسِيحِ عليه السلامُ إِحْيَاءُ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وذكرُ الْمَوْتَى دليلُ على أن الإحياءَ تكررَ ولم يكن مرة واحدةً.

﴿وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ﴾.

أي: يُخْبِرُهُمْ عَنْ أَحْوَالِهِمُ الْخَفِيَّةِ الَّتِي لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهَا غَيرُهُم فَيُخْبِرُهُمْ بِمَا أَكَلُوهُ فِي بُيُوتِهِمْ، وَمَا عِنْدَهُمْ مُدَّخَرٌ فِيهَا، ولا شَكَّ أَنَّها مِنْ قَبِيلِ الْمُعْجِزَاتِ الظاهرةِ.

﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾.

فإنَّه لَا ينتفعُ بالْمُعْجِزَاتِ، إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ الْمُصَدِّقُون المنقادُونَ للحقِّ، غيرُ المعَانِدِينَ لَهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ (٥٠) إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٥٠ – ٥١

أي: وَجِئْتُكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا نَزَلَ قَبْلِي فِي التَّوْرَاةِ مِنَ التَّشرِيعَاتِ والأَحْكَامِ، وَكَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مُؤْمِنًا بِالتَّوْرَاةِ، عَامِلًا بِمَا فيها، لَمْ يُخَالِفْ شَيْئًا مِنْ أَحْكَامِهَا، إِلَّا مَا خَفَّفَ اللَّهُ عَلَى لِسَانِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

﴿وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ﴾.

أَحَلَّ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ عَلَى لِسَانِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، مَا حُرِّمَ عَلَيْهِمْ بِسَبَبِ ذُنُوبِهِمْ مِنْ أَكْلِ الشُّحُومِ، وَكُلِّ ذِي ظُفُرٍ، وَفِي الآيَةِ دَلِيلٌ عَلَى وقوعِ النَّسْخِ عِنْدَ أَهلِ الكِتَابِ فإِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، نَسَخَ بَعْضَ أَحْكَامِ التَّوْرَاةِ.

﴿وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾.

أي: جِئْتُكُمْ بِحُجَّةٍ وَاضِحَةٍ وَبرهان قَاطِعٍ عَلَى صِدْقِي فِيمَا أَقُولُهُ لَكُمْ، وآيةٌ اسم جنس يدخل تحتها كل ما أجراه الله تعالى على يديه من المعجزات.

قال الفخر الرازي: وَإِنَّمَا أَعَادَهُ لِأَنَّ إِخْرَاجَ الْإِنْسَانِ عَنِ الْمَأْلُوفِ الْمُعْتَادِ مِنْ قَدِيمِ الزَّمَانِ عَسِرٌ فَأَعَادَ ذِكْرَ الْمُعْجِزَاتِ لِيَصِيرَ كَلَامُهُ نَاجِعًا فِي قُلُوبِهِمْ وَمُؤَثِّرًا فِي طِبَاعِهِمْ.[1]

﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾.

اتَّقُوا اللَّهَ أنْ تُخَالِفُوا أَمْرَهُ وَنَهْيَهُ، وَأَطِيعُونِ فِيمَا دَعَوْتُكُمْ إِلَيْهِ.

---

١ – مفاتيح الغيب (٨/ ٢٣١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ﴾.

إقرارٌ مِنْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بالْعُبُودِيَّةِ للهِ وَالْخُضُوعِ لَهُ، وأنَّ الخَلقَ فِي ذلكَ سَوَاءٌ، لِئَلَا يَتَقَولَ عَلَيهِ مُتَقَولٌ.

﴿فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ﴾.

فَإِنَّهُ لَا مَعْبُودَ بحقٍّ سِوَاهُ، وَهَذَا هُوَ الْحَقُّ الْوَاضِحُ، الطَّرِيقُ الْمُسْتَقِيمُ، الْمُوَصِلُ إِلَى اللهِ تَعَالَى، الَّذِي لَا يَضِلُّ سَالِكُهُ وَلَا يَزِيغُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٥٢

الْإِحْسَاسُ: الْإِدْرَاكُ بِبَعْضِ الْحَوَاسِّ الْخَمْسِ، وَمَعْنَاهُ هُنَا: فَلَمَّا عَلِمَ عِيسَى مِنَ اليهودِ الْكُفْرَ وَوَجَدَه منهم بالقرائن، كأنْ يكونوا تَكَلَّمُوا بِالْكُفْرِ فسمع ذلك بِأُذُنِهِ، أو يكون استشعر منهم الإقامةَ على الضلالِ وَإِرادةَ قتله.

﴿قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾.

تَعَدَّى لَفْظُ (أَنْصَارِي) بِـ (إِلَى) ؛ لأنه ضُمِّنَ مَعْنَى الضَّمِّ، وَالْمَعْنَى: مَنْ يَضُمُّ نُصْرَتَهُ لِي إِلَى نُصْرَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فيكونَ سببًا في حُصُولِ النَّصْرِ الذي وعدنيه اللهُ تَعَالَى؟

وإنما اسْتَنْصَرَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْحَوَارِيِّينَ؛ لِأَنَّ اليهود أَرَادُوا قَتْلَهُ.

﴿قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾.

وَالْحَوَارِيُّونَ: خَاصَّةُ الرَّجُلِ مِنْ أَصْحَابِهِ وَأَنْصَارِهِ؛ عَنْ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَا كَانَ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ حَوَارِيُّونَ يَهْتَدُونَ بِهَدْيِهِ، وَيَسْتَنُّونَ بِسُنَّتِهِ».[1]

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوَارِيًّا، وَإِنَّ حَوَارِيَّ الزُّبَيْرُ بْنُ العَوَّامِ».[2]

وَالْحَوَارِيُّونَ لَقَبٌ لِأَصْحَابِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: الَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَلَازَمُوهُ.

وقولهم: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾، أَيْ: نَحْنُ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ وَأَنْصَارُ نَبِيِّ اللَّهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ.

---

١ - رواه مسلم- بَابُ بَيَانِ كَوْنِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَأَنَّ الْإِيمَانَ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ، وَأَنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَاجِبَانِ، كِتَابُ الْإِيمَانَ، حديث رقم: ٥٠

٢ - رواه البخاري- كتَابُ أَصْحَابِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابُ مَنَاقِبِ الزُّبَيْرِ بْنِ العَوَّامِ، حديث رقم: ٣٧١٩، ومسلم- كتابُ فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، حديث رقم: ٢٤١٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

بيانٌ لعلةِ قولهم: ﴿نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ﴾؛ لِإِنَّ الْإِيمَانَ بِاللَّهِ يُوجِبُ على صاحبِهِ نُصْرَةَ دِينِ اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

أَشْهَدُوا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ على قولهم للدلالةِ عَلَى إسلامهم، وصِدْقِ إِيمَانِهِمْ، وحسن متابعتهم لنبيهم، وفي الآية دليل على أن دين الأنبياء جميعًا هو الإسلام، وهو دين أتباعهم؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.[1]

١ - سورة آل عمران: الآية/ ٨٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٥٣) وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٥٣، ٥٤

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ الْحَوَارِيِّينَ أَنَّهُمْ قَالُوا: ﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ﴾، أَيْ: صَدَّقْنَا بِمَا أَنْزَلْتَ فِي كِتَابِكَ عَلَى نَبِيِّكَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَاتَّبَعْنَا رَسُولَكَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فِيمَا بَلَّغَنَا مِنْ أَمْرِكَ وَنَهْيِكَ، وَإِنَّمَا ذَكَرُوا الإِيمَانَ والاتِّبَاعَ لِأَنَّهُمَا شَرْطَا قَبُولِ العملِ، وَتَوسَّلُوا بِهِمَا إِلَى اللهِ تَعَالَى لِتَحْقِيقِ مَطْلُوبِهِم، وَنَيلِ مُرَادِهِم.

﴿فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

أَيْ: اكْتُبْنَا فِي جُمْلَةِ مَنْ شَهِدَ لَكَ بِالتَّوْحِيدِ، وَلِأَنْبِيَائِكَ بِالتَّصْدِيقِ.

وَقِيلَ: فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ لِلرَّسُولِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِتَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ، وَعَلَى قَوْمِهِ بِمَا كَانَ مِنْهُمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالْجُحُودِ، وَكَانَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ بَشَّرَ بِهِ؛ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾.[1]

﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ﴾.

الْمَكْرُ: الِاحْتِيَالُ وَالْخِدَاعُ، وَالسَّعْيُ بِالْفَسَادِ فِي خَفَاءٍ.

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى عَنِ احْتِيَالِ اليَهُودِ وَخُبثِهِم حَيثُ تَوَاطَئُوا عَلَى قَتْلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَمَكَرَ اللهُ تَعَالَى بِهِم فأبطلَ مَكْرَهُمْ، وَرَفَعَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى السَّمَاءِ، وَأَلْقَى شَبَهَهُ عَلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ، فَأُخِذَ وَصُلِبَ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: مَكْرُ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ مُجَازَاتُهُمْ عَلَى مَكْرِهِمْ فَسَمَّى الْجَزَاءَ بِاسْمِ الِابْتِدَاءِ؛ لِأَنَّهُ فِي مُقَابَلَتِهِ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ﴾. [الْبَقَرَة: ١٥]، ﴿وَهُوَ خَادِعُهُمْ﴾. [النِّسَاءِ: ١٤٢]

وَعَبَّرَ تَعَالَى عَنْ مُجَازَاتِهِمْ بِالْمَكْرِ عَلَى طَرِيقِ الْمُشَاكَلَةِ.

---

١ - سُورَةُ الصَّفِّ: الآية/ ٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾.

أَيْ: وَاللَّهُ أَنْفَذُهُمْ كَيْدًا، وَأَقْوَاهُمْ عَلَى إِيصَالِ الضَّرَرِ بِمَنْ يُرِيدُ إِيصَالَهُ بِهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ.

قالَ شيخُ الإسلامِ رحمه اللهُ في صِفَتَيِ الْمَكْرِ وَالْكَيْدِ: وَهُمَا مِنْ صِفَاتِ الْفِعْلِ الِاخْتِيَارِيَّةِ، وَلَكِنْ لَا يَنْبَغِي أَنْ يشتقَّ لَهُ مِنْ هَاتَيْنِ الصِّفَتَيْنِ اسْمٌ، فَيُقَالَ: مَاكِرٌ، وَكَائِدٌ؛ بَلْ يُوقَفُ عِنْدَ مَا وَرَدَ بِهِ النَّصُّ مِنْ أَنَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ، وَأَنَّهُ يَكِيدُ لِأَعْدَائِهِ الْكَافِرِينَ.[1]

١ - شرح العقيدة الواسطية للهراس (ص: ١٢٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٥٥

هذا تفسير مَكْرِ اللَّهِ تَعَالَى بِاليَهُودِ الَّذِينَ حَاوَلُوا قَتْلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾، وَالْمُرَادُ بِالْوَفَاةِ هَاهُنَا: النَّوْمُ، وَالنَّوْمُ هو الوفاة الصغرى؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾.[2]

قَالَ الْحَسَنُ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ﴾ يَعْنِي: وَفَاةَ الْمَنَامِ، رَفَعَهُ اللَّهُ فِي مَنَامِهِ.

فالله تعالى رفع عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حيًّا إلى السماءِ، وأما قَوْلُهُ تَعَالَى عن عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾. [النِّسَاءِ: ١٥٩] فَإِنَّ ذَلِكَ حِينَ يَنْزِلُ إِلَى الْأَرْضِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، كَمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا عَدْلًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، وَيَفِيضَ المالُ حَتَّى لاَ يَقْبَلَهُ أَحَدٌ».[3]

﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾، أَي: إِلَى مَحَلِّ كَرَامَتِي، وَجَعَلَ ذَلِكَ رَفْعًا إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ تَعْظِيمًا لشأنِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورفعًا لقدره؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى عن إبراهيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ﴾.[4]

قَالَ الْحَسَنُ: رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَهُوَ عِنْدَهُ فِي السَّمَاءِ.

---

١ – سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الْآيَة/ ٦٠

٢ – سُورَةُ الزُّمَرِ: الْآيَة/ ٤٢

٣ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ نُزُولِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ، حديث رقم: ٣٤٤٨

٤ – سُورَةُ الصَّافَّاتِ: الْآيَة/ ٩٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وقيلَ فِي الآيةِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، وَالْوَاوُ لَا تَقْتَضِي التَّرْتِيبَ، وتَقْدِيرُ الكَلَامِ: (إِنِّي رَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمُتَوَفِّيكَ بَعْدَ أَنْ تَنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ)، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكانَ لِزاماً وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾. [طه: ١٢٩]، وَالتَّقْدِيرُ: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ وَأَجَلٌ مُسَمًّى لَكانَ لِزاماً.

﴿وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾.

اللهُ تَعَالَى جَعَلَ خَلَاصَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا تَطْهِيرًا لَهُ؛ لما كانوا يرمونه به من السوء، ولما كانوا عليه من نجاسة الاعتقاد، فالْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾.[1]

﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.

وعد الله تعالى عيسى عليه السلام أن يجعل من آمن به وَاتَّبَعَهُ ظاهرين على اليهودِ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وقد تحقق وعد الله تعالى، فقد جَعَلَ اللهُ الْحَوَارِيِّينَ وَمَنِ آمن بالْمَسِيحِ واتَّبَعَهُ قَاهِرِينَ لِلْيَهُودِ، إِلَى أَنْ نُسِخَتْ شَرِيعَةُ عيسى عليه السلام، وبعثَ الله تعالى مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فرفع شأن عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وأمه؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ».[2]

فَالَّذِينَ اتَّبَعُوا الْمَسِيحَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَأَمَّا بَعْدَ بعثةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَالَّذِينَ اتَّبَعُوا الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُمُ الْمُسْلِمُونَ.

---

١ – سُورَةُ التَّوْبَةِ: الآية/ ٢٨

٢ – رواه البخاري– كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، حديث رقم: ٣٤٤٣، ومسلم– كتاب الْفَضَائِلِ، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديث رقم: ٢٣٦٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وَقدْ حَكمَ الله تعالى في هذه الآية على الْيَهُودِ بِالْقَهْرِ والذلِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فما من بلد يجتمع فيه الْيَهُودُ والنَّصَارَى إِلَّا والنَّصَارَى – على كفرهم – فَوْقَ الْيَهُودِ، فهُمْ مُسْتَذَلُّونَ فِي العالم كله.

وأما استعلاء الَّذِينَ كَفَرُوا من اليهود والنصارى على المسلمين في أيامنا هذه فسببه انحراف المسلمين عن دينهم واختلال شرط التمكين عندهم، ومع ذلك فهي سحابة صيف يوشك أن تنقشع، والتمكين والاستخلاف وَعْدُ اللَّهِ لهذه الأمة؛ قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا﴾.[1]

﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾.

ثُمَّ مَصِيرُ الْفَرِيقَيْنِ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِهِ إلى الله تعالى يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

﴿فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.

أي: فأقضي بينكم فِيمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ، من الإيمان بالْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وتصديقه، والكفر به وتكذيبه.

وفي الآية الْتِفَاتٌ من الغيبةِ إلى الْخِطَابِ، للتَّهْدِيدِ، والمبالغةِ في الزجرِ.

---

١ – سُورَةُ النُّورِ: الْآيَة/ ٦٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ (٥٦) وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٥٧) ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٥٦، ٥٨

توعد اللهُ تَعَالَى الَّذِينَ كَفَرُوا بالله تَعَالَى مِنَ الْيَهُودِ الَّذِينَ جَحَدُوا نُبُوَّةَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَالنَّصَارَى الَّذِينَ خَالِفُوا مِلَّتَهُ وغيرهم منْ سَائِرِ الْمِلَلِ، بالعَذَابِ الشَّدِيدِ فِي الدُّنْيَا قتلًا وذلًّا وتشريدًا، وَفِي الْآخِرَةِ بالنَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَبِئْسَ المصيرِ.

﴿وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

ولَيسَ لَهُمْ مَنْ يَدْفَعُ عَنْهُم بَأسَ اللهِ إِذَا نَزَلَ بهم في الدنيا، ولَا مَنْ يَرُدُّ عَنْهُم عَذَابَ اللهِ إِذَا حَقَّ عَلَيهِم في الآخرةِ.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ تَعَالَى وَأَقَرُّوا بِنُبُوَّةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبِمَا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَ أَعْمَالِهِمْ، وَالتَّوْفِيَةُ: إِعْطَاءُ الشَّيْءِ وَافِيًا مِنْ غَيْرِ نَقْصٍ، وَذكر عَمِلِ الصَّالِحَاتِ بَعدَ الْإِيمَانِ ترغيبًا في تحقيقِ أَعْلَى درجاتِ الْكَمَالِ فِي الْإِيمَانِ، .

﴿وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾.

وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ مَنْ ظَلَمَ غَيْرَهُ حَقًّا لَهُ، فَكَيْفَ يَظْلِمُ خَلْقَهُ سبحانه فيُجَازِي الْمُحْسِنَ جَزَاءَ الْمُسِيئِ؟

﴿ذَلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ﴾.

ذَلِكَ الذي قَصَّه اللهُ تَعَالَى، مِنْ أَمْرِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والْحَوَارِيِّينَ الذين آمنوا به، وَالْيَهُودِ الذين كذبوه مِنَ الْآيَاتِ نَقْرَؤُهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بواسطةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، بِوَحْيِنَا إِلَيْكَ مِنْ الْقُرْآنِ ذِي الْحِكْمَةِ البالغةِ، والحُجةِ الدَّامغةِ.

قَالَ الزَّجَّاجُ: لِأَنَّهُ ذُو حِكْمَةٍ فِي تَأْلِيفِهِ وَنَظْمِهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وقيل: الْحَكِيمِ يَعْنَى الْمُحْكَم، الذي أُحْكِمَ فليسَ فيهِ خَلَلٌ، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾.[1]

١ - سُورَةُ هُودٍ: الآية/ ١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ (٥٩) الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٥٩، ٦٠

يخبرُ تَعَالَى أَنَّ مَثَلَ عِيسَى فِي خَلْقِ اللهِ تَعَالَى إياه مِنْ غَيْرِ أَبٍ كَمَثَلِ آدَمَ فإِنَّ اللهَ تَعَالَى خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ، بلْ خَلقُ آدَمَ مِنْ تُرَابٍ أدل على قدرة اللهِ تَعَالَى، فَلَيْسَ خَلْقُ عِيسَى مِنْ غَيْرِ أَبٍ بِأَعْجَبَ مِنْ آدَمَ.

سبب نزول الآية:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾. "وَذَلِكَ أَنَّ رَهْطًا مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ قَدِمُوا عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ فِيهِمُ السَّيِّدُ وَالْعَاقِبُ، فَقَالُوا لِمُحَمَّدٍ: مَا شَأْنُكَ تَذْكُرُ صَاحِبَنَا؟ فَقَالَ: «مَنْ هُوَ؟» قَالُوا: عِيسَى، تَزْعُمُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ: «أَجَلْ إِنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ» قَالُوا لَهُ: فَهَلْ رَأَيْتَ مِثْلَ عِيسَى أَوْ أُنْبِئْتَ بِهِ؟ ثُمَّ خَرَجُوا مِنْ عِنْدِهِ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِأَمْرِ رَبِّنَا السَّمِيعِ الْعَلِيمِ، فَقَالَ: قُلْ لَهُمْ إِذَا أَتَوْكَ ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[1]

وَقال السُّدِّيُّ: لَمَّا بُعِثَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَسَمِعَ بِهِ أَهْلُ نَجْرَانَ، أَتَاهُ مِنْهُمْ أَرْبَعَةٌ مِنْ خِيَارِهِمْ، مِنْهُمُ الْعَاقِبُ، وَالسَّيِّدُ، وَمَاسَرْجُسُ وَمارِيحَزُ، فَسَأَلُوهُ مَا يَقُولُ فِي عِيسَى، فَقَالَ: «هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرُوحُهُ وَكَلِمَتُهُ» ، قَالُوا هُمْ: لَا، وَلَكِنَّهُ هُوَ اللَّهُ، نَزَلَ مِنْ مُلْكِهِ فَدَخَلَ فِي جَوْفِ مَرْيَمَ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا فَأَرَانَا قُدْرَتَهُ وَأَمْرَهُ، فَهَلْ رَأَيْتَ قَطَّ إِنْسَانًا خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ؟ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.[2]

وكذا قال قَتَادَةُ وَعِكْرِمَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ وغيرهم.

---

١ – رواه ابن جرير (٥/ ٤٦٠)، وابن أبي حاتم في التفسير(٢/ ٦٦٥)

٢ – رواه ابن جرير (٥/ ٤٦١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وإنما افتُتِنَ النصارى بعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وقالوا عنه إِنَّهُ ابنُ اللهِ لأنه خُلِقَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ، وإنما أراد اللهُ تَعَالَى أن يظهر قدرتِهِ لعِبَادِهِ؛ فَمِنْ دَلَائِلِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى فِي الخَلْقِ: أَنَّه خَلَقَ آدَمَ مِنْ غيرِ ذَكَرٍ وَلَا مِنْ أُنْثَى؛ وَخَلَقَ حَوَّاءَ مِنْ ذَكَرٍ بِلَا أُنْثَى، وَخَلَقَ عِيسَى مِنْ أُنْثَى بِلَا ذَكَرٍ وَخَلَقَ سَائِرَ البَشَرِ مَنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى؛ وقدْ ذَكَّرَ اللهُ تَعَالَى العِبَادَ بهذِهِ الآيَةِ العَجِيبَةِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾.[1]

وَخَلْقَ اللهُ تَعَالَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلِمَةِ: كُنْ، فَكَانَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ، خَلَقَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَلِمَةِ: كُنْ، فَكَانَ كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ.

﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾.

المرية: التردد في الأمر، وهي أخص من الشك.

يَعْنِي: هذا الَّذِي ذكرته لك يا محمد أَنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ اللهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فكانَ كما أراد اللهُ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ، فَلَا يَكُنْ عِنْدَكَ فِي ذَلِكَ شَكٌّ.

---

١ – سُورَةُ النِّسَاءِ: الآية/ ١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٦١

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة أَنَّهُ لَمَّا قدم وَفْدُ نَصَارَى نَجْران عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سِتُّونَ رَاكِبًا، فِيهِمْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ أَشْرَافِهِمْ، مِنْهُمْ ثَلَاثَةٌ يَئُولُ إِلَيْهِمْ أَمْرُهُمْ: الْعَاقِبُ، وهو أَمِيرُهم، وَاسْمُهُ عَبْدُ الْمَسِيحِ، وَالسَّيِّدُ، وَاسْمُهُ الْأَيْهَمُ، وَأَبُو حَارِثَةَ بْنُ عَلْقَمَةَ، أَسْقُفُهُمْ وَحَبْرُهُمْ.

فَأَوْرَدَ عَلَيهم رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، الدَّلَائِلَ عَلَى وحدانية الله تعالى، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فأَصَرُّوا عَلَى جَهْلِهِمْ، وأبوا الانقيادَ للحقِ؛ فَقَالَ لهم رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي إِنْ لَمْ تَقْبَلُوا الْحُجَّةَ أَنْ أُبَاهِلَكُمْ».

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْخَبَرُ مِنَ اللَّهِ عَنْهُ، وَالْفَصْلُ مِنَ الْقَضَاءِ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمْ، وَأَمَرَ بِمَا أُمِرَ بِهِ مِنْ مُلَاعَنَتِهِمْ إِنْ رَدُّوا ذَلِكَ عَلَيْهِ، دَعَاهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَقَالُوا لَهُ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، دَعْنَا نَنْظُرْ فِي أَمْرِنَا، ثُمَّ نَأْتِيكَ بِمَا نُرِيدُ أَنْ نَفْعَلَ فِيمَا دَعَوْتَنَا إِلَيْهِ. فَانْصَرَفُوا عَنْهُ، ثُمَّ خَلَوْا بِالْعَاقِبِ، وَكَانَ ذَا رَأْيِهِمْ، فَقَالُوا: يَا عَبْدَ الْمَسِيحِ، مَاذَا تَرَى؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا مَعْشَرَ النَّصَارَى لَقَدْ عَرَفْتُمْ أَنَّ مُحَمَّدًا لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْفَصْلِ مِنْ خَبَرِ صَاحِبِكُمْ، وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا لَاعَنَ قَوْمٌ نَبِيًّا قَطُّ فَبَقِيَ كَبِيرُهُمْ، وَلَا نَبَتَ صَغِيرُهُمْ، وَإِنَّهُ لَلِاسْتِئْصَالُ مِنْكُمْ إِنْ فَعَلْتُمْ، فَإِنْ كُنْتُمْ قَدْ أَبَيْتُمْ إِلَّا إِلْفَ دِينِكُمْ، وَالْإِقَامَةَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَوْلِ فِي صَاحِبِكُمْ، فَوَادِعُوا الرَّجُلَ، ثُمَّ انْصَرِفُوا إِلَى بِلَادِكُمْ.

فَأَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، قَدْ رَأَيْنَا أَلَّا نُلَاعِنَكَ، وَأَنْ نَتْرُكَكَ عَلَى دِينِكَ وَنَرْجِعَ عَلَى دِينِنَا، وَلَكِنِ ابْعَثْ مَعَنَا رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ تَرْضَاهُ لَنَا، يَحْكُمْ بَيْنَنَا فِي أَشْيَاءَ اخْتَلَفْنَا فِيهَا مِنْ أَمْوَالِنَا، فَإِنَّكُمْ عِنْدَنَا رِضًا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ﴾.

الْمُحَاجَّةُ هِيَ: أَنْ يَأْتِي كُلُّ وَاحِدٍ مِنْ الخَصْمَينِ بحُجَّته.

لَمَّا أخبرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَثَلَ عِيسَى كَمَثَلِ آدَمَ، وَأَنَّه عبدٌ للهِ خَلْقَه اللهُ تَعَالَى بِكَلِمَةِ: كُنْ، فَكَانَ، وَبَيَّنَ اللَّهُ تَعَالَى أَتمَّ بيانٍ؛ قال هنا لرسوله مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: فَمَنْ جَادَلَكَ يَا مُحَمَّدُ فِي عِيسَى مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فِي الْقُرْآنِ بِأَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ، فَادْعُهُم إِلَى الْمُبَاهَلَةِ.

قوله تعالى: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ﴾.

الِابْتِهَالُ أَصْلُهُ: الِاجْتِهَادُ فِي الدُّعَاءِ بِاللَّعْنِ، وهو مُشْتَقٌّ مِنَ الْبَهْلِ وَهُوَ: اللَّعْنُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الِاجْتِهَادِ فِي الدُّعَاءِ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَ بِاللَّعْنِ يَجْتَهِدُ فِي دُعَائِهِ.

وَقِيلَ: نَبْتَهِلْ، أَيْ نَتَضَرَّعُ إِلَى اللَّهِ.

أَيْ: يَدْعُ كُلٌّ منا وَمِنْكُمْ أَبْنَاءَهُ وَنِسَاءَهُ وَنَفْسَهُ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ.

وقَدْ فَعَلَ ذَلكَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ.....﴾. دَعَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلِيًّا وَفَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا فَقَالَ: «اللهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلِي».[1]

﴿فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾.

أَيْ: يَقُولُ كُلٌّ مِنَّا: لَعَنَ اللَّهُ الْكَاذِبَ مِنَّا فِي أَمْرِ عِيسَى.

---

١ – رواه مسلم– كتاب فَضَائِلِ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، بَابُ مِنْ فَضَائِلِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حديث رقم: ٢٤٠٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَهَذِهِ الْآيَةُ مِنْ أَعْلَامِ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِأَنَّهُ دَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ فَأَبَوْا، وَرَضُوا بِالْجِزْيَةِ بَعْدَ أَنْ أَعْلَمَهُمْ كَبِيرُهُمُ الْعَاقِبُ أَنَّهُمْ إِنْ بَاهَلُوهُ اسْتَأْصَلَهم اللهُ تَعَالَى بدُعَائِهِ، وَقَدْ كَانُوا يَعْرِفُونَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منْ كُتُبِهِم وكَانُوا يَنْتَظِرُونَهُ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ نَجْرَانَ، جَلَسَ أَبُو حَارِثَةَ عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ مُوَجِّهًا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَإِلَى جَنْبِهِ أَخٌ لَهُ، يُقَالُ لَهُ: كُوزُ بْنُ عَلْقَمَةَ، فَقَالَ كُوزٌ: تَعِسَ الْأَبْعَدُ: يُرِيدُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَقَالَ لَهُ أَبُو حَارِثَةَ: بَلْ أَنْتَ تَعِسْتَ. فَقَالَ: وَلِمَ يَا أَخِي؟ قَالَ: وَاللَّهِ إِنَّهُ لَلنَّبِيُّ الَّذِي كُنَّا نَنْتَظِرُ، فَقَالَ لَهُ كُوزٌ: مَا يَمْنَعُكَ مِنْهُ وَأَنْتَ تَعْلَمُ هَذَا؟ قَالَ: مَا صَنَعَ بِنَا هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ، شَرَّفُونَا وَمَوَّلُونَا وَأَكْرَمُونَا، وَقَدْ أَبَوْا إِلَّا خِلَافَهُ، فَلَوْ فَعَلْتُ نَزَعُوا مِنَّا كُلَّ مَا تَرَى.

فَأَضْمَرَ عَلَيْهَا مِنْهُ أَخُوهُ كُوزُ بْنُ عَلْقَمَةَ، حَتَّى أَسْلَمَ بَعْدَ ذَلِكَ. فَهُوَ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْهُ هَذَا الْحَدِيثَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (٦٢) فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٦٢، ٦٣

أَيْ: إِنَّ هَذَا الَّذِي قَصَّهُ اللهُ تَعَالَى مِنَ خَبَرِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ.

والمراد بالْقَصَصِ: الْخَبَرُ الْمُشْتَمِلُ عَلَى الْمَعَانِي الْمُتَتَابِعَةِ؛ وَأَصْلُ الْقَصَصِ: اتِّبَاعُ الْأَثَرِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ [الْقَصَصِ: ١١]، أيْ: تتبعي أثره.

وَقِيلَ لِلْقَاصِّ قَاصٌّ لِأَنَّهُ يَتَتَبَّعُ الأَخبَارَ خَبَرًا بَعْدَ خَبَرٍ.

ودخولُ اللَّامَ لتأكيدِ الْخَبَرِ، وَتقديمُ ضَمِيرِ الْفَصْلِ (هُوَ) يُفِيدُ القَصْرَ؛ أَيْ: هَذَا الْقَصَصُ هُوَ الْحَقُّ، دون مَا عَدَاهُ مِنْ قَوْلُ النَّصَارَى الْقَائِلِينَ: إِنَّهُ اللهُ أَوِ ابْنُ اللهِ عياذًا بالله، وقَوْلِ اليهودِ الْقَائِلِينَ: إِنَّهُ وَلَدُ زِنًا، عياذًا بالله.

﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ﴾.

نفي للألوهية عن كل ما سوى الله تعالى، وَدَخَلَتْ (مِنْ) للاستغراق وتأكيدًا على نَفْي الْجِنْسِ، وهي أبلغُ بلا شكٍّ من قولنا: (وَمَا إِلَهُ إِلا اللَّهُ).

﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

عَزِيزٌ لاستغنائه عن خلقه؛ فلا يحتاج إلى التكثر بالولدِ، وَحَكِيمٌ فلا يفعل ما ينافي حكمته، واتخاذ الولد مما ينافي حكمته.

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ﴾.

فَإِنْ أعرضوا عَنِ الْحَقِّ الذي أَتَاكَ اللهُ تَعَالَى بِهِ، فهم مُفْسِدُونَ لافترائهم على الله، ووصفهم رسول الله عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بما هو منه بريءٌ، وإخبار الله تعالى بعلمه بِالْمُفْسِدِينَ وعيدٌ وتهديدٌ لهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٦٤

أمرَ اللهُ تَعَالَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَدْعُوَ أَهْلَ الْكِتابِ إِلى كَلِمَةٍ سَواءٍ لا مَيْلَ فِيهَا ولا إجحافَ، بعدَ أَنْ أَوْرَدَ عَلَى نَصَارَى نَجْرَانَ أدلةَ التوحيدِ فَانْقَطَعُوا، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الْمُبَاهَلَةِ فَخَافُوا وَنَكَصُوا، وَقَبِلُوا بِأَدَاءِ الْجِزْيَةِ.

فقال: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾.

أَيْ: هَلُمُّوا إِلَى كَلِمَةٍ فِيهَا إِنْصَافٌ وَعَدْلٌ لَا مَيْلَ فِيهِ ولا إجحافَ، وَقَصْدٌ لَا شَطَطَ فِيهِ، وَ (سَوَاءٌ) اسْمُ مَصْدَرٍ بمعْنَى الِاسْتِوَاءِ، أَيْ: فِيهَا نَسْتَوِي نَحْنُ وَأَنْتُمْ.

ثُمَّ فَسَّرَهَا فَقَالَ: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا﴾.

أَيْ: نُفْرِدُ اللهَ تَعَالَى بالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ، وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا، لا حجرًا ولا شجرًا وَلَا وَثَنا، وَلَا صَنَمًا، وَلَا صَلِيبًا وَلَا طَاغُوتًا، وقوله: ﴿شَيْئًا﴾، ليدخل فيه كل ما عُبِدَ من دون الله؛ وذلك لأن اليهود عبدوا العزير، والنصارى عبدوا المسيح من دون الله تعالى.

﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

وذلك لأن اليهود والنصارى اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْ أَرْبابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ﴾.[1]

وَعَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: «يَا عَدِيُّ اطْرَحْ هَذَا الْوَثَنَ مِنْ عُنُقِكَ، فَطَرَحْتُهُ فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ بَرَاءَةَ فَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللهِ﴾. حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، فَقُلْتُ: إِنَّا لَسْنَا

١ – سُورَةُ التَّوْبَةَ: الآية/ ٣١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

نَعْبُدُهُمْ»، فَقَالَ: «أَلَيْسَ يُحَرِّمُونَ مَا أَحَلَّ اللهُ فَتُحَرِّمُونَهُ، ويُحِلُّونَ مَا حَرَّمَ اللهُ فَتَسْتَحِلُّونَهُ؟» قُلْتُ: بَلَى، قَالَ: «فَتِلْكَ عِبَادَتُهُمْ».[1]

﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾.

أَيْ: فإِنْ أعْرَضُوا عَنْ دَعْوَةِ التوحيدِ وأبوا إلا الشِّرْكَ فقد قَامَتْ عَلَيْهِم الْحُجَّةُ، وَوَجَبَ عَلَيْهِمْ أَنْ يُقِرُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ دُونَهُمْ، وهُمْ كَافِرُونَ حَيْثُ تَوَلَّوا عَنِ الْحَقِّ بَعْدَ ظُهُورِهِ، والمرادُ بقوله تعالى: ﴿اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾. البَرَاءَةُ مِنْهُمْ والتَّهْدِيدُ والوَعِيدُ لَهُمْ.

١ - رواه الترمذي- أَبْوَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بَابٌ: وَمِنْ سُورَةِ التَّوْبَةِ، حديث رقم: ٣٠٩٥، والطبراني في الكبير- حديث رقم: ٢١٨، واللفظ له.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ (٦٥) هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٦٥، ٦٦

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة أَنَّ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى اجْتَمَعُوا عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنَازَعُوا فِي إِبْرَاهِيمَ عليه السلام وادعى كُلُّ فَرِيقٍ أَنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ عَلَى دِينِهِ، فَقَالَتِ الْيَهُودُ: كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا، وَقَالَتِ النَّصَارَى: كَانَ إِبْرَاهِيمُ نَصْرَانِيًّا، فَأَكْذَبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنَّ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ مَا أُنْزِلَا إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ.

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: اجْتَمَعَتْ نَصَارَى نَجْرَانَ وَأَحْبَارُ يَهُودَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَتَنَازَعُوا عِنْدَهُ، فَقَالَتِ الْأَحْبَارُ: مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا يَهُودِيًّا. وَقَالَتِ النَّصَارَى مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ إِلَّا نَصْرَانِيًّا. فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.[1]

قَالَ الزَّجَّاجُ: هَذِهِ الْآيَةُ أَبْيَنُ حُجَّةً عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، إِذِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ أُنْزِلَا مِنْ بَعْدِهِ وَلَيْسَ فِيهِمَا اسْمٌ لِوَاحِدٍ مِنَ الْأَدْيَانِ، وَاسْمُ الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ كِتَابٍ.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

لما كان زمان إِبْرَاهِيمَ متقدمًا على اليهودية والنصرانية بأمد طويل وهو أمر يدرك ببدائه العقول ومع ذلك يجادلون فيه؛ قَالَ تَعَالَى تَوْبِيخًا لهم وإنكارًا عليهم لمكابرتهم: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾.

(هَا) حرف تنبيه، لما كانوا في عماية من الغفلة، بحيث خفي عليهم تقدم زمن إبراهيم احتاجوا إلى التنبيه فقَالَ تَعَالَى: ﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ﴾، أي: انتبهوا إلى حالكم التي غفلتم عنها.

---

١ - تفسير الطبري (٥/ ٤٨١)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿هَا أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾.

الَّذِي لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ عَلَى زَعْمِهِم هُوَ دِينُهُمُ الَّذِي وَجَدُوهُ فِي كُتُبِهِمْ، لذلك يجادلون فيه.

﴿فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ﴾.

الَّذِي لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ هُوَ شَأْنُ إِبْرَاهِيمَ وَدِينُهُ، فلَيْسَ مَوْجُودًا فِي كُتُبِهِمْ، وَلَا أَتَتْهُمْ بِهِ أَنْبِيَاؤُهُمْ، وَلَا شَاهَدُوهُ فَيَعْلَمُوهُ.

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾.

وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا غَابَ عَنْكُمْ مِنْ أَمْرِ إِبْرَاهِيمَ وَغَيْرِهِ مِنَ الرُّسُلِ، مِمَّا تُجَادِلُونَ فِيهِ، لَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ، وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ إِلَّا مَا عَلَّمَكُم اللهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٦٧

هذا تَكْذِيبٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى الَّذِينَ ادَّعَوْا أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ عَلَى مِلَّتِهِمْ، وبرأه اللهُ تَعَالَى مِنْ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيةِ، وَبَدَأَ بِالْيَهُودِيَّةِ لِأَنَّهَا أَقْدَمُ مِنْ النَّصْرَانِيةِ، وَكَرَّرَ النَّفْيَ لِلتَّأْكِيدِ على براءته مِنَ الدِّيَانَتَيْنِ.

وَلَمَّا بَرَّأَ اللهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيةِ، دخل في ذلك براءته عليه السلام من الشرك الذي عليه الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى.

﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾.

ثُمَّ اسْتَدْرَكَ مَا كَانَ عَلَيْهِ فقال: ﴿وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا﴾، أي: كانَ حَنِيفًا مائلاً عن العقائدِ الفاسدة، والملِ الباطلةِ، وذكر كونه مُسْلِمًا بعد وصفه بكونه حَنِيفًا؛ لِأَنَّهُمْ كانوا يَعْرِفُونَ مَعْنَى الْحَنِيفِيَّةِ وَلَا يُؤْمِنُونَ بِالْإِسْلَامِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّ الْإِسْلَامَ هُوَ الْحَنِيفِيَّةُ.

وَدَلَّ ذَلِكَ عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُحَمَّد رَسُول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ دينُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ﴾.[1]

﴿وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.

ولما نَفَى اللهُ تَعَالَى عَنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مُوَافَقَةَ الْيَهُودِيَّةِ وَمُوَافَقَةَ النَّصْرَانِيَّةِ، نَفَى أيضًا عَنْهُ مُوَافَقَةَ الْمُشْرِكِينَ، حتى لا يَتَوَهَّمَ أحدٌ مِنْهُم أَنَّهُ عَلَى دِيْنِ إِبْرَاهِيمَ.

اللهم أصلح لنا ديننا الذي هو عصمة أمرنَا وأصلح لنا دنيانا التي فيها معاشنا وأصلح لنا آخرتنا التي إليها معادنا.

---

١ - سُورَةُ الْحَجِّ: الآية/ ٧٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٦٨

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة مَا وَرَدَ عنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رُؤَسَاءُ الْيَهُودِ: وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ لَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّا أَوْلَى بِدِينِ إِبْرَاهِيمَ مِنْكَ وَمِنْ غَيْرِكَ، وَأَنَّهُ كَانَ يَهُودِيًّا، وَمَا بِكَ إِلَّا الْحَسَدُ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ.[1]

لَمَّا بَرَّأَ اللهُ تَعَالَى إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْيَهُودِيَّةِ وَالنَّصْرَانِيةِ، بَيَّنَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ وَأَقْرَبَهُمْ مِنْهُ، وأَصْدَقَهُم مُوَالَاةً لَهُ، فقال: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾.

﴿أَوْلَى﴾، اسْمُ تَفْضِيلٍ مُشْتَقٌّ مِنَ الْوَلِي وَهُوَ الْقُرْبُ، أَيْ أَشَدُّ النَّاسِ قُرْبًا مِنْ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَعُدِّيَ لَفْظُ (أَوْلَى) بِالْبَاءِ لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الِاتِّصَالِ؛ أَيْ: أَخَصُّ النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ وَأَقْرَبُهُمْ مِنْهُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا.

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوا إِبْرَاهِيمَ هُمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي اعْتِقَادِهِ وَهَدْيِهِ وَأَفْعَالِهِ، وَيَشْمَلُ كُلَّ مَنِ اتَّبَعَهُ فِي زَمَانِهِ وَغَيْرِ زَمَانِهِ.

﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾، محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه أشد اتباعًا إِبْرَاهِيمَ؛ لقوله تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾.[2]

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ وُلَاةً مِنَ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ وَلِيِّيَ مِنْهُمْ أَبِي وَخَلِيلُ رَبِّي»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

---

١ - أسباب النزول للواحدي (ص: ١٠٦)

٢ - سُورَةُ النَّحْلِ: الآية/ ١٢٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَذِكْرُ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: ﴿وَهَذَا النَّبِيُّ﴾، بعد ذكْرِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وهو من جملتهم، من بابِ ذكرِ الخاصِ بَعْدَ العامِ تنويهًا على شَرَفِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا﴾. أَيْ: وَالَّذِينَ آمَنُوا باللهِ وَصَدَّقُوا رَسُولَ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتَّبِعُوهُ، أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ، وَأَحَقُّ بِهِ مِمَّنِ انْتَسَبُوا إِلَيْهِ وخَالَفُوا اعْتِقَادَهُ وَهَدْيَهُ.

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

تذييلٌ لبيانِ أَنَّ مَنْ وَالَى رُسُلَ الله تولَاهُ اللهُ تَعَالَى، والجزاءُ مِنْ جِنْسِ العَمَلِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (٦٩) يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٦٩، ٧٠

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة ما حكاه الواحدي قال: نَزَلَتْ فِي مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ وَحُذَيْفَةَ وَعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ حِينَ دَعَاهُمُ الْيَهُودُ إِلَى دِينِهِمْ.

﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾، أي: تَمَنَّتْ جَمَاعَةً مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لَوْ يَصُدُّونَكُمْ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ عَنِ الْإِسْلَامِ.

وَمَعْنَى يُضِلُّونَكُمْ يُوقِعُونَكُمْ فِي الضَّلَالِ بِالرُّجُوعِ عَنْ دِينِ الْإِسْلَامِ، وهذا الذي أخبرنا الله تعالى به واقع منذ أن بزغ فجر الإسلام إلى يومنا هذا، فتُعْقَدُ الْمُؤتمَرَاتُ، وتقامُ النَّدَواتُ والْمُحَاضَرَاتُ تَحتَ شِعَارِ حُقوقِ الإنسَانِ، وحُريةِ المرأةِ، وليسَ لهم مَقْصِدٌ في الحقيقةِ إِلَّا انسِلَاخُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ دِينِهِم، ونَبْذُ الشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ وراءَ ظُهُورِهم.

وقد نَبَّأَنَا اللَّهُ تَعَالَى وهُو الْعَلِيمُ بخلقه، الْخَبِيرُ بنفوسهم، المطَّلِعُ عَلَى الضمائِرِ، بما يُكِنُّه بعضُ أَهْلِ الْكِتَابِ لأَهْلِ الإيمانِ، مِنَ العداوةِ والبغضاءِ، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ مِنْ قرارةِ نفسِهِ أَنَّ يَضِلَّ أهلُ الإيمانِ عن الصراطِ المستقيمِ، ويزيغُ المسلمونَ عن نهجِ الشرعِ القويمِ، وهو حَالُ كثيرٍ مِنَ الكفارِ على اختلاف مللهم، وتباين نحلهم؛ فتكون ﴿مِنْ﴾ عَلَى هَذَا الْقَوْلِ لِلتَّبْعِيضِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّاراً حَسَداً﴾.[1]

وَقِيلَ: ﴿مِنْ﴾ هنا لِبَيَانِ الْجِنْسِ، فيدخل في هذا جَمِيعُ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾.[2]

والراجح أنها لِلتَّبْعِيضِ بدلالة لفظ: (طَائِفَة)، وهذا من الإنصاف الذي ورد به القرآن.

---

١ - سُورَةُ البقرةِ: الْآيَة/ ١٠٩

٢ - سُورَةُ الْمُمْتَحَنَةِ: الآية/ ٢

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.

أَيْ: وَمَا يُهْلِكُونَ غَيْرَ أَنْفُسِهِمْ بِمَا يَفْعَلُونَهُ مِنْ مُحَاوَلَةِ صَدِّكُمْ عَنْ دِينِكُمْ؛ لِكُفْرِهِمْ بِاللَّهِ، وَنَقْضِهِمُ الْمِيثَاقَ الَّذِي أَخَذَهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بالإيمانِ بمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَاتِّبَاعِهِ.

﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ﴾.

هَذَا تقريعٌ وَتَوْبِيخٌ لِأَهْلِ الْكِتَابِ عَلَى كُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ المنزلةِ في القرآنِ وهو توافق ما في كتبهم، وَعَلَى كُفْرِهِمْ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهم يجدون صفته في كتبهم،

﴿وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ﴾، أي: بَعْدَ مَا ظَهَرَ لَكُمْ مَا يُوجِبُ الْإِيمَانَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٧١

اللَّبْسُ: هُوَ الْخَلْطُ؛ وَمِنْهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾. [الأنعام: ٩] أَيْ: وَلَخَلَطْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَخْلِطُونَ.

وَقَولُهُ تَعَالَى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾، سؤالٌ الغرض من الإنكارُ على الْيَهُودِ والنصارى الذين يَخْلِطُونَ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ، ليَلْبِسُوا على الناس دِينَهُمْ والمرادُ بالْحَقِّ هنَا: التَّوْرَاةُ الَّتِي أَنْزَلَهَا اللَّهُ عَلَى مُوسَى، والإنجيلُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ عَلَى عِيسَى، وَالمرادُ بالْبَاطِلِ: الْأَكَاذِيبُ الَّتِي كَتَبُوهَا بِأَيْدِيهِمْ وَأَدْخَلُوهَا فِي الدِّينِ.

وَلَبْسُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ يَكُونُ بأُمُورٍ ثَلَاثَةٍ:

منها: تحريفُ الحقِّ، وجعلُهُ في صورةِ الباطلِ تنفيرًا للناس عنه.

ومنها: تُزيينُ الباطلِ، وجعلُهُ في صورةِ الحقِّ، ترغيبًا للناس فيه.

ومنها: خلطُ الْحَقِّ بِالْبَاطِلِ فلا يتميّز مَا أَدْخَلُوه مِنَ الْأَكَاذِيبِ وَالْخُرَافَاتِ فِي الدِّينِ، مما جاءت به الرسل.

﴿وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.

وَالْحَقُّ الَّذِي كَتَمُوهُ مَا فِي كُتُبِهِمْ مِنْ صِفَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَنُبُوَّتِهِ، ﴿وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾، أَيْ: وَأَنْتُمْ تَعْرِفُونَ ذَلِكَ وَتَتَحَقَّقُونَهُ، وَلَيسَ عِنْدَكُم فيهِ شكٌّ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٧٢

لا يقف مكرُ أعداءِ اللهِ تَعَالَى عند حَدٍّ ولا يتورعون عن وسيلةٍ للطعنِ في الإسلامِ، ومن ذلك ما قالته جماعةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَهُمْ رُؤَسَاؤُهُمْ لبعضِ أَتْبَاعِهِمْ – صدًّا للنَّاسِ وتنفيرًا لهم عن دين اللهِ تعالى –: ﴿آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ: إِذَا لَقِيتُمْ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ أَوَّلَ النَّهَارِ فَآمِنُوا، وَإِذَا كَانَ آخِرُهُ فَصَلّوا صَلَاتَكُمْ، لَعَلَّهُمْ يَقُولُونَ: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْكِتَابِ وَهُمْ أَعْلَمُ مِنَّا.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: صَلَّوْا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ صَلَاةَ الصُّبْحِ، ثُمَّ رَجَعُوا آخِرَ النَّهَارِ فَصَلَّوْا صَلَاتَهُمْ لِيَرَى النَّاسُ أَنَّهُ قَدْ بَدَتْ لَهُمْ مِنْهُ ضَلَالَةٌ بَعْدَ أَنْ كَانُوا اتَّبَعُوهُ، فَنَزَلَتْ.

وَوَجْهُ النَّهَارِ: أَوَّلُهُ، وَمنه قَولُ الرَّبِيعِ بْنِ زِيَادٍ الْعَبْسِيِّ:

مَنْ كَانَ مَسْرُورًا بِمَقْتَلِ مَالِكٍ ***** فَلْيَأْتِ نِسْوَتَنَا بِوَجْهِ نَهَارِ

وَسُمِّيَ: وَجْهًا، لِأَنَّهُ أَحْسَنُهُ.

قولهُ: ﴿وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

أَيْ: اكْفُرُوا آخِرَ النَّهَارِ، لِيَنْخَدِعَ الْعَرَبُ وَيَقُولُوا: هَؤُلَاءِ أَهْلُ الْكِتَابِ الأولُ وهم أعلم بالدين مِنَّا، ولو كان حقًّا لثبتوا عليه.

وإِنَّمَا فَعَلُوا ذَلِكَ لِإِدْخَالِ الشَّكِّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، ولتَثْبِيتِ ضُعَفَائِهِمْ عَلَى دِينِهِمْ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ (٧٣) يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٧٣، ٧٤

هَذَا الْكَلَامُ مُتَّصِلٌ بِالْكَلَامِ السَّابِقِ عَنِ الْيَهُودِ بَعْضِهِم لِبَعْضٍ، يقولون: لَا تَطْمَئِنُّوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ ، وَلَا تُظْهِرُوا مَا عِنْدَكُم إِلَّا لِمَنْ كَانَ عَلَى مِلَّتِكُم مِنَ الْيَهُودِ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ﴾، هذه جملة معترضة بين كلام الْيَهُودِ، أي: اللهُ هُوَ الَّذِي يَهْدِي الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْإِيمَانِ والعملِ الصالحِ، وليس كما يتوهم الْيَهُودُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، مَعْنَاهُ: الدِّينُ دِينُ اللَّهِ. وَمِثْلُهُ قَولُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى﴾.[1]

﴿أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ﴾.

أَيْ: لَا تُصَدِّقُوا ولا تطمئنوا إِلَّا لِمَنْ جَاءَ بِمِثْلِ دِينِكُمْ، مَخَافَةَ أَنْ يُؤْتَى أَحَدٌ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْكَرَامَةِ مِثْلَ مَا أُوتِيتُمْ، فيُحَاجُّوكُمْ بِتَصْدِيقِكُمْ إِيَّاهُمْ عِنْدَ رَبِّكُمْ.

فمقصودهم أَلَا يُقِرُّوا لأَحَدٍ بالنُّبُوَّةِ إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَهُمْ، وإنما أرادوا نفي النُّبُوَّةِ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، لأن إقرارهم بنبوته يلزم منه الإيمان به واتباعه.

﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

الْمُرَادُ بِالْفَضْلِ هُنَا: النُّبُوَّةُ والرِّسَالَةُ، والمعنى: قُلْ يَا مُحَمَّدُ، لِهَؤُلَاءِ الْيَهُودِ: إِنَّ النُّبُوَّةَ محضُ فضلٍ من اللهِ تَعَالَى، والله عزَّ وجلَّ يُؤْتِي فَضْلَهُ مَنْ يَشَاءُ، ويجعلُ رِسَالَتَهُ حيثُ أَرَادَ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾.[2]

---

١ - سُورَةُ الْبَقَرَةِ: الْآيَة/ ١٢٠

٢ - سُورَةُ الْأَنْعَامِ: الآية/ ١٢٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾.

وَاللَّهُ وَاسِعُ الْفَضْلِ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ، عَلِيمٌ بِمَنْ يَسْتَحِقُّ النُّبُوَّةُ مِمَّنْ لَا يَسْتَحِقُّهَا.

﴿يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾.

كَمَا اخْتَصَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالرِّسَالَةِ، وَاخْتَصَّ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ بالْهِدَايَةِ نعمةً مِنْهُ وفضلًا، وَفِيهَا تَعْرِيضٌ بِأَهْلِ الْكِتَابِ بِأَنَّهُم أَبعَدُ النَّاسِ عَن الهِدَايةِ، وَعَنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى.

﴿وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾.

ذُو فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ يَتَفَضَّلُ بِهِ عَلَى مَنْ شَاءَ مِنْ عِبَادِهِ، ثُمَّ وَصَفَ فَضْلَهُ بِأَنَّهُ عَظِيمٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُدَانِيهِ فَضْلٌ، وَلَا يُقَارِبُهُ إِحْسَانٌ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ (٧٥) بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٧٥، ٧٦

مناسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

مُنَاسَبَةُ هَذِهِ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا أَنَّ اللهَ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ حالَ أَهْلِ الْكِتَابِ في الآيات السابقة وأنهم نقضوا عهد الله من بعد ميثاقه، بين الله تبارك وتعالى هنا أن بَعْضَهُمْ أَهْلُ خِيَانَةٍ لا يتورعون عن محرم، بل يستحلون القتلَ وَالظُّلْمَ وَأَخْذَ أَمْوَالِ النَّاسِ بالباطلِ؛ كما في هذه الآية، وكما في قوله تعالى: ﴿وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ﴾.[1]

وَاللَّهُ تَعَالَى يُعَلِّمُنَا الإِنْصَافَ حَتَّى مَعَ خُصُومِنَا، فأَهْلُ الْكِتَابِ مُتَفَاوِتُونَ فِي كُلِ شَيءٍ حتى في معاملاتهم، ولما كان شأنُ الْيَهُودِ الخِيَانَة – وهي صفة غالبة عليهم – حَذَّرَ اللهُ تَعَالَى الْمُؤْمِنِينَ مِنَ الِاغْتِرَارِ بِهِمْ.

﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ﴾.

مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بمالٍ كثيرٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ تَعَفُّفًا عَنِ الْخِيَانَةِ، وَالْقِنْطَارُ يُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ لِلْكَثْرَةِ، وَالدِّينَارُ عملةٌ ذهبيةٌ يزنُ أربعَ جراماتٍ وربعُ الجرامُ، وَيُضْرَبُ بِهِ الْمَثَلُ لِلْقِلَّةِ.

﴿وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾.

وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بمالٍ قليلٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا أَنْ تُلِحَّ عَلَيْهِ بِالتَّقَاضِي وَالْمُطَالَبَةِ، والْمُلَازَمَةِ.

---

١ – سُورَةُ النساءِ: الآية/ ١٦١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

وعُدِّيَ ﴿تَأْمَنْهُ﴾، بِالْبَاءِ والأصلُ أَنْ يَتَعَدَّى بِـ (عَلَى) كَمَا فِي قَوْلِهِ: ﴿قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ﴾. [يُوسُف: ٦٤]، لِتَضَمُّنِهِ مَعْنَى الْمُعَامَلَةِ، والمعنى: مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ حَالَ مُعَامَلَتِهِ بِقِنْطَارٍ...، لِيَشْمَلَ الْأَمَانَةَ بِالْوَدِيعَةِ، وَالْأَمَانَةَ بِالْمُعَامَلَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾.

بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى الحاملَ لَهُمْ عَلَى جُحُودِ الْحُقُوقِ، وَخِيانَةِ الأَمَانَاتِ، وهو اسْتِحْلالُهُم أَكْلَ أَمْوَالِ الْعَرَبِ، وَمَنْ يُخَالِفُهُم فِي الاعْتِقَادِ، بقولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ﴾، أَيْ: لَيْسَ عَلَيْنَا فِي أَكْلِ حُقُوقِهِمْ حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ.

و(الْأُمِّيُّ) قيلَ: مَنْسُوبٌ إِلَى الْأُمِّ؛ لأَنَّهُ بَقِي عَلَى حَالَتِهِ الَّتِي كَانَ عَلَيْهَا مُدَّةَ حَضَانَتِهَا إِيَّاهُ، وَسُمِّيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أُمِّيًّا؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَا يَقْرَأُ ولَا يَكْتُبُ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْأُمَّ أَصْلُ الشَّيْءِ فَمَنْ لَا يَكْتُبُ فَقَدْ بَقِيَ عَلَى أَصْلِهِ فِي أَنْ لَا يَكْتُبَ.

وَقيل: الْأُمِّيُّ مَنْسُوبٌ إِلَى الْأُمَّةِ بِمَعْنَى عَامَّةِ النَّاسِ فَهُوَ قَرِيبٌ مِنْ مَعْنَى الْعَامِّيِّ.

﴿ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

لَمَّا نَسَبُوا جَوَازَ خِيَانَةِ مَنْ يُخَالِفُهُم فِي الاعْتِقَادِ للتَّوْرَاةِ، فَقَدْ كَذَبُوا عَلَى اللهِ تَعَالَى، وَقَالَوا عَلَيهِ مَا لَمْ يَقُلْهُ، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ فِيهِمَا يقولونه على الله، وأَعْظَمُ ذَنْبٍ عَلَى الإِطْلَاقِ.

وَقِيْلَ: يَعْلَمُونَ كَوْنَ الْخِيَانَةِ مُحَرَّمَةً، وَمَا عَلَى الْخَائِنِ مِنَ الْإِثْمِ، والقَوْلُ الأَوَلُ أَوْلَى.

﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

أي: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الذين كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَادَّعَو أَنَّهُ لَيْسَ عَلَيْهِمْ فِي أَمْوَالِ الْأُمِّيِّينَ حَرَجٌ وَلَا إِثْمٌ، وَلَكِنْ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ الَّذِي أخذه الله عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ مِنَ الْإِيمَانِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَمَا جَاءَهُمْ بِهِ، وَاتَّقَى أَسْبَابَ سَخَطِ اللَّهِ تَعَالَى بِاجْتِنَابِ مَحَارِمِهِ، فَهَذَا هُوَ التقيُّ حقًّا، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَوُضِعَ الظَّاهِرُ: (الْمُتَّقِينَ) مَوضِعَ الْمُضْمَرِ (الضمير)، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾، ولمْ يقلْ: (فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ)؛ لِبَيَانِ فَضِيلةِ التَّقْوَى، وَعَظِيمِ شَأْنِ الْمُتَّقِينَ عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ.

وَخَصَّ اللَّهُ الْمُتَّقِينَ بمحبتهِ فِي هَذِهِ الآيةِ، وَقَدْ ذَكَرَ الوَفَاءَ والتَّقوَى، فَلَمْ يَقُلْ: (فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الأَوْفِيَاءَ وَالْمُتَّقِينَ)؛ لأَنَّ الوَفاءَ قَدْ يَكُونُ مِنْ بعضِ النَّاسِ سَجِيةً وطَبْعًا وليسَ دِيانةً، بخلاف التقوى، فَلَا تكُونُ إِلَا عَنْ دِيَانَةٍ؛ فكلُ تَقِيٍّ وَفِيٌّ، وليسَ كلُ وفِيٍّ تقيًّا.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٧٧

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

قِيلَ: سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة ما رواه البخاري عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ رَجُلًا أَقَامَ سِلْعَةً وَهُوَ فِي السُّوقِ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ لَقَدْ أَعْطَى بِهَا مَا لَمْ يُعْطِ لِيُوقِعَ فِيهَا رَجُلًا مِنَ المسْلِمِينَ» فَنَزَلَتْ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾، الآيَةَ.[1]

وَقِيلَ: سَبَبُ نُزُولِهَا ما ثبت عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ يَقْتَطِعُ بِهَا مَالَ امْرِئٍ مُسْلِمٍ، هُوَ عَلَيْهَا فَاجِرٌ، لَقِيَ اللَّهَ وَهُوَ عَلَيْهِ غَضْبَانُ» فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ الآيَةَ، فَجَاءَ الأَشْعَثُ، فَقَالَ: مَا حَدَّثَكُمْ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ فِيَّ أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ، كَانَتْ لِي بِئْرٌ فِي أَرْضِ ابْنِ عَمٍّ لِي، فَقَالَ لِي: «شُهُودَكَ»، قُلْتُ: مَا لِي شُهُودٌ، قَالَ: «فَيَمِينُهُ»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِذًا يَحْلِفَ، فَذَكَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَذَا الحَدِيثَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ذَلِكَ تَصْدِيقًا لَهُ.[2]

ولا مانعَ أنْ يكونَ الأَمْرَانِ سَبَبًا لنُزُولِ الآيةِ؛ قَالَ الحَافِظُ ابنُ حَجَرٍ: لَا مُنَافَاةَ بَيْنَهُمَا وَيُحْمَلُ عَلَى أَنَّ النُّزُولَ كَانَ بِالسَّبَبَيْنِ جَمِيعًا وَلَفْظُ الْآيَةِ أَعَمُّ مِنْ ذَلِك.[3]

وعلى هذا فلا تعلقَ للآيةِ بما سَبَقَهَا، وليست خاصة بنقضِ اليهودِ عهدَ اللهِ تعالى، وإن كانت الآية تشملهم.

وقيل: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَحْبَارِ الْيَهُودِ الذين نقضوا عهد الله تعالى وكتموا ما أنزله الله تعالى في التوراة من صفةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، واستعاضوا بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ الكاذبةِ ثَمَنًا قَلِيلًا؛

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ البُيُوعِ، بَابُ مَا يُكْرَهُ مِنَ الحَلِفِ فِي البَيْعِ، حديث رقم: ٢٠٨٨

٢ - رواه البخاري- كِتَاب الْمُسَاقَاةِ، بَابُ الخُصُومَةِ فِي البِئْرِ وَالقَضَاءِ فِيهَا، حديث رقم: ٢٣٥٦، ومسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ وَعِيدِ مَنِ اقْتَطَعَ حَقَّ مُسْلِمٍ بِيَمِينٍ فَاجِرَةٍ بِالنَّارِ، حديث رقم: ١٣٨

٣ - فتح الباري لابن حجر (٨/ ٢١٣)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

لأنها وردت في سياق الحديث عن قبائح اليهود، وبيان فضائحهم، ولا مانع منه أيضًا؛ فإن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

قال عِكْرِمَةَ: نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِي أَبِي رَافِعٍ وَكِنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ وَكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ وَحُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ.[1]

قَولُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ ﴾.

أَيْ: إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَبْدِلُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ، الذي أخذه عَلَيْهِم بواسطة رسلهم من الإيمان بمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إذا بعث، وَأَيْمَانِهِمْ الْكَاذِبَةِ عوضًا قَلِيلًا مِنْ حُطَامِ الدُّنْيَا، أُولَئِكَ لَا نَصِيبَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ من الأجرِ، ولَا حظَّ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ.

﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

وَلَا يُكَلِّمُهُمُ كَلَامًا يَنْفَعُهُمْ وَيَسُرُّهُمْ، لغَضَبِهِ عَلَيْهِمْ؛ كَمَا يُقَالُ: فلانٌ لَا يُكَلِّمُ فُلَانًا إِذَا غَضِبَ عَلَيْهِ.

﴿وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾.

أَيْ: لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ بِعَيْنِ الرَّحْمَةِ، وَلَا يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ، وَلَا ينَالُهُمْ منهُ خَيْرٌ.

﴿وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أَيْ: لَا يُثْنِي عَلَيْهِمْ لأَنَّهُم لَيْسُوا أَهْلًا للثَّنَاءِ، وَلَا يُطَهِّرُهُمْ مِنَ الذُّنُوبِ والآثَامِ.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

أَيْ: وَلَهُمْ عَذَابٌ مُوجِعٌ.

---

١ - تفسير الطبري (٥/ ٥١٧)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٧٨

يخبرُ اللهُ تَعَالَى عنْ جَمَاعَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أَنَّهُم يُحَرِّفُونَ كلامَ اللهِ تَعَالَى بليِّ أَلْسِنَتِهِمْ بِهِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّ مَا لَوَوْا بِهِ أَلْسِنَتَهُمْ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وأَنَّهُ كَلُامُ اللهِ تَعَالَى الذي أنزله فِي كِتَابِه.

وهذا التحريفُ صُوْرَةٌ مِنْ صُوَرٍ أَرْبَعٍ فعلوها لتحريفِ كَلَامِ اللهِ تَعَالَى، وقد تكلمنا عنها عِندَ قَولِهِ تَعَالَى: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا...﴾.[1]

وَأَصْلُ اللَّيِّ الْمَيْلُ والانْحِرَافُ. يُقالُ: لَوَى رَأْسَهُ، إِذَا أَمَالَه، وَالْتَوَى الشَّيْءُ إِذَا انْحَرَفَ؛ ومِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلا تَلْوُونَ عَلَى أَحَدٍ﴾. [آلِ عِمْرَانَ: ١٥٣] أَيْ: لَا تُعَرِّجُونَ عَلَى أَحَدٍ ولَا تَمِيلُونَ إِلَيهِ.

وَاللَّيُّ المذكورُ عنهم له صورٌ متعددةٌ، فأَحْيَانًا يكونُ بِتَغْيِيرٍ فِي الأَلْفَاظِ؛ كما كانوا يقولون للنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُم: (السَّامُ عَلَيْكُمْ) يحرفون بذلك لفظ: (السَّلَام) إلى (السَّام)، وَأَحْيَانًا يَكُونُ اللَّيُّ بِصَرْفِ الكلامِ إِلَى غَيْرِ الْمَعْنَى الْمُرَادِ مِنْهُ، وَأَحْيَانًا يَكُونُ بقراءةِ كلام عادي بالْكَيْفِيَّةِ الَّتِي يَقْرَؤون بِهَا الْكِتَابَ مِنْ جَرْسِ الصَّوْتِ، وَالنَّغَمِ، وَإِظْهَارِ الْخُشُوعِ لِيَتَوَهمَ السَّامِعُ أَنَّهُ مِنَ الْكِتَابِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾، هُمُ الْيَهُودُ كَانُوا يَزِيدُونَ فِي كِتَابِ اللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلِ اللَّهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: هُمْ أَعْدَاءُ اللَّهِ الْيَهُودُ حَرَّفُوا كِتَابَ اللَّهِ وَابْتَدَعُوا فِيهِ، وَزَعَمُوا أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ.

---

١ - سُورَةُ البقرة: الآية/ ٧٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ مُجَاهِدٌ: ﴿يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ﴾، يُحَرِّفُونَهُ. وَكذا قَالَ الشَّعْبِيُّ، وَالْحَسَنُ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ.

﴿لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ﴾.

لِتَظُنُّوا أَنَّ الَّذِيَ يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِهِ وَيُحَرِّفُونَهُ بِكَلَامِهِمْ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ، وهوَ ليس مِنْ كِتَابِ اللَّهِ. وَذكرتْ هذهِ الْأَفْعَالُ ﴿يَلْوُونَ﴾ ، وَ﴿يَقُولُونَ﴾، بِلفظِ الْمُضَارِعِ: لِلدَّلَالَةِ عَلَى تَجَدُّدِ التَّحرِيفِ وَأَنَّهُ لا ينتهي عندَ حدٍّ بل هوَ دَأْبُهُمْ وديدنهم، والْكِتَابُ يشملُ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ.

﴿وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾.

ثم أخبرَ سُبحَانَهُ أَنَّهُمْ مَا اكْتَفَوا بالتَّعرِيضِ بِالْكَذِبِ حتى صَرَّحُوا بهِ تَصْرِيحًا، فقَالُوا: هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، لِفَرْطِ جَرَاءَتِهِمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى.

﴿وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

يَعْنِي: أَنَّهُمْ يَتَعَمَّدُونَ قَولَ الْكَذِبِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهُمْ يَعْلَمُونَ أنَّ ما يقولونه إنما هو محضُ افتراءٍ على اللهِ، وليس في كتابِ اللهِ، ولَمْ يَقلهُ اللَّهُ تَعَالَى.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٧٩

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

قِيلَ: سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة ما ورد عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: قَالَ أَبُو رَافِعٍ الْقُرَظِيُّ حِينَ اجْتَمَعَتِ الْأَحْبَارُ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ: أَتُرِيدُ يَا مُحَمَّدُ أَنْ نعبُدَكَ كَمَا تَعْبُدُ النَّصَارَى عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ؟ فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ نَجْرَانَ نَصْرَانِيٌّ، يُقَالُ لَهُ الرَّئِيسُ أَوَذَاكَ تُرِيدُ مِنَّا يَا مُحَمَّدُ وَإِلَيْهِ تَدْعُونَا؟ أَوْ كَمَا قَالَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَعْبُدَ غَيْرَ اللَّهِ، أَوْ نَأْمُرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِهِ، مَا بِذَلِكَ بَعَثَنِي، وَلَا بِذَلِكَ أَمَرَنِي»، أَوْ كَمَا قَالَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي ذَلِكَ مِنْ قَوْلِهِمْ: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ.....﴾.[1]

﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾.

أَيْ: مَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ اصْطَفَاهُ اللَّهُ وأَنْزَلَ عَلَيهِ الْكِتَابَ، وَآتَاهُ الحُكْم والمرادُ بِهِ هُنَا السَّنَةُ، لِأَنَّهُ ذُكِرَ فِي مُقَابَلَةِ الْكِتَابِ، وَآتَاهُ النُّبُوَّةَ أَنْ يَقُولَ لِلنَّاسِ: اعْبُدُونِي مِنْ دُونِ اللَّهِ، وَلَا يَنْبَغِي هذا لغَيْرِهِمْ مِنَ النَّاسِ منْ بَابِ أَوْلَى.

قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: لَا يَنْبَغِي هَذَا لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَأْمُرَ النَّاسَ بِعِبَادَتِهِ.

وَالْإِشَارَةُ فِي قوله: ﴿لِبَشَرٍ﴾، إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وقيلَ: الْإِشَارَةُ إِلَى عِيسَى، لَمَّا عَبَدَتْهُ النَّصَارَى مِنْ دُونِ اللهِ.

---

١ - جامع البيان- ط: هجر (٥/ ٥٢٤)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ﴾.

الرَّبَّانِيُّونَ: الْعُلَمَاءُ العَامِلُونَ، وَاحِدُهُمْ: رَبَّانِيٌّ، نِسْبَةً إِلَى الرَّبِّ، وَزِيدَتِ الْأَلِفُ وَالنُّونُ مُبَالَغَةً، وقِيلَ: الرَّبَّانِيُّ الَّذِي يُرَبِّي النَّاسَ بِصِغَارِ العِلْمِ قَبْلَ كِبَارِهِ، وَلَمَّا مَاتَ ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: الْيَوْمَ مَاتَ رَبَّانِيُّ هَذِهِ الْأُمَّةِ.

والمعنى: وَلَكِنْ يَدْعُوكُم لِأَنْ تكُونُوا عُلَمَاءَ عَامِلِين بِطَاعَةِ اللهِ تَعَالَى، بِسَبَبِ مُثَابَرَتِكُم عَلَى تَعْلِيمِ النَّاسِ الْكِتَابَ وَدِرَاسَتِهِ؛ فَإِنَّ مُدَارَسَةِ الْعِلْمِ وَتَعْلِيمُهُ مِنْ أَعْظَمِ أَسْبَابِ الْمُدَاوَمَةِ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٨٠

وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بِعِبَادَةِ أَحَدٍ غَيْرِ اللَّهِ، لَا نَبِيٍّ مُرْسَلٍ وَلَا مَلَكٍ مُقَرَّب، وكيف يفعل ذلك وما بعث الرسل إلا بتوحيد الله تعالى؛ كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾.[1]

وَذَكَرَ اللهُ تَعَالَى الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ لأَنَّ مِنَ المشركينَ مَنْ عَبَدَ الْمَلائِكَةَ من دون الله، ومنهم مَنْ عَبَدَ بَعْضَ الْأَنْبِيَاءِ، كما عَبَدَ اليهود عزيرًا، وكما عَبَدَ النصارى عيسى عليه السلام.

﴿أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

سؤال الغرض منه الإنكار على من توهم ذلك، والتعجب من شأنه؛ فَإِنَّ الأمرَ بِعِبَادَةِ غَيْرِ اللَّهِ كُفْرٌ باللهِ تَعَالَى، ومحالٌ أن يأمر رسولُ اللهِ بِالْكُفْرِ، بل الرسل هم أكثر الناس صيانة لجناب التوحيد؛ كما كان حال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا شَاءَ اللهُ وَشِئْتَ؟ فَقَالَ: "جَعَلْتَنِي لِلَّهِ عَدْلًا، بَلْ مَا شَاءَ اللهُ وَحْدَهُ".[2]

وكيف يأمر الرسول الناس بالكفر وقد أنقذهم الله تعالى به من الكفر والضلال.

---

١ - سُورَةُ النَّحْلِ: الْآيَة/ ٣٦

٢ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٥٦١، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ (٨١) فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٨١، ٨٢

يُخْبِرُ اللهُ تَعَالَى أَنَّهُ أَخَذَ الميثَاقَ، وَهُوَ الْعَهْدُ الْمُوَثَّقُ الْمُؤَكَّدُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ آتَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ، مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إِذَا بُعِثَ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ، أَنْ يؤمنُوا بِهِ ويَنْصُرُوهُ.

﴿لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾.

(لَمَا) معناها الَّذِي، وتقديرُ الكَلَامِ: لِأَجْلِ الَّذِي آتَيْتُكُمْ منَ الكِتَابِ وَالحِكْمَةِ.

﴿ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾.

لَفْظُ (رَسُول) نكرةٌ في سياقِ الإثباتِ يفيدُ الإطلاقَ، فيدخلُ فيه كلُ رَسُولٍ.

قَالَ طَاوُسٌ: أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الْأَوَّلِ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ لِيُصَدِّقُنَّ وَلَيُؤْمِنُنَّ بِمَا جَاءَ بِهِ الْآخِرُ مِنْهُمْ.

وَقِيلَ: المرادُ بالرَسُولِ هُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: لَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ نَبِيًّا، آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ، إِلَّا أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ: لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وَيَأْمُرُهُ فَيَأْخُذُ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ.[1]

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى ذَلِكَ تَذْكِيرًا لأَهْلِ الْكِتَابِ بِمَا هُوَ فِي كُتُبِهِمْ، قَطْعًا لِعُذْرِهِمْ، وَإِقَامةً للحُجَّةِ عَليهِمْ.

وقدْ أَخَذَ اللهُ تَعَالَى الميثَاقَ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ وأُمَمِهِم، واقتَصَرَ عَلَى ذِكْرِ الْأَنْبِيَاءِ؛ لِأَنَّ الْأُمَمَ أَتْبَاعٌ لْأَنْبِيَائِهِم.

---

١ - جامع البيان- ط: هجر (٥/ ٥٤٠)

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي﴾.

أَيْ: قَالَ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ: أَأَقْرَرْتُمْ بِالْمِيثَاقِ الَّذِي وَاثَقْتُمُونِي عَلَيْهِ، وَقَبِلْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ عَهْدِي، أَنَّهُ مَهْمَا أَتَاكُمْ رَسُولٌ مِنْ عِنْدِي، مُصَدِّقٌ لَمَا مَعَكُمْ، لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ؟

وَالْأَخْذُ: هنَا هُوَ الْقَبُولُ وَالرِّضَا، وَالْإِصْرُ: الْعَهْدُ الثَّقِيلُ، وَسُمِّيَ إِصْرًا لأَنَّهُ يُؤصَرُ أَيْ: يُشَدُّ وَيُعْقَدُ.

﴿قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾.

قَالَ النَّبِيُّونَ: أَقْرَرْنَا بِمَا أَلْزَمْتَنَا بِهِ مِنَ الْإِيمَانِ بِرُسُلِكَ وَنُصْرَتِهِمْ، فقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: فَاشْهَدُوا أَيُّهَا النَّبِيُّونَ عَلَى أُمَمِكُمْ بِمَا أَخَذْتُ عَلَيكُم وَعَلَى أَتْبَاعِكُمْ، وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ عَلَيْكُمْ وَعَلَيْهِمْ بِذَلِكَ.

﴿فَمَنْ تَوَلَّى بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾.

يعني: فَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِرُسُلِ اللهِ وَنُصْرَتِهِمْ بَعْدَ ذَلكَ الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِمْ.

الأساليب البلاغية:

من الأساليب البلاغية في الآية: الالتفات من الغيبة إلى الحضور في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ﴾، ولو كان الكلام على نسق واحد لكان تقديره: (وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَاهُمْ).

وجناسُ الاشتقاقِ بين لفظ: ﴿فَاشْهَدُوا﴾. ولفظ: ﴿الشَّاهِدِينَ﴾.

والاحتراس في قوله: ﴿رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ﴾، عن الادعياء والكذابين.

والتوكيدُ في قوله: ﴿لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ﴾، باللام والنون.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٨٣

﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ﴾. سُؤالٌ الْمُرَادُ بِهِ الْإِنْكَارُ، ومعنى ﴿يَبْغُونَ﴾، يَطْلُبُونَ.

وفي الكلام حَذْفٌ مُقَدَّرٌ، تقديرهُ: أَيَتَوَلَّوْنَ فَيَبْغُونَ غَيْرَ دِينِ اللَّهِ؟

وَدِينُ اللَّهِ هُوَ الْإِسْلَامُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلامُ﴾.[1]

وَإِضَافَتُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى تنبيه على أن ما عداه من مخترع ما أنزل الله به من سلطان، فَالْإِسْلَامُ هُوَ دِينُ الْأَنْبِيَاءِ جميعًا، وَإِنْ اخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ».[2]

﴿وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا﴾.

اسْتَسْلَمَ للهِ تَعَالَى مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا، فَكُلُّهُمْ مُنْقَادُونَ لِأَمْرِهِ يَجْرِي عَلَيهِم قَدَرُهُ، ويَخْضَعُون لمشيئَتِهِ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلالُهُمْ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ﴾.[3]

فَالْمُؤْمِنُ أَسْلَمَ بِقَلْبِهِ وَقَالَبِهِ لِلَّهِ تَعَالَى راضيًا مُخْتَارًا، وَالْكَافِرُ اسْتَسْلَمَ لِلَّهِ تَعَالَى مُكرهًا ذليلًا، وَقُدِّمَ الجارُ والمجرورُ للدلالةِ عَلَى الاخْتِصَاصِ، فلا يخضع الخلق جميعًا طَوْعًا وَكَرْهًا لغَيرِ اللهِ تَعَالَى.

وَالطَّوْعُ: الِانْقِيَادُ وَالِاتِّبَاعُ بِسُهُولَةٍ، وَالْكُرْهُ: الِانْقِيَادُ بِمَشَقَّةٍ.

---

١ - سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/: ١٩

٢ - رواه البخاري- كِتَابُ أَحَادِيثِ الأَنْبِيَاءِ، بَابُ قَوْلِ اللَّهِ: ﴿وَاذْكُرْ فِي الكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا﴾ [مريم: ١٦]، حديث رقم: ٣٤٤٣، كِتَابُ الْفَضَائِلِ، بَابُ فَضَائِلِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، حديث رقم: ٢٣٦٥

٣ - سُورَةُ الرَّعْدِ: الآية/ ١٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾.

خبرٌ المرادُ به التهديدُ، فإِلَيْهِ وحْدَهُ يَصِيرُونَ بَعْدَ الموتِ، فَيُجَازِيهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ، يُجَازِي الْمُحْسِنَ بِإِحْسَانِهِ، وَالْمُسِيءَ بِإِسَاءَتِهِ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَةُ/ ٨٤

هذا أَمرٌ من الله تعالى لرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن يُبَلِّغَ ما يعتقده هو وأتباعهُ، وأن يُعْلِنَ ذلك للنَّاسِ جميعًا، ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾، يَعْنِي: الْقُرْآنَ.

وَخَاطَبَ اللهُ تَعَالَى رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالإِفْرَادِ فَقَالَ: ﴿قُلْ﴾، لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّهُ لَا مُبَلِّغَ لِهَذَا التَّكْلِيفِ مِنَ اللَّهِ إِلَى الْخَلْقِ إِلَّا هُوَ، ثُمَّ قَالَ: آمَنَّا تَنْبِيهًا عَلَى أَنَّ هَذَا التَّكْلِيفَ لَيْسَ مِنْ خَوَاصِّهِ بَلْ هُوَ لَازِمٌ لِكُلِّ الْمُؤْمِنِينَ.

وأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، [الْبَقَرَة: ١٣٦]، فَإِنَّهُ خِطَابٌ للأُمَّةِ أَنْ يَعْتَقِدُوا ذَلِكَ، ولَيسَ أَمْرًا لَهُمْ بالتَّبلِيغِ.

وَقَالَ تَعَالَى هُنَا: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا﴾؛ لأن الرَسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو المخاطب، ونزل عليه الوحي من الملأِ الأَعْلَى بلا واسطةٍ بشريةٍ، فناسبَ أن يُعَدَّى فِعْلُ (أُنْزِلَ) بِحَرْفِ (عَلَى)،

وَعُدِّيَ فِعْلُ (أُنْزِلَ) فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ بِحَرْفِ (إِلَى) فِي قولِهِ: ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾، لأن الخطاب للمؤمنين، فَضُمِّنَ فِعْلُ (أُنْزِلَ) معنى الْوُصُولِ فَتَعَدَّى بِحَرْفِ (إِلَى)؛ لأَنَّ الْإِنْزَالَ وَصَلَ إِلَى المؤمنين بواسطة الرَسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾.

يَعْنِي: الكُتُبَ والصُّحُفَ وَالْوَحْيَ الذي أَنْزَلَهُ اللهُ عليهم.

﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾. هُمْ الأنبياءُ الذين بعثهم اللهُ تَعَالَى مِنْ بُطُونِ بَنِي إِسْرَائِيلَ الذين أتوا مِنْ نسلِ أَوْلَادِ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وليسَ الْمُرَادُ بالْأَسْبَاطِ أَوْلَادَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى﴾.

يعني: التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

يَعْنِي: نُؤْمِنُ بكل كتاب أنزله الله على كل نبيٍّ، وهذا من باب عطف العام على الخاص.

﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾.

يَعْنِي: نُؤْمِنُ بِهم جَمِيعًا، وَلَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَآخَرَ في الإيمان والحب والتعظيم والتوقير، وَلَا يَحْمِلُنَا حُبُّ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى كَرَاهَتِهِمْ، أو التقليلِ مِنْ قَدْرِهم، وَهَذَا تَعْرِيضٌ بِالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى.

﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾.

أي: وَنَحْنُ مُسْتسلِمُونَ لأمرِهِ تعالى، خَاضِعُونَ لحُكْمِهِ، مُصَدِّقون بِكُلِّ مَا أُنْزِلَه، وَبِكُلِّ نَبِيٍّ أَرْسَلَهُ.

الأَسَالِيبُ البَلَاغِيةِ:

فِي هَذِهِ الآيةِ مِنَ الأَسَالِيبِ البَلَاغِيةِ: ١- عطفُ العامِ عَلَى الخَاصِّ، فِي قَولِهِ: ﴿وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ﴾.

٢- الإيجازُ بالحذفِ فِي قَولِهِ: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ﴾، وتقدير الكلامِ: لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَآخَرَ.

٣- العامُ المرادُ بِهِ الخصوصُ فِي قَولِهِ: ﴿وَالْأَسْبَاطِ﴾، فالمراد بهم الأنبياء منهم.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.
سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٨٥

مُنَاسَبَةُ الْآيَةِ لِمَا قَبْلَهَا:

لَمَّا قَالَ اللهُ تَعَالَى فِي الآيةِ السَّابِقَةِ حِكَايةً عَنِ المؤمنينَ مِنْ هَذِهِ الأُمَّةِ: ﴿وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾. [آلِ عِمْرَانَ: ٨٤]، بَيَّنَ اللهُ تَعَالَى فِي هَذِهِ الْآيَةِ أَنَّ الْإِسْلَامَ هوَ الدِّينُ الذي ارتضاه الله تعالى للأولين والآخرين، وَأَنَّ كُلَّ دِينٍ سِوَى الْإِسْلَامِ لَا يُقْبَلُ عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى، ومن دان به فهو مِنَ الْخَاسِرِينَ فِي الْآخِرَةِ.

فاللَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ مِنْ أَحَدٍ دِينًا سِوَى الْإِسْلَامِ، وَهُوَ دِينُ الرُّسُلِ جمعًا، وَهُوَ اتِّبَاعُ الرُّسُلِ فِيمَا بَعَثَهُمُ اللَّهُ بِهِ، حَتَّى خُتِمُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فَلَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَتَمَ بِهِ النَّبِيِّينَ، ونسخت شريعتهُ شريعة الْأَنْبِيَاءِ السابقينَ، فَمَنْ لَقِيَ اللَّهَ بَعْدَ بِعْثَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدِينٍ غَيْرِ دينهِ فلن يَقْبَلَ اللَّهُ تَعَالَى منهُ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ».[1]

﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

الْخُسْرَانُ فِي الْآخِرَةِ هُوَ حِرْمَانُ الثَّوَابِ وَحُصُولُ الْعِقَابِ، وَمَنْ كَانَ هَذَا حَالُهُ كَانَ مِنَ الْخَاسِرِينَ؛ لأَنَّهُ خَسِرَ نَفْسَهُ حِينَ أَوْرَدَهَا مَوَارِدَ الهَلَاكِ، وَخَسِرَ الجَنَّةَ باتِّبَاعِ غَيرِ سَبِيلِ الرَسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وشُبِّهَ بِالَّذِي خَسِرَ فِي تِجَارَتِهِ.

---

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ وُجُوبِ الْإِيمَانِ بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ، وَنَسْخِ الْمِلَلِ بِمِلَّتِهِ، حديث رقم: ١٥٣

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٨٦

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة:

سَبَبُ نُزُولِ هَذِهِ الْآيَة مَا ثبتَ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: «كَانَ رَجُلٌ مِنَ الْأَنْصَارِ أَسْلَمَ، ثُمَّ ارْتَدَّ فَلَحِقَ بِالْمُشْرِكِينَ، ثُمَّ نَدِمَ فَأَرْسَلَ إِلَى قَوْمِهِ أَنْ سَلُوا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَلْ لِي مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ: فَنَزَلَتْ: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا، فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، قَالَ: فَأَرْسَلَ إِلَيْهِ قَوْمُهُ فَأَسْلَمَ».[1]

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قالَ: هُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ عَرَفُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ.

﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾.

سؤال المراد منه الإنكار على مَنْ لَاحَتْ لهم الْبَرَاهِينُ الساطعة، وظهرت لهم الدلائل القاطعة عَلَى صِدْقِ الرسولِ، وصحةِ مَا جَاءَهُمْ بِهِ، فآثروا الكفر على الإيمان، والضلالة على الهدى، وارْتَدُّوا إِلَى ظُلْمة الشِّرْكِ، فَكَيْفَ يَسْتَحِقُّ هَؤُلَاءِ الْهُدَى بَعْدَ مَا آثروا الضلالةَ، وَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى.

وَالْمُرَادُ بالْهِدَايَةِ هنا هِدَايَةُ التوفيق، فإن هِدَايَةَ الإرشاد والدلالة مبذولة للخلق أجمعين.

﴿وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾.

أي: قامت الحجج على صدقه، ثُمَّ كَفَرُوا كبرًا وعنادًا، وَحَسَدًا لِلرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

---

١ - رواه أحمد- حديث رقم: ٢٢١٨، والنسائي في السنن الكبرى- سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦]، حديث رقم: ١٠٩٩٩، والحاكم- كِتَابُ قَسْمِ الْفَيْءِ، حديث رقم: ٢٦٢٨، وابن حبان- كِتَابُ الْحُدُودِ، بَابُ الرِّدَّةِ، ذِكْرُ السَّبَبِ الَّذِي مِنْ أَجْلِهِ أَنْزَلَ اللَّهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ﴾ [آل عمران: ٨٦]، حديث رقم: ٤٤٧٧، بسند صحيح

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

﴿وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.

أي: وجَاءَتهُمُ الحجج والمعجزات الدالة على صحة نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

تذييل لبيان أن من كان هذا حاله فهو ظالم، والظالم أبعد الناس عن الهداية والتوفيق.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ (٨٧) خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ (٨٨) إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٨٧- ٨٩

لما حَكَمَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بالحرمانِ مِنْ الهِدَايَةِ في الآية السابقة، بَيَّنَ لهم هُنَا عقابًا آخرَ فقَالَ: ﴿أُولَئِكَ﴾، إِشَارَةٌ لِلتَّنْبِيهِ عَلَيهم، جَزَاؤُهُمْ الذي يستحقونه على كُفْرِهِمْ، أن يطردهم الله تعالى من رحمته، وينزل عليهم سخطه.

﴿أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.

اللَّعْنُ من اللهِ تَعَالَى: هُوَ الطَّرْدُ وَالْإِبْعَادُ عَلَى سَبِيلِ السُّخْطِ.

وَمِنْ جَزَائِهِم كَذَلِكَ دُعَاءُ الْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ عليهم بالطردِ من رحمةِ الله تعالى.

ولفظُ (النَّاسِ) هنا عَامٌّ فيدخلُ فيه المؤمنون والكفار، أما دخولُ المؤمنين فظاهرٌ، وأما الكفارُ فَقَدْ أَخْبَرَنَا اللهُ تَعَالَى عَنْ حَالِ أهلِ النَّارِ فقَالَ تَعَالَى: ﴿كُلَّما دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَها﴾.[1]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ يَوْمَ الْقِيامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُمْ بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً﴾.[2]

﴿خَالِدِينَ فِيهَا﴾.

أَيْ: خَالِدِينَ فِي اللَّعْنَةِ، لَا يَنْفَكُّ عَنْهُم وَصْفُ الطَّرْدِ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ تَعَالَى، وَلَا يَزَالُ يَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ

﴿لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.

لَا يَخِفُّ عَذَابُهُمْ، وَلَا يُؤَخَّرُ عِقَابُهم؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾.[3]

---

١ - سورة الْأَعْرَافِ: الآية/ ٣٨

٢ - سورة الْعَنْكَبُوتِ: الآية/ ٢٥

٣ - سُورَةُ الزُّخْرُفِ: الآية/ ٧٤، ٧٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾.[1]

بل لا يزالون مَزِيدٍ مِنَ الْعَذَابِ أَبَدًا؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلا عَذَابًا﴾.[2]

﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا﴾.

ثم استثنى اللهُ تَعَالَى بفضلهِ وَرَحْمَتِهِ مَنْ تَابَ إِلَيْهِ بَعْدِ ارْتِدَادِهِ عَنْ إِيمَانِهِ، وَرَاجَعَ إلى اللَّهِ تَعَالَى، وأقبلَ عليه، وَعَمِلَ الصَّالِحَاتِ.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.

إخبارٌ منه تَعَالَى بعظيمِ عَفْوِهِ، وَوَافِرِ سترِهِ عَلَى مَنْ تابَ إليه مِنْ عبادِهِ، وواسعِ رحمتِهِ لِمَنْ أَنَابَ إِلَيهِ.

---

١ - سُورَةُ الْإِسْرَاءِ: الآية/ ٩٧

٢ - سُورَةُ النَّبَأِ: الآية/ ٣٠

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٩٠

يتوعد الله تعالى الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بطَعْنِهِمْ فِي الإسلام وتنفير الناس عنه، والطعن في نبي الإسلام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحاربةِ الْمُؤْمِنِينَ وفتنتهم، أَنَّهُمْ لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ، بعدما آثروا الضلال على الهدى.

قَالَ قَتَادَةُ وَعَطَاءُ الْخُرَاسَانِيُّ وَالْحَسَنُ: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ كَفَرُوا بِعِيسَى وَالْإِنْجِيلِ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَالْقُرْآنِ. وَقَالَ أبوا الْعَالِيَةِ: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ.

وَقَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: نَزَلَتْ فِي الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى كَفَرُوا بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا رَأَوْهُ بَعْدَ إِيمَانِهِمْ بِنَعْتِهِ وَصِفَتِهِ فِي كُتُبِهِمْ، ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا، يَعْنِي: ذُنُوبًا فِي حَالِ كُفْرِهِمْ.

وقيل الآية عامة في كل من كفر بعد إيمانه، وتمادى في غيه وضلاله.

﴿ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا﴾.

ازْدَادُوا كُفْرًا بطَعْنِهِمْ فِي الإسلام والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومحاربةِ الْمُؤْمِنِينَ.

قَالَ الحسن: ثم ازْدَادُوا كُفْرًا كُلَّمَا نَزَلَتْ آيَةٌ كَفَرُوا بِهَا، فَازْدَادُوا كُفْرًا.

﴿لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾.

يعني: لَنْ يُوَفَّقَهم اللهُ تَعَالَى لِلتَّوْبَةِ، لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ فهي كِنَايَةٌ عَنْ أَنَّهُمْ لَا يَتُوبُونَ فَتُقْبَلُ تَوْبَتُهُمْ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلا يُقْبَلُ مِنْها شَفاعَةٌ﴾. [الْبَقَرَة: ٤٨] أَيْ لَا شَفَاعَةَ لَهَا فَتُقْبَلُ.

وهَذَا كَقَوْلِ امْرِئِ الْقَيْسِ:

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ. أَيْ لَا مَنَارَ لَهُ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

وهذه الآيةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا﴾.[1]

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.

أَيْ: أَخْطَئُوا سَبِيلِ الْحَقِّ، وَسَلَكُوا سُبُلَ الضَّلَالَةِ.

وَتَقْدِيمُ الضَّمِيرِ يُفِيدُ الحصرَ، أَيْ: وَلَا اضَلَّ مِمَنْ هذَا حَالُهُ.

١ - سورة النساء: الآية/ ١٣٧

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾. سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ: الْآيَة/ ٩١

هذا إخبار من الله تعالى يتضمن التهديد والوعيد لمن كفر بالله تعالى وظل على كفره حتى مات كافرًا، أن الله تعالى لَنْ يَقْبَلَ مِنْهُ فِي الْآخِرَةِ صرفًا ولا عدلًا، وَلَوِ افْتَدَى نفسهُ بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا.

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُجَاءُ بِالكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ».[1]

وقول الله تعالى: ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾، بيان لحَالِ هذا الصنف من الكُفَّارِ وهم الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى كُفْرِهِمْ.

﴿فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَنْ يُقْبَلَ﴾، لِبَيَانِ أَنَّ دُخُولَ الْفَاءِ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْكَلَامَ مَبْنِيٌّ عَلَى الشَّرْطِ وَالْجَزَاءِ.

الْمِلْءُ (بِالْكَسْرِ) مِقْدَارُ مَا يَمْلَأُ الشَّيْءَ، وَالْمَلْءُ (بِالْفَتْحِ) مصدر ملأت الشيء، و﴿ذَهَبًا﴾، منصوبٌ عَلَى التَّمْيِيزِ.

﴿وَلَوِ افْتَدَى بِهِ﴾، قِيلَ: الْوَاوُ مُقْحَمَةٌ زَائِدَةٌ، وَهُوَ قَولٌ ضَعِيفٌ، فليس في القرآن شيءٌ زَائِدٌ يمكن الاستغناء عنه، بل تَدُلُّ عَلَى مَعْنَى لا يتحقق بدونها.

وهو أنه لَا يُنْقِذُهُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ شَيْءٌ، وَلَوْ كَانَ قَدْ أَنْفَقَ مِلْءَ الْأَرْضِ ذَهَبَا فِي الدُّنيَا، وَلَوِ افْتَدَى نَفْسَهُ مِنْ عذابِ اللَّهِ فِي الآخرة بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبَا، لَا يُنْقِذَهُ كذلك.

---

١ - رواه البخاري- كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابٌ: مَنْ نُوقِشَ الحِسَابَ عُذِّبَ، حديث رقم: ٦٥٣٨، ومسلم- كتاب صِفَةِ الْقِيَامَةِ وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، بَابُ طَلَبِ الْكَافِرِ الْفِدَاءَ بِمِلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا، حديث رقم: ٢٨٠٥

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net

قَالَ الزَّجَّاجُ: إِنَّهَا لِلْعَطْفِ، وَالتَّقْدِيرُ: لَوْ تَقَرَّبَ إِلَى اللَّهِ بِمَلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكَ مَعَ كُفْرِهِ، وَلَوِ افْتَدَى مِنَ الْعَذَابِ بِمَلْءِ الْأَرْضِ ذَهَبًا لَمْ يُقْبَلْ مِنْهُ، وَقَالَ ابْنُ الْأَنْبَارِيِّ: وَهَذَا أَوْكَدُ فِي التَّغْلِيظِ.

وفي الآية دليل على أن الكافر لا ينفعه عمل إذا مات على كفره؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ابْنُ جُدْعَانَ كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَصِلُ الرَّحِمَ، وَيُطْعِمُ الْمِسْكِينَ، فَهَلْ ذَاكَ نَافِعُهُ؟ قَالَ: «لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ».[1]

﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.

أُولَئِكَ الذين ماتوا على الكفرِ لَهُمْ عَذَابٌ مؤلمٌ، وَليس لَهُمْ فِي الآخرة مِنْ أَحَدٍ يُنْقِذهم مِنْ عَذَابِ اللَّهِ، أَوْ يجيرهم من أَلِيمِ عقابه.

١ - رواه مسلم- كِتَابُ الْإِيمَانِ، بَابُ الدَّلِيلِ عَلَى أَنَّ مِنْ مَاتَ عَلَى الْكُفْرِ لَا يَنْفَعُهُ عَمَلٌ، حديث رقم: ٢١٤

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

المحتويات

م	الموضوعات	الصفحة
١	المقدمة.	٢
٢	﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ.....﴾.	٣
٣	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ...﴾.	٨
٤	﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَهُ.....﴾	١٠
٥	﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ.....﴾.	١٧
٦	﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ.....﴾.	٢١
٧	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ.....﴾.	٢٢
٨	﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ.....﴾.	٢٦
٩	﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى.....﴾.	٣١
١٠	﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ.....﴾.	٣٥
١١	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا وَلَا أَذًى.....﴾.	٣٧
١٢	﴿قَوْلٌ مَعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِنْ صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾.	٤١
١٣	﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ.....﴾.	٤٣
١٤	﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ.....﴾.	٤٦
١٥	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ...﴾.	٤٩
١٦	﴿وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ وَلَسْتُمْ بِآخِذِيهِ إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا فِيهِ.....﴾.	٥١
١٧	﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا.....﴾.	٥٢
١٨	﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا.....﴾.	٥٤
١٩	﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾.	٥٧
٢٠	﴿إِنْ تُبْدُوا الصَّدَقَاتِ فَنِعِمَّا هِيَ وَإِنْ تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ.....﴾.	٥٩
٢١	﴿لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ.....﴾.	٦٢
٢٢	﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ.....﴾.	٦٦

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٣	﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ.....﴾.	٦٩
٢٤	﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ.....﴾.	٧١
٢٥	﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ﴾.	٧٦
٢٦	﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ.....﴾.	٧٩
٢٧	﴿فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِنْ تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ.....﴾.	٨١
٢٨	﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾.	٨٤
٢٩	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ..... ﴾.	٨٦
٣٠	﴿وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَقْبُوضَةٌ.....﴾.	٩٨
٣١	﴿لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ.....﴾.	١٠٣
٣٢	﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ.....﴾.	١٠٩
٣٣	﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ.....﴾.	١١١
٣٤	تفسيرُ سُورَةِ آلِ عِمْرَانَ	١١٧
٣٥	﴿الم (١) اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾.	١١٧
٣٦	﴿نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾	١١٩
٣٧	﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ﴾.	١٢١
٣٨	﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ...﴾.	١٢٣
٣٩	﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾.	١٢٩
٤٠	﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾.	١٣٢
٤١	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا﴾.	١٣٤
٤٢	﴿كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ﴾.	١٣٦
٤٣	﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾.	١٣٨
٤٤	﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ.....﴾.	١٤٠
٤٥	﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ﴾.	١٤٣
٤٦	﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُمْ بِخَيْرٍ مِنْ ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾.	١٤٧
٤٧	﴿الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾.	١٤٩

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٤٨	﴿الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْقَانِتِينَ وَالْمُنْفِقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ﴾.	١٥٠
٤٩	﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ.....﴾.	١٥٢
٥٠	﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا.....﴾.	١٥٤
٥١	﴿فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ.....﴾.	١٥٦
٥٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ.....﴾.	١٦١
٥٣	﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ....﴾.	١٦٣
٥٤	﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِمْ.....﴾.	١٦٥
٥٥	﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ.....﴾.	١٦٧
٥٦	﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ.....﴾.	١٧٠
٥٧	﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ.....﴾.	١٧١
٥٨	﴿قُلْ إِنْ تُخْفُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ اللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ.....﴾.	١٧٤
٥٩	﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ.....﴾.	١٧٦
٦٠	﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾.	١٧٨
٦١	﴿قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.	١٨٠
٦٢	﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾.	١٨١
٦٣	﴿فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا.....﴾.	١٨٥
٦٤	﴿هُنَالِكَ دَعَا زَكَرِيَّا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾.	١٨٨
٦٥	﴿فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى.....﴾.	١٨٩
٦٦	﴿قَالَ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَقَدْ بَلَغَنِيَ الْكِبَرُ وَامْرَأَتِي عَاقِرٌ.....﴾.	١٩١
٦٧	﴿قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْزًا.....﴾.	١٩٢
٦٨	﴿وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ﴾	١٩٤
٦٩	﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾.	١٩٦
٧٠	﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ.....﴾.	١٩٨
٧١	﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَامَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ﴾.	٢٠٠
٧٢	﴿وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾.	٢٠١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٧٣	﴿قَالَتْ رَبِّ أَنَّى يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذَلِكِ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ.....﴾.	٢٠٢
٧٤	﴿وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ﴾.	٢٠٤
٧٥	﴿وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ.....﴾.	٢٠٦
٧٦	﴿فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ.....﴾.	٢٠٨
٧٧	﴿رَبَّنَا آمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.	٢١٠
٧٨	﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا.....﴾.	٢١٢
٧٩	﴿فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ﴾.	٢١٥
٨٠	﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾.	٢١٧
٨١	﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ...﴾.	٢١٩
٨٢	﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.	٢٢٢
٨٣	﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ.....﴾.	٢٢٣
٨٤	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنْزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ...﴾.	٢٢٥
٨٥	﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾	٢٢٧
٨٦	﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾.	٢٢٨
٨٧	﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾.	٢٣٠
٨٨	﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾.	٢٣٢
٨٩	﴿وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ...﴾.	٢٣٣
٩٠	﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ.....﴾.	٢٣٤
٩١	﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِقِنْطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ...﴾.	٢٣٦
٩٢	قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ﴾.	٢٣٩
٩٣	﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُمْ بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ.....﴾.	٢٤١
٩٤	﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي.﴾.	٢٤٣
٩٥	﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾	٢٤٥
٩٦	﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ.....﴾.	٢٤٦
٩٧	﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا.....﴾.	٢٤٨

شبكة الألوكة - قسم الكتب

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٩٨	﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ..﴾.	٢٥٠
٩٩	﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.	٢٥٢
١٠٠	﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾.	٢٥٣
١٠١	﴿أُولَئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾.	٢٥٥
١٠٢	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ﴾.	٢٥٧
١٠٣	﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِلْءُ الْأَرْضِ ذَهَبًا.....﴾.	٢٥٩
١٠٤	المحتويات.	٢٦١

شبكة الألوكة - قسم الكتب

هذا الكتاب منشور في